الضباط الأحرار

دكتور محمد الجوادي

دراسة تاريخية نقدية لمذكرات

مذكّرات
الضباط الأحرار

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٨١٧٢١٣ - ٣١٥٨٥٩
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

دكتور محمد الجوادى

مذكرات الضباط الأحرار

دراسة تاريخية نقدية لمذكرات

محمد نجيب و عبد اللطيف البغدادى
وخالد محيى الدين و عبد المنعم عبد الرؤوف
وجمال منصور وعبد الفتاح أبو الفضل وحسين حمودة

دار الشروق

الغلاف : الفنان محمد حجى
الخطوط : محمود إبراهيم

إهداء

إلى الفنان المبدع الأستاذ محمد حجى

تقديرًا لشخصه النبيل ، وفنه العبقرى ، وخلقه الكريم

هذا الكتاب

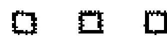
هذه مذكرات سبعة من أهم الضباط الأحرار (أو هي مذكرات ستة منهم بالإضافة إلى قائد ثورة الجيش نفسه) كتبوها جميعًا عن رغبة حقيقية فى كتابتها ، وكتبوا فيها ما أرادوا كتابته وتصويره ونقله للقارئ العربي فى كل مكان وزمان ، وسجلوا فيها انطباعاتهم تجاه كثير من المواقف العصيبة والخالدة والحرجة والتاريخية العامة والشخصية ، وفعلوا كل ذلك وهم يعرفون أنه سينشر على الناس على أنه على ألسنتهم وبأيديهم ، فهم مسئولون عن كل ما فيه ، وبهذا فإن هذه المذكرات تمثل دون أشباهها مما هو متاح فى أدبيات التاريخ المعاصر ركنا مهما فى مراجع هذا التاريخ لا من حيث إنها تتيح الحقائق (مع أنها تفعل ذلك كثيرًا جدًا) ولكن من حيث إنها تعكس لنا الرؤى التى كان هؤلاء يرون بها الحقائق والأحداث ، كما أنها تعكس تقديرهم لرؤاهم حين يروونها ويعلقون عليها بأنهم كانوا مخطئين فى لحظة ، أو مخدوعين فى لحظة أخرى، أو منخدعين فى ثالثة . . وهكذا .

ونحن فى هذا الكتاب لا نحمل النصوص التى بين أيدينا إلا ما تحتمله بالفعل ، فنحن حريصون على ألا نبسط الأمور ولا نضخمها ، لا نكبر ولا نصغر ، لا نضيف ولا نحذف ، لا نرفع ولا نخفض . . ومع هذا الحرص كله فإننا نعيد قراءة هذه المذكرات فى ضوء الحقيقة المتاحة ، ونحن نضيء هذه المذكرات من داخلها ومن خارجها بما نحاول أن نصطنع من منهج نقدى تحليلى يضع الأحداث فى ضوء الحقائق الثابتة ، ويضع الرواية فى ضوء الوقائع ، ويضع الترتيب فى ضوء التسلسل ، ويضع المكانة فى ضوء المكان ، ثم هو قبل كل هذا وبعده يضع الحدث فى ضوء الزمان .

ونحن لا نريد بهذه المذكرات أكثر مما أراده أصحابها بل ربما أقل مما أرادوه ، فنحن ننقى هذه المذكرات من آثار الانفعالات لترتفع بقيمتها لأن النقاء من الشوائب هو فى حد ذاته مغنم كبير ، ولأن التنقية من الشوائب هى فى حد ذاتها مهمة كبيرة ووظيفة حيوية تستحق كثيرًا من التعب والنصب وتجعل القائم بها كثيرًا ما يلاقى العنت وسوء الفهم .

نحن نريد بقراءة هذه المذكرات أن تكون بمثابة خطوة حقيقية فى كتابة تاريخنا المعاصر وأن تتحرر من الفردية ـ التى هى فى حد ذاتها ميزة كبيرة ـ ولكن المذكرات كفيلة لنفسها إذا تحررت من الفردية بأن تكون مع غيرها من المذكرات والمصادر الأخرى لكتابة تاريخنا المعاصر ما يسميه دارسو الموسيقى بالتصويت المتعدد الذى تصدر فيه النغمات مختلفة ، ولكنها تتضافر لتكون عملاً موسيقيًا جميلاً بدلاً من أن تتنازع لتقدم ضوضاء لا يمكن وصفها بالموسيقى .

ونحن حين نُقدم على هذا العمل لا نضحى بالذاتية التى فى هذه المذكرات لأن هذه الذاتية مطلوبة . . كما أننا لا نقيد الذاتية ولا نشترط عليها أن تلتزم حدود الذات . . كما أننا لا نحارب الفردية حين تكون الحقيقة مرتبطة بالفرد وحده . . ولكننا مع هذا نرفض أن تكون للنظرة الذاتية سطوة على الحقيقة ، ونرفض أن يكون للانفعال الوقتى تأثير على الرؤية التاريخية ، ونرفض كذلك أن تكون النظرة ضيقة المجال بحيث لا ترى إلا جانبًا واحدًا من الحقيقة مع أننا لا نرفض أن تكون العدسة التى ينظر منها صاحبها صغيرة الحجم . . كأن الأمر فى هذا الشأن شبيه بأننا لا نفرض على الذين يستعملون الميكروسكوب عدسة عينية بعينها ولكننا لا نوافقهم على ما يعتقدون أنهم رأوه إذا كانت هذه العدسة بحكم قدرتها غير قادرة إلا على مجال معين .



على هذا النحو من الجهاد من أجل الموضوعية نقرأ هذه المذكرات السبع على اختلاف أحجامها ، واختلاف تواريخ ظهورها ، فنقرأ للرجل العظيم عبد اللطيف بغدادى مذكراته التى نشرها المكتب المصرى الحديث فى السبعينات لتكون بمثابة أولى هذه المذكرات صدورًا ثم مذكرات اللواء محمد نجيب التى نشرها المكتب المصرى الحديث أيضًا فى سبتمبر ١٩٨٤ ، ثم نقرأ مذكرات حسين حمودة التى نشرتها دار الزهراء للإعلام العربى فى ١٩٨٥ فى طبعة أولى وفى ١٩٨٧ فى طبعة ثانية وهى الطبعة التى اعتمدنا عليها فى الفصل السابع ، ثم مذكرات عبد الفتاح أبو الفضل التى نشرتها دار الحرية فى مايو ١٩٨٦ ، ثم نقرأ مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف التى نشرتها دار الزهراء للإعلام العربى فى ١٩٨٨ بعد وفاته ، ثم نقرأ مذكرات جمال

منصور التى نشرها مركز الأهرام للترجمة والنشر أيضًا فى ١٩٨٩ وأخيرًا نقرأ مذكرات خالد محيى الدين « والآن أتكلم » التى نشرها مركز الأهرام للترجمة والنشر أيضًا فى ١٩٩٢ .

وقد تعمدت أن أشير فى الفقرة السابقة إلى تواريخ صدور هذه المذكرات حسب الترتيب الزمنى حتى يكون الإدراك التاريخى للقارئ مرتبًا على النحو الذى حدث فى المكتبة العربية نفسها ، ولذلك فإنه من الظلم مثلاً أن نقول عما نشره حسين حمودة فى ١٩٨٥ إن ذلك جاء موافقًا لما نشره خالد محيى الدين فى ١٩٩٢ أو لما نشره عبد المنعم عبد الرءوف فى ١٩٨٨ حتى وإن كان خالد أو عبد المنعم أكثر اطلاعًا على الحقائق من حسين حمودة ، أو أكثر نفوذًا منه ، ذلك أن خالد محيى الدين وعبد المنعم عبد الرءوف قد كتبا ما نُشر لهما بعدما كانت المعلومات التى نشرها حسين حمودة قد نُشرت وتداولتها أيدى الناس ، ولهذا يظل الفضل فى نشر الحقيقة أو المعلومة لمن سبق إلى نشرها .

ولربما كان الثالث أو الرابع أو الخامس يهملون أو يتجاهلون نشر بعض المعلومات لولا أن الثانى أو الأول قد سبق إلى الإشارة إليها .

ولهذا كله يظل عبد اللطيف بغدادى كالعهد به عظيمًا جدًا حين فتح هذا الباب مبكرًا جدًا . . ويظل خالد محيى الدين كالعهد به حريصًا جدًا حين تكلم فى النهاية وقال وهو يتكلم « والآن أتكلم » وكأنه كان يومها ذلك اللاعب المتمكن الذى كان « الولد » فى حوزته دون غيره من زملائه الذين كانوا يحتفظون فى أيديهم بأوراق أخرى لم يكن فيها ذلك « الولد » .

ومع هذا فنحن لسنا فى معرض تفضيل الأول على الثانى ولا الثانى على الثالث ولا الرابع على الخامس ولكننا نعطى السابق حقه فى الأسبقية فحسب .

كما أننا لسنا بصدد تقييم المذكرات ورفع قيمة بعضها ، فنحن نؤمن بأنها كلها مفيدة وبأنها تعكس مشاعر وأخلاقًا عالية من الانتماء للشعب والولاء للوطن عند مَنْ كتبوها ، وإذا كان لنا أن ننتقد ونثنى ، فإننا نثنى على كل مَنْ كتبوا المذكرات وننتقد كل مَنْ لم يكتبوا مذكراتهم ، ونحن حين نفعل ذلك لا نستحث الأحياء من أصحاب التجربة على أن يكتبوا تجربتهم فحسب ، ولكننا نستحث الذين ما تزال بأيديهم مذكرات غيرهم ممن انتقلوا إلى العالم الآخر أن يؤدوا دورًا مهمًا لوطنهم ولشعبهم بأن يعملوا على نشر ما لديهم من مذكرات .



وستظل مذكرات بغدادى - على سبيل المثال - بمثابة مصدر من أهم المصادر للكتابة عن خمس مناطق تاريخية فى منتهى الحيوية والخطورة بالنسبة لتاريخ الثورة :

١ ـ أزمة مارس ١٩٥٤ وموقف الثوار واحدًا واحدًا من الفكر الديمقراطى ونظرية نظام الحكم والعلاقة بالأحزاب والقوى السياسية .

٢ ـ حرب ١٩٥٦ والموقف الدقيق الذى وقفته قيادة الثورة فى معظم لحظاتها .

٣ ـ تجربة الوحدة مع سوريا بكل ملابساتها فى البدء والنهاية .

٤ ـ صياغة نظام الحكم فى الدولة فى ١٩٦١ و ١٩٦٢ و ١٩٦٤ وموقف كل من عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين من القضايا المرتبطة بهذا التنظيم ، والفلسفات التى كانت تصوغ رؤاهم .

٥ ـ حرب ١٩٦٧ ، مقدماتها الدرامية ، وسير الأحداث فى مقر القيادة العامة أثناء الأيام الأولى للحرب .



ولكننى لا أستطيع أن أغفل عدة جوانب مهمة تراءت لى وأنا أتأمل هذه المذكرات جميعًا بعد أن قرأت كلا منها عدة مرات ، فأنا فى الحقيقة أقف بكل الاحترام والتقدير أمام تلك الروح الوطنية التى كانت تهز كيان كل أولئك الضباط الأحرار فى الملمات ، فإذا بى مقدر غاية التقدير لحسين حمودة مثلاً وهو يتغلب على كل جراحه وهو ما يزال مسجونًا فى الواحات ليرسل ببرقية تأييد لعبد الناصر وهو يؤمم القناة أو هو يجتاز أزمة العدوان الثلاثى . . وكذلك نجد عبداللطيف بغدادى وهو يشارك جمال عبد الناصر أصعب لحظات حياته فى ١٩٦٧ ، كما شاركه أصعب لحظات حياته فى ١٩٥٦ من قبل ، وهذا هو عبد المنعم عبد الرءوف كما سنرى لا يفلت بنفسه من ذلك الألم العام الذى اجتاح العرب يوم وفاة عبد الناصر . . . وهكذا . . . وليس هذا بغريب أبدًا على عنصر الأصالة والحضارة فى الإنسان العربى ، ولا أريد أن أستطرد إلى أمثلة كثيرة من هذه المذكرات ومن غيرها ، ولكننى لابد أن أذكر القارئ مثلاً بما يرويه ثروت عكاشة فى مذكراته من اندفاعه الشديد إلى تأييد السادات فى مبادرة السلام فى ١٩٧٧ .

وهكذا فإن المرء يستطيع أن يدرك أن مدارسة هذه المذكرات كفيلة بأن تنمى فى الشباب روح حب الديمقراطية والحرص عليها ، وأن تجعل الشباب يدركون أن الديمقراطية هى الوسيلة الوحيدة الكفيلة بالوصول إلى الصواب إذا ما صدقت النيات وبَعُد الجميع عن المؤامرات والمناورات ، وليس من شك أن عبد الناصر على سبيل المثال قد عانى من مناوراته هو بأكثر مما عانى الآخرون ، وأنه بالتأكيد قد خسر من حرصه على بقاء عبد الحكيم عامر فى

قيادة الجيش أضعاف أضعاف ما ظن أنه قد يكسبه بهذا الوضع ، وأنه كذلك قد فوت على نفسه الفرصة فى الإفادة المثلى من زملائه الأكثر فهما والأجود أداء حين فرض على نفسه الحرص على الولاء لمن ظنهم أكثر انتماء ، ومع هذا كله فلسنا فى معرض تقييم عبد الناصر ، فلم تكن ظروفه ولا ثقافته السياسية ولا ثقافته العامة تسمح له بأعمق مما اتخذ من مواقف ، ولاشك فى أنه انتهج ما ظنه أكثر الطرق صوابًا ، وأنه لو كان يدرى نهايات الطرق ما سلكها منذ البداية ، وأننا نحكم الآن وقد وضحت أمامنا حقائق لم تكن واضحة أمامه ، ولهذا فإن روح هذا الكتاب توحى بتقدير لعبد الناصر أعمق من تقدير دراويش الناصرية .



كذلك فإنى حريص على أن أذكر للقارئ أننا لا نتصيد من هذه المذكرات ما نبرهن به على فكرة مسبقة فى أذهاننا ، وأننا فى قراءة هذه المذكرات لا نبحث عن وقائع معينة تهدف إلى إدانة مَنْ نكره أو الثناء على مَنْ نحب ، كذلك فإننا لا نتنبه إلى ما يمكن تسميته بالملح المرشوش فوق المذكرات . . نحن نؤكد للقارئ أننا نبتعد تمام الابتعاد عن هذا السلوك لأننا حريصون بقدر أكبر على جوهر المذكرات وروحها وما بين سطورها ، واعتقد أن القارئ لهذا الكتاب سيؤمن على هذه الدعوى التى ندعيها .

ونحن نحاول أن ننبه إلى أية أخطاء تاريخية فى هذه المذكرات ، ونحن نحتكم إلى القارئ والباحثين ليفصلوا فى أمر هذه الأخطاء حتى لا تظل عالقة بذاكرات القراء أو تؤخذ مع الوقت على أنها من الحقائق عند كتابة تاريخنا المعاصر فى مرحلة لاحقة ، واعتقد أن كتبى الثلاثة : الوزراء ، والمحافظون ، والبنيان الوزارى التى ظهرت للقارئ فى الآونة الأخيرة كفيلة بأن تصحح للقراء ولكاتبى المذكرات كثيرًا من الأخطاء التى يكون مردها الاعتماد على الذاكرة ، وأن هذه الكتب كفيلة أيضًا على أن تساعد الكتاب فى مستقبل قريب على ضبط كتابتهم عن كثير من الوقائع والأحداث ، وربط القرائن ببعضها والإفادة من جهد كبير وفقنى الله أن بدأته فى ترتيب وتحقيق وفهرسة وتوثيق وقائع تاريخنا السياسى المعاصر .



ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الكتاب هو ثالث كتاب لى يصدر عن المذكرات ، بعد كتابىّ « مذكرات وزراء الثورة » ، و « مذكرات المرأة المصرية » اللذين صدرا خلال العام الماضى ، وقد كنت أتوقع أن يصدر كتاب رؤى رجال الصحافة هو الآخر قبل هذا الكتاب ، ولكن يشاء العلى الحكيم أن أنتهى من مراجعة تجارب فصول هذا الكتاب قبل أن أنتهى من

مراجعة فصول الكتاب الأخر ، وأنى لأرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الكتب الأربعة بمثابة مصابيح قوية تضيء النفق الطويل الذى شاءت الأقدار لتاريخنا المعاصر أن يجتازه ، وأن نجتازه معه ونحن نبحث فى هذا النفق عن حقيقة الأمور .

وإنى لأدعو الله سبحانه وتعالى أن يمنَّ علىّ بالتوفيق فى أن أنتهى عن قريب من كتابة كل ما اعتقد أنى قادر على كتابته فى هذا الموضوع الكبير الذى بدأت مشروعه فى ١٩٧٩ أى منذ سبعة عشر عامًا وما أزال أجد نفسى متهيبًا الانتهاء مما كتبته مرة بعد أخرى ، ومتهيبًا أيضًا تقديمه للقارئ، وإنى لأرجوه سبحانه وتعالى أن يهبنى من العمر والصحة والعافية قدرًا يمكننى من أن أرى جهدى كله وقد أتيح له أن يرى النور وأن يراه القارئ العربى فى كتب واضحة البدايات والنهايات بدلاً من هذه الملفات والقصاصات والتجارب التى باتت تؤرقنى كلما نظرت إليها أو تذكرتها وهى على هذا الحال ، وإنى لأرجو القارئ الكريم أن يتكرم علىّ بالدعاء بالتوفيق فى هذا الجهد ، كما أرجوه أن يتكرم علىّ بكل ما يراه من ملاحظات لابد أنها قد عرضت له فى أثناء قراءة هذا الكتاب أو بعد الفراغ من مطالعته .

القاهرة ٢/٤/١٩٩٦

دكتور محمد الجوادى

مدرس طب القلب

كلية طب الزقازيق



الفصل الأول

كنتُ رئيساً لمصر

مذكرات الرئيس محمد نجيب

(١)

يدهش القارئ لمذكرات الرئيس محمد نجيب من مدى إلمامها التام والدقيق بتعاقب الأحداث ، وليس من شك فى أن هذه المذكرات وإن صدرت فى الثمانينات إلا أن نواتها قد كتبت واستوفيت فى الخمسينات لأنه يستحيل أن تأتى هذه المذكرات على هذه الصورة من باب التذكر وحده ، ومن العجيب أن هذه المذكرات تحفل بكثير من التفصيلات المهمة (وإن لم تكن صارخة) التى لا نجدها فى غيرها ولن نجدها فى غيرها من المذكرات ، وفضلاً عن هذا فإن هذه المذكرات تتمتع بروح علمية وموضوعية دقيقة ، وهى تنم بوضوح عن أن صاحبها كان صاحب اليد الطولى فى صياغتها ، وأن دور كاتبها قد اقتصر على الصياغة الصحفية فحسب ، وتخلو هذه المذكرات إلى حد كبير جدًا من الإطناب والإسهاب والتزيد والمقدمات الطويلة والاستطرادات والإطراءات ، ولو كان فى وسع الرئيس نجيب أن يصدرها مبكرًا عن هذا لكانت آية من آيات التعبير الفنى الجميل ، ولكن السنين كانت قد مضت ولم يعد فى الإمكان أن تصدر إلا على هذا النحو الذى استخلصها به الناشر من أنياب الزمان ، ومع هذا فيبدو أن كتاب «مصير مصر» الذى أصدره محمد نجيب عام ١٩٥٥ قد احتوى كثيرًا مما احتواه هذا الكتاب أو كان بمثابة النسيج الأصلى له ، وتحتاج المسألة شيئًا من التحقيق لست مؤهلا له اليوم ، ولكن النظرة السريعة على النسخة التى صدرت مؤخرًا بالعربية عن دار « ديوان » من هذا الكتاب « مصير مصر » تعطينا هذا الانطباع فى سهولة شديدة .

وقد اتضحت فى هذه المذكرات بصورة بارزة ثقافة نجيب وشخصيته الرفيعة وسعة إطلاعه وعمق نظرته ، حتى لو كان هو الخاسر فى كل المعارك التى خاضها مع تلاميذه أو زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ولكن يبدو أن التاريخ يعلمنا اليوم أن نجيبا قد كسب نفسه فى هذه المعركة ، وأن عبد الناصر (مثلاً)بكل ما حققه من مكاسب قد عذب نفسه ، وعلى الرغم من أن نجيبًا عاش حياته شبه سجين ، وبعيدًا عن الحياة العامة فإنه لم يصادف فى حياته كلها ألمًا كذلك الألم الذى صادفه جمال عبد الناصر ليلة الانفصال ، أو يوم الخامس من يونيو، أو فى الأيام الأولى من حرب ١٩٥٦ ، دعك من آلام القلق الدائم والمستديم التى عاشها

عبد الناصر طيلة ما عاش من حياة قصيرة . . ومع هذا فإننا لا نحكم بعذابات الرجلين على إنجازاتهما أو ما قدماه لوطنهما الحبيب إلى نفس كل منهما ، ونحن لا نرضى لأنفسنا أن نتدخل فى دائرة كراهية الثانى إذا أحببت الأول وكراهية الأول إذا أحببت الثانى ، فالحق أن الرجلين كانا صديقين وكانا متعاونين ، وكانا متكاملين ، وبفضل تعاونهما وتكاملهما وجهدهما المشترك قدما (فى الفترة التى شهدت هذا التعاون) لهذا الوطن الذى نعيش على أرضه كل خير .

(٢)

وربما نجد أنفسنا فى حاجة إلى بعض التعريف السريع بشخصية محمد نجيب قبل أن نتطرق إلى مذكراته ، فهذا الرجل قد تخرج فى كلية غوردون بالخرطوم وقد كان لهذه الكلية شأن كبير فى الحياة العامة فى ظل الاحتلال وحتى لا نطيل على القارئ بشرح وسرد تاريخ التعليم فى مصر والسودان فى العصر الذى نشأ فيه نجيب فإنا سنقرب الصورة للقارئ ونذكر له أن التخرج من كلية غوردون كان شبيها فى زماننا هذا بالتخرج فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

ولكن نجيبا وهو الشاب القوى فى عصر القوة القومية كان طموحًا إلى ما هو أكثر من مجرد الوظيفة ، وإذا هو يصمم بينه وبين نفسه على أن يلتحق بالكلية الحربية ليتخرج ضابطًا كوالده وكخاله ، وهو يبذل المستحيل حتى يستطيع أن يلتحق بهذه الكلية رغم كل المعوقات الطبيعية والزمنية والطالع السئ ورغم أنه كان ينقص عن الطول المطلوب سنتيمترا واحدًا !

ويتخرج محمد نجيب من الكلية الحربية بسرعة شديدة وسنلخص للقارئ تاريخه الدراسى فنذكر أن الدراسة كانت (بلغة أيامنا) مكونة من خمسة فصول دراسية وكانت هذه الفصول الدراسية تتدرج من الخامس إلى الأول (عكس ما هو شائع الآن) وقد أتاحت الظروف لنجيب أن يدرس فى فصلين فقط هما الرابع والثانى وأن يتخرج على هذا النحو فى سرعة بالغة بسبب تفوقه هو لا بسبب حاجة الجيش إلى تخريج ضباط جدد ، كما كان يحدث فى الدفعات التى تخرج فيها ضباط الثورة فيما بعد معاهدة ١٩٣٦ ، وكانت الكلية (المدرسة) الحربية وقتها تسير على النظام الأقرب للصواب الذى يمكن المتفوقين من أن يأخذوا فرصتهم وألا يضطروا إلى سلوك طابور التعليم النمطى الذى أصبح يفرض نفسه اليوم على كل مؤسساتنا التعليمية ، وهكذا فإن نجيبا عند دخوله الكلية ألحق بالفرقة الرابعة مباشرة وبذلك لم يمر بالفرقة الخامسة إلا لأربع وعشرين ساعة ، ولما نجح فى الفرقة الرابعة كان الأول وكان ترتيبه يفوق التالى له بأكثر من مائة درجة ولهذا فإنه نقل هو والخمسة التالون له إلى الفرقة الثانية من دون أن يمر بالفرقة الثالثة ، ولما ظهرت نتيجة هذه الفرقة كان الأول أيضًا وكانت درجاته تسبق درجات الأول على الفرقة الأولى وهكذا كان لابد له أن يتخرج وأن يصير ضابطًا .

ولكن نجيبا العظيم لم يكن يرى فى وظيفته العسكرية نهاية آماله فقد كان لأسباب كثيرة قلقًا على مستقبله فى ظل نظام الاحتلال ولهذا فإنه يبذل جهده وينجح فى امتحان البكالوريا

المصرية وينجح فى الالتحاق بكلية الحقوق ويجتاز سنوات الدراسة فى هذه الكلية ويتخرج فى دفعة ١٩٢٧ ، فإذا تذكرنا أن رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى كان من خريجى دفعة ١٩٢٣ وتولى رئاسة الوزارة فى ديسمبر ١٩٤٨ وجدنا النسبة والتناسب محفوظين بين إبراهيم عبد الهادى ونجيب الذى تولى رئاسة الوزارة هو الآخر بعد ربع قرن من تخرجه فى ديسمبر ١٩٥٢ !! كذلك فإن حكومة الوفد فى ١٩٥٠ ضمت من خريجى دفعة ١٩٢٦ كلا من حامد زكى وزكى عبد المتعال وفى هذه الدفعة تخرج الدكتور وحيد رأفت والدكتور أحمد سويلم العمرى والدكتور السيد صبرى أما دفعة الرئيس نجيب نفسه فضمت المستشار محمد كامل القاويش محافظ القاهرة وحسين فهمى عميد حقوق الإسكندرية ، ولعل هذا التقريب ينضم إلى ما سنذكره فى الفقرة (٥) من هذا الفصل ليرينا جوانب حقيقية من مكانة نجيب حتى بدون أن تقوم الثورة .

ثم يجتاز نجيب دبلوم الدراسات العليا والاقتصاد السياسى (١٩٢٩) ثم دبلوم القانون الخاص فى (١٩٣١) ويصبح مؤهلاً للحصول على الدكتوراه إذا ما قدم رسالة .

على أن هناك مستوى رابعًا من الخبرة بالحياة قد حققه محمد نجيب وهو عمله كضابط بوليس ، ولا ينبغى للقارئ أن يعجب فقد كان الانتقال من الجيش للبوليس ومن البوليس للجيش أمرًا طبيعيًا فى ذلك الزمان ، وربما نكون بحاجة إلى أن نذكر للقارئ أن حيدر باشا وزير الحربية الأشهر فيما قبل الثورة كان ضابط بوليس فى الأصل ، وكان مديرًا لمصلحة السجون . . وهكذا فإنه فى لحظة من لحظات الضجر المهنى التى يعرفها كل مَنْ مارس مهنة من المهن انتقل نجيب ليعمل فى البوليس إلى أن أصابه الضجر بالطبع بعد فترة قصيرة وعاد إلى الجيش .

(٣)

وقد تولى نجيب فى أثناء خدمته مناصب إدارية مهمة فى أثناء خدمته العسكرية فقد عين وكيلاً لمحافظة سيناء وبعدها محافظًا للبحر الأحمر . كذلك فإنه خدم فى الصحراء المصرية وسلاح الحدود حوالى ست سنوات وعاش فى بورتوفيق وسيناء والجبل الأصفر وواحة المنايفة ، والواحات ، والقنطرة شرق ، والبحر الأحمر حتى الحدود مع السودان .

وإلى نجيب يعود الفضل فى إنشاء مجلة الجيش المصرى عام ١٩٣٧ وقد ظل يشرف عليها عدة سنوات وكتب فيها عشرات المقالات .

كذلك كان نجيب من أبرز المصريين المهتمين بالصحراء حتى إنه عين عضوًا عاملاً فى معهد الصحراء كما تولى إعداد الكثير من الدراسات حول : حياة البدو وكيف يمكن رفع مستواها ، واستغلال المعادن ، وكان يلقى المحاضرات فى مثل هذه الموضوعات . . كما نشر العديد منها فى صورة مقالات ، ورفع عنها أكثر من تقرير للملك فاروق ، طالب فيها بالاهتمام بطرق استغلال الصحراء وتعميرها .

وكان نجيب من أوائل الضباط المهتمين بالتدريب العسكرى لطلاب الجامعات والداعين إليه ، ومن أهم المقالات التى كتبها ، مقالات تدعو إلى ضرورة التدريب العسكرى لطلبة الكليات والمدارس الثانوية ، وهو ما أخذ به بعد ذلك ، ولكن بجدية أقل .

وكان يعتقد أن التدريبات العسكرية للجنسين ضرورة لخلق المواطنين الصالحين ، خاصة فى البلاد النامية ، كمصر .

وفى حرب فلسطين كان محمد نجيب فى مستوى الرجل الثانى فى قيادة القوات المهاجمة تحت قيادة اللواء أحمد المواوى ، وقد خاض هذه الحرب وأصيب فيها عدة إصابات .

وهو يروى عن إصاباته فى هذه الحرب فيقول : « أما الإصابات الكبيرة التى سجلتها ، فكانت تستحق فعلاً التسجيل ، كانت هناك إصابة من لغم انفجر على بعد متر ونصف المتر منى ، أصابنى فى صدرى وتحت إبطى ويدى اليمنى ، الإصابة الثانية كانت رصاصة ، اخترقت شعرى ، واحتكت برأسى ، وجرحتنى جرحًا سطحيًا . أما الإصابة الثالثة والخطيرة ، فكانت فى معركة التبة ـ ٨٦ ! كانت هذه المعركة فى ديسمبر ١٩٤٨ . أصبت فى صدرى . . فى الشرايين القريبة من القلب . . وعندما نقلت إلى المستشفى كنت فى حالة إغماء تام . . حتى تصور الأطباء أننى مت . . وفعلاً كتبوا ذلك على الورق . لكن النقيب صلاح الدين شريف رفع الغطاء عن وجهى ولاحظ أن عينى ترمش . . فأمر باستدعاء طبيب ثان ، نجح فى إعادتى إلى الحياة بواسطة الأدرنالين ، ونقل الدم ، وخيمة الأكسوجين » .

ويتحدث نجيب عن بطولاته فيقول : « قبل معركة التبة ـ ٨٦ بشهور . . بالتحديد فى شهر يونيو . . كسبت قواتى أكبر معركة فى تاريخ حرب فلسطين . . فى أسدود جنوب تل أبيب . . فبعد ثلاثة أيام من المعارك تمكنا من قتل ٤٥٠ فردًا وأسرنا ١٢٢ رجلاً وسبع بنات . . وكانت خسائرنا طفيفة جدًا . وبعد أسبوع من معركة نيتسانيم ، أشاد اللواء المواوى بشجاعتى ، وأوصى ، إما أن أحصل على رتبة اللواء ، أو أمنح وسام نجمة الملك فؤاد ، والتى كانت تعتبر أعلى وسام عسكرى فى مصر ، فى ذلك الوقت .

(٤)

وفى هذه المذكرات نجح الرئيس نجيب أن يعود بالكاميرا إلى أيام سالفة ليحدثنا عن كثير من ملامح حياته المبكرة والتى تفيد تاريخه وتاريخنا المعاصر :

١ ـ كان جده لأمه الأميرالاى محمد عثمان بك قائد حامية فى الخرطوم الجنوبية وقد قتل فى الثورة المهدية هو وأخوته الثلاثة : رضوان وأحمد وشرف وكانوا هم أيضًا ضباطا . . ولكن أسرة جده لقيت معاملة كريمة بفضل ما كان جده يقدمه لأهالى السودان من خير فى مضيفته ، ورفعت على باب الأسرة راية بيضاء بأمر من السيد محمد أحمد المهدى .

٢ ـ تمكن خاله عبد الوهاب محمد عثمان من الهرب من قافلة التجار وسعى لمقابلة الخديو عباس حلمى ونجح فى مقابلته ، وتكفل الخديو بتعليم خاله على نفقته الخاصة حتى المدرسة الحربية .

٣ ـ فى المدرسة الحربية التقى أبوه يوسف نجيب بخاله عبد الوهاب محمد عثمان وقد تخرج يوسف نجيب فى المدرسة الحربية ١٨٩٦ أما نجيب فقد تخرج منها عام ١٩١٨ ، وقد أصبح قائد سرية الوالد فى ١٨٩٦ قائدًا لكتيبة الابن محمد نجيب فى ١٩١٨ .

٤ ـ كان لوالد نجيب ولد من زوجة سودانية ، أرسله إلى قرية النحارية (بالقرب من المحلة الكبرى) ولم يعش كثيرًا ولكن أولاده وأحفاده ما يزالون يعيشون هناك حتى الآن .

٥ ـ لنجيب شقيقان اللواء على نجيب سفيرنا فى سوريا بعد الثورة ، والدكتور محمود نجيب الأستاذ بكلية الطب البيطرى و ٦ أخوات .

٦ ـ توفى والد نجيب عام ١٩١٤ بعد إصابته بالتهاب فى الزائدة الدودية عن ٤٣ عامًا . وكان خاله قد توفى عام ١٩١٠ بالكالازار .

٧ ـ بعد تخرج نجيب فى كلية غوردون التحق بمعهد الأبحاث الاستوائية حيث تدرب على الآلة الكاتبة وعلى أعمال الموظفين الإداريين تمهيدًا للعمل كمترجم .

٨ ـ نجح نجيب فى أن يصل إلى السلطان حسين كامل وإلى سردار الجيش الإنجليزى السير وينجت باشا وعرفه بنفسه وبأبيه وخاله وقدم له طلب الالتحاق بالمدرسة الحربية ، وأمر السردار رئيس أركانه الميجور كامبل بأن يكتب للمدرسة الحربية أن تقبل نجيبا إذا كان لائقًا .

٩ ـ لم يكن ممكنا قبوله فى نفس الوقت فطلبوا إليه أن يعود عند الاستدعاء ليلتحق بالدفعة القادمة وأعطوه تذكرة مجانية للعودة إلى الخرطوم ، وتذكرة أخرى من الخرطوم إلى القاهرة .

١٠ ـ حين علم نجيب أنه سيتخرج مبكرًا عن دفعته وأنه سيتخرج مع طلبة الفرقة الأولى بدلاً من طالب فى الفرقة الأولى لم يحصل على الدرجات المطلوبة للنجاح بكى بدموع حقيقية فلما سأله هربرت باشا عن سر بكائه أجابه : « لأننى كنت أود أن استكمل دراستى ، إننى لم أضرب نارًا ، ولم أركب خيلاً ، وسأتخرج ضابطًا جاهلاً ، وسأكون فى ذيل ترقيات النشرة العسكرية ، ولن تتاح لى فرصة اختيار السلاح الذى أريده ، ولن أحصل على سيف الشرف الذى يمنح لباشجاويش المدرسة !! وهنا أجابه هربرت باشا : لا تكن أحمق . . لقد رقيتك لأنك ممتاز . . وفى الجيش ستستكمل تدريباتك العسكرية . . وأمامك الفرص كبيرة للحصول على نياشين أهم من سيف الشرف الذى يحصل عليه باشجاويش المدرسة !! ويعقب نجيب على هذه الواقعة بقوله : الشىء الذى لم أقله لهربرت باشا فى هذا الحوار ، هو أننى كنت أحلم أن أكون باشجاويش المدرسة ، كى أحقق ما كنت أرمى إليه ، وهو معالجة الغطرسة ، واللغة القاسية ، التى كان يتعامل بها ضباط الصف مع زملائهم الطلبة .

١١ ـ استطاع نجيب أن يتخرج أيضًا من مدرسة البوليس حوالى عام ١٩٢١ وهو يحكى بالتفصيل كيف فكر فى الالتحاق بها ولماذا . . إلى أن يقول : « فقررت أن أتقدم إلى امتحان شهادة الكفاءة . . وأن أطلب نقلى إلى البوليس . . وحصلت على شهادة الكفاءة ودخلت مدرسة البوليس لمدة شهرين ، لدراسة القانون الإدارى ، ولوائح البوليس ، تمهيدًا للعمل فى أقسام القاهرة . . وبعد أن تخرجت من مدرسة البوليس ، خدمت فى قسم عابدين (٥ شهور) وفى قسم مصر القديمة (٤ شهور) ثم فى قسم بولاق (٧ شهور) . . وطوال هذه الشهور ، تعرفت على قاع القاهرة . . واقتربت أكثر من الناس » . .

١٢ ـ يروى نجيب أنه فى أثناء عمله فى الصحراء أصبحت له شهرة كطبيب : « وتحولت خيمتى إلى مستوصف . . وفى يوم وقعت فى شر أعمالى ، وجاء لى أحد الشبان ، من الذين ينتمون إلى أقوى وأكبر القبائل وطلب منى أن أعالجه من ضعفه الجنسى . . وارتبكت . . ولم أدر ماذا أفعل فى هذه الورطة . . وبلمحة فاحصة أدركت أن الشاب هزيل جدًا وفى حاجة إلى تغذية قوية . . فقمت إلى مخزن الأطعمة وأعطيته منها بعض اللحوم والمأكولات الأخرى المغذية وأعطيته معها شرابا مقويًا . . ولكى أوحى له بالشفاء أعطيته حبتين عاديتين للإسهال، وأكدت له أن هذه الأقراص من نوع نادر جدًا من الصعب الحصول عليه . . وخرج الشاب وكله ثقة فى نفسه وهو مقتنع بالشفاء . . وبعد فترة نقلت من هذا المكان . . لكننى عدت إليه مرة أخرى بعد ١١ سنة ، لأرأس محكمة عسكرية عرفية ، خاصة بنظر دعاوى القبائل . . وإذا برجل طويل القامة ، قوى العضلات يهجم على ويعانقنى بحرارة ويقبلنى فى كل مكان يصل إليه ، وعرفت منه أنه ذلك الشاب النحيل المريض الذى جاء لى يطلب العلاج المناسب لضعفه الجنسى . . ثم قدم لى غلامًا فى العاشرة من عمره وقال لى : هذا ياسيدى ابنى البكر» .

(٥)

هذا هو تكوين نجيب العام وهو تكوين يندر أن يكون متاحًا يومها فى غيره من القيادات البارزة لا فى القوات المسلحة وحدها ولكن فى مصر كلها .

ولو لم يقدر للثورة أن تقوم فى ٢٣ يوليو لكان نجيب قد تولى وزارة الحربية فى أى من الوزارات المتتالية التى كان سيناريو الأحداث يومها يفرض تواليها ، وكان نجيب بلا جدال أحد صمامات الأمن التى كان لابد للسياسة ولرؤساء الوزارات أن يلجئوا إليها بحكم الحنكة السياسية ، وليس هذا رجما بالغيب فمن الثابت أن منصب الوزارة قد عرض على نجيب قبيل الثورة بالفعل .

ولو قدر لنجيب أن يدخل مجلس الوزراء فى ظل الليبرالية كوزير للحربية فإنه كان فى الغالب سيتولى منصب القائد العام للقوات المسلحة إلى جوار المنصب الوزارى أو بعد تركه

الوزارة كما حدث من قبل مع حيدر باشا . . على أن شخصية نجيب وقدراته وفهمه وسعة اطلاعه كانت فى رأيى ستؤهله لأن يتولى أيضًا وزارات أخرى غير الحربية ، بفضل أنه رجل محبوب ، وإدارى ناجح ، ووجه مشرف ونظيف ، ولكن الأقدار سارعت له بهذا كله حين شكل الوزارة قبل أن تنتهى سنة ١٩٥٢ وتولى وزارة الحربية بالإضافة إلى رئاسة الوزارة ثم سارعت له بتولى منصب رئاسة الجمهورية وليكون الرجل الأول فى الدولة فى ظل وجود كل الزعامات التقليدية التى كانت موجودة على الساحة السياسية منذ العشرينات وحتى الأربعينات ، وقد كان نجيب رئيسًا للجمهورية ورئيسًا للوزارة فى ظل وجود الساسة البارزين : النحاس وهيكل وإبراهيم عبد الهادى ومكرم عبيد وعلى ماهر وحسين سرى وفؤاد سراج الدين وحافظ عفيفى والسنهورى ولطفى السيد وأحمد عبد الغفار ، وكان كل من هؤلاء تقريبًا على استعداد للعمل معه ومن خلاله وربما تحت رئاسته ، ولا يستطيع أحد أن يقول إن هذه الروح استمرت مع عبد الناصر فقد كانت الفجوة واسعة جدًا مهما حقق عبد الناصر من إنجازات ، وليس فى هذا أى غمط لعبد الناصر أو لشخصية عبد الناصر ، بل ربما كان العكس هو الصحيح .

أما على مستوى ما يسميه علماء التاريخ بالمواقف المبكرة فإن حظ نجيب وفير جدًا فقد كان نجيب هو الضابط الوحيد الذى ترجم سخطه من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ إلى استقالة قدمها للملك وقد أعاد له الملك الاستقالة مع عبد الله النجومى .

وفى مذكراته يتحدث محمد نجيب عن الحرس الحديدى باشمئزاز شديد بالطبع ، ولكن الغريب أنه يربط الحرس الحديدى بحركة تمرد الجيش فى ١٩٤٧ حيث يقول : « الحرس الحديدى تنظيم كونته السراى ، وأشرف على اختيار أعضائه الطبيب البحرى يوسف رشاد ، ليكون عين السراى على الضباط الوطنيين فى الجيش ، ونجح يوسف رشاد فى تجنيد هؤلاء الضباط بعوامل الإغراء والإرهاب ، ورغم أن حركة ١٩٤٧ كانت بعثًا للحركات الوطنية التى لم تشتعل منذ أحداث ١٩٢٤ ، إلا أن تكوين الحرس الحديدى كان انتكاسة لها . ورغم أن حركة ١٩٤٧ كانت ظاهرة طيبة تثبت أن الجيش لا يزال فى صفوفه رجال يرفعون علم الثورة والتمرد والغضب ، إلا أن تكوين الحرس الحديدى كان فصلاً مؤسفًا لها . وعلى كل حال . . كان الحرس الحديدى بمثابة بقعة صديد على جسم ثوار الجيش فى ذلك الوقت . . كان من السهل على هذا الجسم القوى أن يحتملها ويلفظها » .

ويروى محمد نجيب أنه وقف موقفًا وطنيًا آخر فى ١٩٤٢ فهو يقول : « إذا كان رشاد مهنا هو آخر ضابط رفع سيف التمرد على إبراهيم عطا الله عام ١٩٤٧ ، فإننى كنت أول من فعل ذلك عام ١٩٤٢ . . كنت وقتها مساعدًا لنائب أحكام . . واتهم أنور السادات ، وكان يومها برتبة يوزباشى ، بأنه يعمل جاسوسًا لصالح الألمان ، وجاء والده منزعجًا من التهمة التى أسندت لابنه . وأنا أعرف والد السادات ، كان صديقًا وجارًا لى فى الخرطوم بحرى ، أعرفه من

قبل أن يولد أنور ، أما أنور نفسه فلم أعرفه إلا فى اللواء الرابع ، حيث كنت أنا القائد وكان هو ضابط الإشارة ، واللواء الرابع كان من القوات التى حاربت فى فلسطين ، وكان أنور يتمتع بروح الدعابة ، ويميل إلى تقليد الممثلين ، وقد قلد أمامى ، ذات مرة ، نجيب الريحانى . قال لى والد السادات : الحقنى . . ابنى قبضوا عليه . . فطمأنته . . وكتبت مذكرة رفعتها إلى إبراهيم عطا الله ، قلت له فيها : إنه حتى لو ثبتت تهمة التجسس ضده ، فإنها تهمة ليست ضد مصر ، وإنما ضد عدوتنا بريطانيا . . لصالح الألمان . . ورفض عطا الله مذكرتى . . فهددت بالاستقالة من منصبى كنائب أحكام ، إذا ما حوكم ، لأننى سأعتبر نفسى مقصرًا فى عملى . فاكتفوا بطرده من الجيش . . وخرج أنور السادات من الجيش ليدخل الحرس الحديدى . . وقد حزنت على هذا التصرف منه . . فبعض من رجال الحرس الحديدى، حاولوا ضمى إليهم . . وحاولوا تحريضى على السير فى طريقهم . . وعندما رفضت دعوتهم ، وهددت بالإبلاغ عنهم ، اتهمونى بأننى سأقوم بانقلاب ، مع السيد طه ، ورحت أقابل يوسف رشاد ، زعيمهم ، فى بيته بالجيزة ، قلت له : هل بلغك ما بلغنى عن أكذوبة الانقلاب الذى سأقوم به أنا والسيد طه فإذا به يقول : ليست أكذوبة ، كما علمت ، وإنما حقيقة : قلت : من أبلغك بذلك كذاب . . لأنى لو أنا أردت أن أقوم بانقلاب ، ما أخذت معى السيد طه ، قال : لماذا ؟ قلت : لأنه رغم كونه قائد اللواء الأول فهو لا يتمتع بقدر مناسب من الشجاعة ، حتى إننا فى الجيش نطلق عليه « الضبع الأسود » لأنك كما تعلم الضبع حيوان غير شجاع . قدم لى كأسا من الويسكى . . اعتذرت . . وطلبت كوبا من عصير الليمون . . وانتهت المقابلة » .

(٦)

ولعل الجوانب الإنسانية البسيطة جدًا فى تعبير رئيس جمهورية عن نفسه من أهم ما فى هذا الكتاب فها هو نجيب يتحدث بكثير من الصدق والتواضع والواقعية وطيبة النفس عن كثير من المواقف التى مر بها بعدما أصبح رئيسًا لثورة الجيش وهو يحدثنا عن الكثير من الانطباعات الإنسانية التى كانت تطغى عليه فى كثير من اللحظات ، ويروى مثلاً شعوره يوم خروج الملك فيقول : « وهذا ما كنت أحلم به ، والجماهير تكاد تحمل سيارتى، التى تنقلنى من رأس التين، بعد وداع الملك ، إلى ثكنات الجيش فى مصطفى باشا . . وكان أول ما فكرت فيه فى تلك اللحظات التاريخية . الجنود الذين قتلوا ، وأصيبوا من ليلة الثورة إلى ليلة خروج الملك . فساعة أن اقتحم البكباشى يوسف صديق مبنى القيادة ، فوجىء بمن يطلق عليه النار . . وبعد ربع ساعة من الاشتباك ، أصيب أحد رجاله ، وهو الأومباشى عبد الحليم محمد أحمد، من منقباد ـ أسيوط ، وقتل فى الحال . وفى أثناء صعود يوسف صديق إلى الدور العلوى ، صوب مكتب حسين فريد ، اعترضه الأومباشى عطية السيد دراج من نهطاى ـ الغربية ،

فأطلق عليه يوسف صديق النار ، فأصابه إصابة قاتلة . وفى الاشتباكات التى وقعت صباح اليوم بين قواتنا وقوات الحرس الملكى ، جرح ستة من جنود الحرس الملكى . . وكان من الممكن أن يكون عدد المصابين أكبر لولا حكمة الضابط الذى أصدر أوامره بوقف إطلاق النار واعتقد أن دماء الجنود الستة الذين أصيبوا جعلت الملك يشعر بعدم جدوى المقاومة . . وبالخوف من الحرب الأهلية . . وكانت أحد أسباب الإسراع بتنازله عن العرش . فكرت فى أولئك الجنود . . وأمرت بإرسال الحلوى لهم مع بطاقة خاصة منى ، تحمل لهم أمنيات الشفاء . . وأمرت بصرف مبلغ عاجل كأعانة لأسرتى الجنديين القتيلين .

(٧)

ويحدثنا الرئيس نجيب ببساطة عن نموذج لمأساة الإنسان المسئول فى مصر مع أقاربه ضاربا المثل بنفسه فيقول : « فى ذلك الوقت كان أديب الشيشكلى يحكم سوريا ، هو ومجموعة من الضباط ، وكان علينا أن نختار ضابطا عظيما ليمثل حكومتنا هناك . . فاخترنا على نجيب لهذه المهمة . . وقد وافقت على ذلك بناء على طلب الآخرين . . ودون أى إضافات فى مرتبه . كان على مؤهلا جدا لهذه الوظيفة . . فقد خدم لمدة ١٠ سنوات فى السودان كسكرتير للحاكم العسكرى الإنجليزى هناك . وتصورت أن هذا الاختيار سيفتح النيران علىّ . . لكن . . هذا لم يحدث . . فلا أحد حاول الطعن فى كفاءة على نجيب . . لكن . . ما إن مر هذا القرار على خير ، حتى فوجئت بشقيقتى نجيبة تأتى لى ومعها أوراق منحة حصلت عليها لدراسة الطب فى الولايات المتحدة وعرفت منها أن شقيقى الأصغر محمود حصل هو الآخر على منحة أخرى لتكملة دراسة الطب البيطرى فى إنجلترا . . وفزعت من هذه الأخبار . وحاولت جهدى لمنعهما من قبول هاتين المنحتين . . فبالرغم من ثقتى أنهما يستحقانها ، إلا أننى كنت أعرف أننى وهما سنتعرض للنقد الشديد ، إذا قبلا المنحتين . وقد نجحت فى إقناع نجيبة برفض المنحة ، وقررت أن تبقى فى القاهرة ، وتتزوج . . ولكنى فشلت مع محمود ، الذى أصرَّ على أن يكمل دراسة الدكتوراه ، فى الطب البيطرى من مدرسة جابى ميديكل بلندن . . فأصدرت قرارًا بمنعه من استخدام المنحة ، فرفع قضية ضد وزارة التربية والتعليم ، وكسبها ، وسافر فعلاً » .

(٨)

ويذكر نجيب نموذجًا لمسلكه المبكر فى قيادة الثورة حين كان يخضع لرأى الأغلبية ويروى أنه كان معارضا لقانون الإصلاح الزراعى ولكنه التزم برأى الأغلبية وها هو يقول فى نهاية حديثه عن هذا الموضوع : وقد صدر ، كما قلت ، رغم معارضتى ، ونزولا على رأى الأغلبية . . فقد كنت مع الضرائب التصاعدية ، ومع إعادة توزيع الأرض، بصورة تدريجية ، وليست فجائية . . وكنت أرى أن الضرائب التصاعدية ستجبر الكثير من الملاك على

التخلص من أرضهم التى تخضع لشرائح الضريبة العليا . . وكنت أرى أننا سنعلم الفلاح الذى حصل على الأرض بلا مجهود أو تعب ، الكسل والنوم فى العسل . . وكنت أرى أن تطبيق القانون سيفرض علينا إنشاء وزارة جديدة لمباشرة تنفيذه (هى وزارة الإصلاح الزراعى) وهذا سيكلفنا أعباء مالية وإدارية لا مبرر لتحملها ، وكان من رأيى أن وجود الملاك الجدد بجانب الملاك الأصليين سيثير الكثير من المتاعب والصراعات الطبقية ، وهو ما كنت أحاول قدر استطاعتى أن أجنبه البلاد ، كما أن توزيع الأراضى على عدد أكبر من الملاك سيفرض علينا عيوب تفتيت الملكية ، وسنخفض من الإنتاج الزراعى ، وسيؤثر بالتالى على اقتصادنا القومى . وقلت هذا الكلام لأعضاء مجلس القيادة ونحن نناقش المشروع . . لكنهم قالوا : أنت تنظر إلى المشروع من الزاوية الاقتصادية ، ونحن ننظر إليه من الزاوية السياسية . . إننا نرى أن سرعة الاستيلاء على الأراضى سيدعم مركزنا . . فنحن سنجرد ملاك الأراضى من ثرويهم ونفوذهم ، وسنحولهم من خانة المعارضة لنا إلى خانة الإهمال والظلام ، وكسبت السياسة وخسر الاقتصاد وأقر مشروع الإصلاح الزراعى ، وكان هذا القانون هو أول قانون يصدر بعد أن أصبحت رئيسًا للوزراء » .

ومع هذا فإن نجيبًا يروى لنا فى شىء من التناقض الظاهر مع الفقرة السابقة كيف اقتنع بمشروع قانون الإصلاح الزراعى : « فى الحقيقة لم يكن هذا الكلام سوى محصلة للحوار الذى دار فى منزلى ، قبل ساعات من الإدلاء به ، بينى وبين الاقتصادى الألمانى الكبير ، د. شاخت ، صاحب الشهرة العالمية ، الذى ساعد الاقتصاد الألمانى على النهوض بعد الحرب العالمية الثانية ، كان د. شاخت يزور مصر ، تلبية لدعوة من د. عبد الجليل العمرى ، وزير المالية ، فالتقيت به ، وكان اللقاء فى وقته المناسب ، حيث كنا على وشك تطبيق القانون ، فشرحت له كل مخاوفى من القانون ، ووجهة نظرى حول الضرائب التصاعدية وقلت له : إن ما أخشاه أن يثير القانون الصراع الطبقى بين الملاك القدامى والملاك الجدد ! وقلت له : إن من تؤخذ منه الأرض قسرًا وتعطى للآخرين سيكون عدوًا للثورة وعدوًا للملاك الجدد ! فإذا به يقول لى : إن هؤلاء الأفراد الغاضبين سوف يجيئون بعد ثلاث سنوات ليشكروك ، إذ أن مشروع تحديد الملكية سوف يفيدهم كما يفيد أى إنسان آخر . . وإذا كانوا غاضبين اليوم ، فسيعرفون غدًا مقدار فائدة هذا المشروع لهم ، فإن الطريقة التى كانوا يسيرون عليها ، كانت ستفقدهم كل شىء ، والآن سيوجهون أموالهم إلى مشروعات اقتصادية أكثر فائدة لهم ، وسيتفادون ثورة شيوعية تقضى عليهم ، واقتنعت بالقانون ، واقتنعت بقرار إقالة على ماهر ، واقتنعت بقرار تولى رئاسة الوزراء بدلا منه » .

(٩)

وحديث نجيب فى مذكراته عن الأخوان المسلمين من أهم المصادر لكتابة دورهم فى أول الثورة فهو يتحدث عن الإخوان وموقفهم فى أزمة مارس ١٩٥٤ بمرارة شديدة ، وهو يقول :

«دفعت المخابرات بنص المكالمة إلى جريدة « الأخبار » التى تساند عبد الناصر بكل قوتها . ورغم ذلك لم يعتقل ، ولم يفرج عن أحمد حسين ، ولا عن رشاد مهنا ، بينما أفرج عن حسن الهضيبى ، الذى اتصلت به فقالوا لى : فى الحمام ! وبعد الإفراج عن الهضيبى ذهب جمال عبد الناصر ، لزيارته فى منزله ، فى منتصف الليل ، وفى صباح اليوم التالى ، نشرت الصحف : إنه تقرر الإفراج عن جميع الإخوان ، وإن الإخوان استأنفوا نشاطهم وعقدوا اجتماعا مع المرشد العام لجماعتهم . وأعلن الهضيبى : إننا الآن أقوى مما كنا ! ووقع الإخوان فى الفخ الذى نصبه لهم جمال عبد الناصر ، فقد كان الإخوان هم القوة المرجحة لفوز إحدى القوتين المتنازعتين فى هذه المرحلة ، قوتى ، وقوة عبد الناصر ، وكان على عبد الناصر أن يستميلهم إلى جانبه ، فإذا ما كسب معركته معى ، وسيطر على الحكم استدار عليهم ، وتخلص منهم ، وهذا ما حدث فعلاً . لقد اشتراهم عبد الناصر ليبيعنى ، ثم باعهم واشترى السلطة المطلقة . إن خطأ الإخوان فى هذا الموقف كان خطأ استراتيجيًا ، لأنهم تصوروا أن القضاء على الأحزاب كان لصالحهم ، بحيث يصبحون الحزب الوحيد ، والقوة الوحيدة ، ولم يدركوا ببساطة حكاية العصا الوحيدة التى يمكن كسرها ، ومجموعة العصى التى لا يمكن كسرها معا والتى كنا نسمعها ونحن أطفال ، ولا نزال نرويها لصغارنا إلى الآن . والدليل على ذلك ، أنهم انتهوا إلى السجن والتعذيب والتشريد عندما وصل عبد الناصر إلى الحكم ، بينما كان موقفهم فى تلك الفترة ، ضد الأحزاب ، وضد تعدد الآراء ، حتى إن أحد قادتهم قال للصحف يوم ٢٧ مارس : « فيما يختص بعودة الأحزاب السياسية أملنا ألا يعود الفساد أدراجه مرة أخرى ، لأننا لن نسكت على هذا الفساد بل ولن نطلب تأليف أحزاب سياسية لسبب بسيط هو أننا ندعو المصريين جميعًا لأن يسيروا وراءنا ويقتفوا أثرنا فى قضية الإسلام » . أى أن الإخوان ظلوا على مواقفهم القديمة ، ولم يتعلموا من درس حلهم ، ولا من درس وضع قادتهم فى السجن ، وقرروا أنهم ضد الحياة النيابية ، ومع الحياة العسكرية » .

وبعد صفحتين يروى لنا محمد نجيب أبعادًا أخرى لموقف الإخوان من وجهة نظره فيقول : « قال حسن الهضيبى إنهم لم يتدبروا أمرهم بعد ، وإنهم يفضلون الانتظار والهدوء حتى يتم الإفراج عن كافة المعتقلين ، وقد كان هذا موقف مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين أما جماهير الإخوان التى خرجت لتأييدى فى فبراير بعد استقالتى فى مظاهرات ضخمة لم تشهد مصر مثلها من قبل ، هذه الجماهير التى واجهت نيران الشرطة والبوليس الحربى وخرجت تهتف بعودتى وقت أن كانت قيادة الإخوان فى المعتقلات ، هذه الجماهير لم توافق مكتب الإرشاد على هذه السياسة بل احتل بعض شباب الإخوان المسلمين مركز الإخوان احتجاجًا على ذلك ، وكان هذا بداية الانقسام فى الإخوان المسلمين الأمر الذى ساعد فى القضاء عليهم ، إننى بمنتهى الصراحة لم أتصور أن يغير الإخوان موقفهم ويؤيدوا جمال عبد الناصر ، ومع ذلك ، كان ما فعله عبد الناصر ، هو أهم ضربة سياسية فى حياته ، ولولاها ما وصل إلى الحكم » .

وبعد ١٢ صفحة يقول نجيب فى صراحة شديدة أو فى تشف واضح : « فى آخر مايو اعتقل ٢٥٢ شيوعيًا . واعتقل عدد كبير من الضباط الإخوان فى الجيش ، ولم يلبث أن دفع الإخوان ثمن تأييدهم لعبد الناصر فى أزمة مارس عندما دبر ما سمى بحادث الاعتداء عليه فى المنشية يوم ٢٦ أكتوبر ، واتهم فيها محمود عبد اللطيف » .

وقبل نهاية كتابه يتحدث نجيب أيضًا عن نفس الفترة وعن مأساة الإخوان وكأنه فى هذا الحديث (أو كأن كاتب المذكرات) يريد أن يقوى الإشاعات المتواترة عن تعاون نجيب مع الإخوان قبيل حادث اغتيال عبد الناصر فيقول : « بعد حادث المنشية بدأت مهزلة اعتقال ومحاكمة الإخوان المسلمين ، بدأت هذه المحاكمات قبل اعتقالى بيوم وانتهت بعد اعتقالى بيوم ، ورأسها جمال سالم ، وتمت فى جو من الإرهاب والضغط ، والسخرية بكل شىء ، بالإنسان ، وبالمبدأ ، وبالقيم ، وبكتاب الله أيضًا ، إلى حد أن جمال سالم طلب من بعض أفراد الإخوان المتهمين أمامه أن يقرءوا القرآن بالمقلوب ، كانت مشاعرى معهم ، مع الإخوان ، رغم أنهم تخلوا عنى وعن الديمقراطية ورفضوا أن يقفوا فى وجه عبد الناصر إبان أزمة مارس ، بل إنهم وقفوا معه ، وساندوه ، بعد أن اعتقدوا ، خطأ ، أنهم سيصبحون حزب الثورة وأنهم سيضحكون على عبد الناصر ويطوونه تحتهم ، فإذا بعبد الناصر يستغلهم فى ضربى ، فى ضرب الديمقراطية ، وفى تحقيق شعبية له ، بعد حادث المنشية ، إن الإخوان لم يدركوا حقيقة أولية ، هى أنه إذا ما خرج الجيش من ثكناته فإنه حتمًا سيطيح بكل القوى السياسية ، المدنية ، ليصبح هو القوة الوحيدة فى البلد ، وإنه لا يفرق فى هذه الحالة بين وفدى وسعدى ، ولا بين إخوانى وشيوعى ، وإن كل قوة سياسية مدنية عليها أن تلعب دورًا لصالح القيادة العسكرية الديكتاتورية ثم يقضى عليها ، لكن ، لا الإخوان عرفوا هذا الدرس ، ولا غيرهم استوعبه ، ودفع الجميع الثمن . ودفعته مصر أيضًا ، دفعته من حريتها وكرامتها ودماء أبنائها ، فالسلطة العسكرية ، أو الديكتاتورية العسكرية لا تطيق تنظيمًا آخر ، ولا كلمة واحدة ، ولا نفسا ولا حركة ، ولا تتسع الأرض لها ولأحد غيرها . وكما قلت من قبل . كان حزنى شديدًا على عبد القادر عودة الذى صعد درجات المشنقة شجاعا ، وتذكرت يوم استدعيته قبل ذلك بشهور فى شرفة القصر الجمهورى بعابدين ليطل معى على أنصاره فى الميدان ، ويطلب منهم الانصراف بهدوء بعد أن قلت لهم إن عودتى هى عودة الحياة البرلمانية وإن المسئولين عن جرحاهم سوف يحاسبون ، والتحول من العمل الجماهيرى إلى الإرهاب أعطى دلالة بالغة على فقدان الثقة فى الشعب وهو ما سقطت فيه قيادات الإخوان المسلمين ، ولم يدفع الإخوان الثمن بمفردهم ، دفعه شباب مصر ، ورجالها ، ودفعه أيضًا أبنائى ، فالإرهاب يولد إرهابًا ، والدم يفجر الدم ، والقسوة تعشق القسوة ، والديكتاتورية العسكرية لا تحكم إلا بدولة المخابرات » .

(١٠)

على أن الرئيس نجيب وهو فى هذه المذكرات رئيس سابق بعيد تمامًا عن الحكم لا يجد أى حرج فى أن ينتقد السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط وفى مصر ، وهو يجاهر بموقف قوى ضد الأمريكان فى بداية الفصل الثالث عشر ويقول فى وضوح تام : « قبل أن توقع اتفاقية ٢٧ يوليو مع بريطانيا ، كانت أمريكا تسعى إلى ملء الفراغ الذى سيتركه الإنجليز فى مصر ، كانت أمريكا تحلم بميراث الإمبراطورية العظمى . ولكن الأمريكان كانوا يريدون أن يحصلوا على مصر مجانًا ، أو ببضعة [أجوال] من قمح المعونة ، ولم يكونوا على استعداد لأن يدفعوا أكثر من ذلك ، كأن يمدونا السلاح مثلاً .

وعلى النقيض من هذا الموقف يجاهر الرئيس نجيب فى هذه المذكرات بموقفه الإيجابى والمتعاطف مع اليهود المصريين ويقول : « فى تاريخ مصر الحديث يهود وصلوا إلى أعلى مراكز الدولة ، كانوا مثلا وزراء . وحتى عام ١٩٥٥ كان يعيش فى مصر حوالى ٨٥,٠٠٠ يهودى ولدوا فيها ، وكانت لهم نفس الحقوق التى يتمتع بها باقى المصريين ، فقد كانت الثورة حريصة فى البداية أن تفرق بين الصهيونية واليهودية ، وبين إسرائيل والمجتمع اليهودى الذى يعيش فى مصر ، وعند افتتاح شيكوريل اليهودى محله الجديد ، بعد الذى احترق فى حريق القاهرة ، أرسلنا أحمد أنور قائد البوليس الحربى مندوبا عن القيادة ليحضر الافتتاح ، وأكثر من مرة حرصت على أن أزور معابد اليهود فى القاهرة والإسماعيلية فى يوم كيبور ، وأمضيت وقتا طويلاً مع الحاخام الأكبر حاييم ناحوم الذى كان عضوا فى مجمع اللغة العربية والذى كنت أدعوه دائماً لحضور المناسبات الرسمية مع شيخ الأزهر ، وبطريرك الأقباط » .

وفى هذه المذكرات يروى لنا محمد نجيب رأيه الواضح فى حرب فلسطين وربما نعجب أن يكون هذا رأى كبار الضباط [أو واحد على الأقل من كبار الضباط] فى هذا الوقت وها هو نجيب يصرح برأيه فيقول : « عندما قامت هذه الحرب ، كنت معارضا لها من الرصاصة الأولى ، فلم يكن هناك شيء يمكن أن نكسبه من ورائها ، بل بالعكس ، كان هناك الكثير مما سوف نخسره ، بسبب ضعف قوتنا العسكرية . لقد كان من الأفضل لنا أن نخوض حرباً من حروب العصابات ، مع بقية فصائل المقاومة العربية ، فهذه الطريقة كانت ستمنع تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، صحيح أنه لن يكون بمقدورنا ، مع حرب العصابات ، أن نكسب الجولة ، لكن ، على الأقل لم نكن لننهزم هذه الهزيمة الساحقة . إننا باشتراكنا العلنى فى حرب فلسطين ، أعطينا الصهاينة ذريعة ليمارسوا حقهم ، كأقلية ، فى الحرب من أجل البقاء فى أرض لا علاقة لهم بها . وكانت هذه الحرب فى حقيقتها عبارة عن سلسلة من الهدنة تتخللها معارك بسيطة ، وكانت فترات الهدنة الطويلة تستغل لصالح اليهود » .

ويكرر محمد نجيب هذا الرأى فى كتابه فى موضع آخر يأتى بعد ٢٥٠ صفحة من الموضع

الأول فيقول : « رغم أنني حاربت في فلسطين ، وجرحت فيها حتى كدت أموت ، وحصلت فيها على أعلى وسام ، إلا أنني أرى أننا تورطنا فيها ، دون استعداد حقيقي ، كانت مظاهرة سياسية للملك فاروق » .

(١١)

ويلخص لنا محمد نجيب في فقرة رائعة تصاعد أو تنامي قلق قادة الثورة على حياتهم ومستقبلهم بعد واقعة اعتراض البكباشي حسني الدمنهوري الضابط باللواء الرابع على القبض على ضباط المدفعية وهو ما دفع أعضاء مجلس القيادة إلى أن يفكروا في إعدامه ، ونجيب هنا يلقى الأضواء من وجهة نظره على هذا الموقف فيقول : « اعترض حسني الدمنهوري هو الآخر على اعتقال ضباط المدفعية ، وطلب من رئيس الأركان اللواء محمد إبراهيم أن يفسر له ما حدث ، فقبض عليه في منزله ، وحققت معه لجنة من عبد اللطيف البغدادي وعبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وصلاح سالم ، واتهموه بأنه كان يعد مؤامرة للانقضاض على مجلس القيادة ، والإفراج عن الضباط المعتقلين. وعرفت من جمال عبد الناصر أن حسني الدمنهوري سيحاكم أمام مجلس القيادة ، فاعترضت ، وقلت له : كيف تكون الخصم والحكم ؟ لكنه قال : فات الوقت ، إننا سنجتمع بعد ساعة واحدة ، أي في السادسة صباحا ، ويحسن أن يحاكم الدمنهوري بهذه الصورة حتى لا تكون محاكمته خارجنا موضوعًا للإثارة في صفوف الجيش في هذا الوقت الحرج . ورأس جمال عبد الناصر المحكمة ، التي حضرها كل أعضاء مجلس القيادة ما عدا يوسف صديق وعبد المنعم أمين ، وخالد محيي الدين ، وأنور السادات ، وأصدرت الحكم بالإعدام .

وأبلغني عبد الناصر بالحكم ، وطلب مني التصديق عليه ، لكنني رفضت وحاول إقناعي ، إلا أنني صرخت فيه قائلاً : « إنني لا أريد أن أمضي في طريق مفروش بدماء الزملاء من الضباط . واقتنعت بصحة موقفي أكثر عندما أخبرني اليوزباشي محمد أحمد رياض أنه شاهد البكباشي حسني الدمنهوري وهو يتعرض لتعذيب شرس وإهانة قاسية من صلاح سالم ، حتى يدفعوه للاعتراف بمؤامرة لم يرتكبها ، ولم يفكر فيها ، وتحمل الدمنهوري كل هذا العذاب النفسي والبدني ، ورفض الاعتراف . . . لقد أصبحنا مثل السمك نأكل بعضنا . وأصبح أعضاء القيادة في حالة خوف وفزع وتوتر لا ينتهي ، كانوا يخشون من أي انقلاب يطيح بسلطانهم وبنفوذهم ، وكانوا على أتم الاستعداد ليفعلوا أي شيء لا يوصل غيرهم إلى السلطة . وانتقلت أحاسيسهم المريضة وتصرفاتهم العصبية من داخل الجيش إلى خارجه » .

(١٢)

كما يلخص لنا الرئيس نجيب في هذه المذكرات الطريقة التي كانت تدفع بالوزراء المدنيين إلى الاستقالات المتكررة بسبب عدم نضج قرارات الثوار لنقص خبرتهم فيقول : « وفي يوم

عرفت أن مجلس القيادة اجتمع ، اجتماعا عاجلا ، وسريعا ، حتى إنهم من شدة الأهمية ، ومن ضرورة السرعة ، لم يستدعونى وكان الموضوع الذى سيناقشونه هو : تحديد سعر الطماطم فى السوق ، وكان بطل هذا الاجتماع صلاح سالم ، الذى اعتبر أن تسعيرة الطماطم فى ذلك الوقت أهم من خروج الإنجليز ، أو على الأقل هى الخطوة الأولى لتحرير مصر ، وانتهى الاجتماع بتحديد سعر الطماطم ، فأرسل صلاح سالم التسعيرة ومعها توجيهات حاسمة إلى بعض الضباط لمراقبة تنفيذها فى الأسواق ، بدعوى حماية الجمهور من جشع التجار ، تجار الخضار الذين يفرشون الأرض ، ويجرون عرباتهم الخشبية بأيديهم ، ودون أن يخبروا أجهزة التموين ، وغضب وزير التموين فريد أنطون من هذا التدخل الذى لا معنى له ، ولم يجد مفرا من أن يقدم استقالته ويترك الضباط يرصدون حركة الطماطم والبطاطس والكوسة بأسلحتهم ، وبعد أن استقال وزير التموين ، استقال وزير الخارجية أيضًا ، كان وزير الخارجية فى ذلك الوقت هو فراج طايع ، وكان السبب تدخل جمال عبد الناصر ، هذه المرة ، فى عمله ، أراد جمال عبد الناصر أن يعين عزيز المصرى سفيرًا لمصر ، وكان عزيز المصرى فوق السبعين من عمره ، أى فى عمر أكبر من الحد الأقصى لسن تعيين السفراء ، فطلب من وزير الخارجية رفع سن المعاش للسفراء إلى ٧٥ سنة ، حتى يجد فرصة لعزيز المصرى . لكن الوزير رفض ، واستقال ، وكاد أن يستقيل أيضًا وزير المالية ، د. عبد الجليل العمرى . وكان السبب هذه المرة جمال سالم ، كان د. العمرى مريضًا ، وأراد جمال سالم أن يتدخل فى شئون بورصة القطن بحجة غياب الوزير ، فرفضت ، لكنه أصر وتحت ضغط زملائه ، اتصلت بالدكتور العمرى لإبلاغه الخبر فى ثنايا مكالمة تليفونية ، كانت أصلاً للاستفسار عن صحته ، سألته : ما رأيك فى اتخاذ قرار بشأن أسعار البورصة ، وما رأيك فى ، وقبل أن أكمل كلامى ، رد الرجل فى حزم : إننى أقدم استقالتى فورًا ، فوضعت السماعة على أذن جمال سالم ليسمع بنفسه ، وبعدها تقرر إرجاء الموضوع حتى يشفى الوزير من وعكته الصحية » .

ويروى لنا الرئيس نجيب فى مذكراته أنه أحس مبكرًا أن الجيش هو الآخر قد بدأ يتململ مبكرا من تصرفات الضباط وهو يعبر عن هذا المعنى بفقرات كثيرة منها قوله : « وانتقل الإحساس بالسخط على عبد الناصر ومجموعته من خارج الجيش إلى داخله أيضًا ، فقد بدءوا حركة كبيرة من التنقلات والوقف والترقيات الاستثنائية ، جعلت أغلبية الشرفاء فى الجيش يحتجون على تصرفاتهم ، ووصل الأمر بهم إلى حد أن ضرب صلاح سالم بحذائه ضابط مخابرات شابا اسمه محمد وصفى ، ابن الأميرالاى وصفى مدير سلاح الحدود الأسبق ، أثناء التحقيق معه ، حتى نزف الدم منه ، ومات بعد ذلك » .

(١٣)

على أن هذه المذكرات تدلنا فى وضوح شديد على أن نجيبًا لم يكن يطالب بالقيادة الجماعية أو الديمقراطية على نحو ما يحلو للبعض تصويره ولكنه كان كرجل دولة محنك وكعسكرى ملتزم

وكموظف بدأ السلم الوظيفى من أدناه إلى أعلاه يؤمن بما هو أهم من ذلك فى نظره وهو تحديد الاختصاصات وهو على سبيل المثال يقول : « كنت مقتنعا بأن أى جهاز حكم سواء أكان حربيا أم كان مدنيا ، لابد وأن يعتمد على علاقات واختصاصات ومهام واضحة ومحددة ، على كافة مستويات القيادة ، وكنت مقتنعا أن عبد الناصر ورفاقه لا يريدون ذلك ، وكانوا فى أسلوبهم فى الحكم كمن يخلط الزيت على الماء . وإذا كان للقيادة الجماعية بعض المميزات فإن عيوبها أكثر ، وأخطر هذه العيوب أن يظهر شخص مثل جمال عبد الناصر ينجح فى تحريك المجموعة من تحت المنضدة ، لتصوت حسب أهدافه وأغراضه ، كما حدث ، ونتج عن ذلك أيضًا تعدد السلطات وتضاربها وعدم التنسيق فيما بينها » .

(١٤)

وفى صوت عال لا ينقصه الوضوح يتهم نجيب مَنْ جاءوا بعده بالتفريط فى أرض مصر والتنازل عنها للسودان فيقول : « بل إن من جاء بعدى ، لم يكتف بفصل السودان عن مصر ، بل ووصل إلى حد التفريط فى أرض مصر والتنازل عنها للسودان ، وأقصد بذلك ، مساحة الأرض التى تصل إلى ١٨٠٠ كيلو متر مربع ، عند بئر الشلاتين ومرسى حلايب ، وتقع بين البلدين ، فقد استولى الإنجليز على هذه الأرض عام ١٩٠٢ ، بعد أن تصوروا أن بها ذهبا ، واستندوا فى تصورهم على آثار قدماء المصريين التى كانت موجودة هناك ، وعندما فشل الإنجليز فى العثور على الذهب ، طالبوا بضم هذه المنطقة للسودان ، بحجة أن بها قبائل البشارية السودانية ، وفى المقابل أخذوا من السودان ١٨٠ كيلو متر مربعا ، وهى منطقة تعيش فيها قبائل العبابدة ، بحجة أنها قبائل مصرية وضموها إلى مصر ، واعترفت مصر بذلك بعد أزمة ١٩٥٨ بين مصر والسودان ، والتى كاد عبد الناصر فيها أن يحارب السودانيين» ويعقب الرئيس على هذه الفقرة التى يرويها هكذا على مسئوليته ودون أن تلزمنا بأى شىء فيقول : « إن مشكلة جمال عبد الناصر وصلاح سالم ، وباقى مجلس الثورة ، مع السودان ، هى أنهم لم يعرفوا ، ولم يفهموا أهله ، ولم يتصوروا أهميته بالنسبة لمصر ، فتصرفوا وكأنهم سياح وليسوا أبناء واد واحد » .

(١٥)

وفى الأجزاء المبكرة من هذه المذكرات يحدثنا نجيب عن واقعة طريفة تدل على مدى التسامح الذى كان بين الأسرة المالكة وبين أفراد الشعب فيقول : « أذكر أن أمى وأختى كانتا مدعوتين فى حفل شاى لأسر ضباط الحرس بمناسبة افتتاح البرلمان فى قصر عابدين ، لكن بدلا من أن تدخلا مقر الحرس ، دخلتا الحرملك ، خطأ ، ودخلتا جناح الملكة والأميرات ، واستقبلهما ، أحد الأغوات وأوصلهما إلى الملكة بعد أن تصور أنهما تريدان رؤيتها ، بعد أن قدمت أمى كارتا يحمل اسمى ، كنت قد أعطيته لها حتى يسمحوا لها بدخول القصر ،

واستقبلت الملكة أمي وأختي ، بعد أن أخذت من الأغا الكارت وأكرمت استقبالها ، وحملت كلا منهما بالهدايا ، ووعدت برد الزيارة لهما ، وأعتقد أن الملكة فهمت الكارت خطأ ، لم تتصور أن محمد نجيب ضابط في الحرس الملكي ، وتصورت أنه باشا من باشوات مصر ، في هذه الليلة بكت أمي على الخطأ الذي وقع ، وتصورت أنهم سيعاقبوننى على ذلك ، أما أنا فكنت مكسوفًا من أن تأتى الملكة إلى بيتنا المتواضع جدًا . بعد عدة أيام جاء ضابط بوليس إلى بيتنا وأعلن وصول بعض الوصيفات . كمقدمة لاقتراب وصول الملكة ، فأفهمت الضابط بالخطأ الذى وقع . وطلبت منه أن يعتذر للملكة وأن يشرح لها بطريقة مهذبة ما حدث ، ويبدو أن هذا حدث فعلاً ، لأن الملكة لم تأت ، وتصورت أنهم لابد أن يعاقبونى على هذا الخطأ ، لكن هذا لم يحدث » .

(١٦)

أما عبد الناصر فإنه يحظى بكثير من انتقادات نجيب ضمن السياق فهو يتحدث عن دوره في حرب فلسطين بالطريقة التى تدين عبد الناصر ولا تشرفه فيقول على سبيل المثال : « وفى خلال شهور الحرب لم يلفت جمال عبد الناصر انتباهي لكنى أتذكر أنه كان يحب الظهور ويحب أن يضع نفسه فى الصفوف الأولى والدليل على ذلك ما حدث فى الفالوجا ، كنا نلتقط صورة تذكارية فى الفالوجا ، ففوجئت بضابط صغير ، يحاول أن يقف فى الصف الأول مع القواد ، وكان هذا الضابط جمال عبد الناصر ، ولكنى نهرته وطلبت منه أن يعود لمكانه الطبيعى فى الخلف . وعرفت منه ، بعد ذلك ، أنه لم يحارب فى عراق المنشية ، كما ادعى ، ولكنه ظل طوال المعركة فى خندقه لا يتحرك ، وفى الحقيقة كان الجنود السودانيون هم الذين حاربوا فى هذا المكان ونجحوا فى الاستيلاء على ١٣ دبابة من اليهود ، والمعروف أن السودانيين مغرمون بكتابة الشعر ، وقد سجل بعضهم تفاصيل القتال الذى دار فى عراق المنشية فى قصائد طويلة ، وصفوا فيها عبد الناصر وصفًا غير لائق بضابط مصرى » .

ويتحدث عن نشاط عبد الناصر السياسى قبل الثورة بطريقة مبتسرة وإن كان يذكر أنه كان على علاقة بالإخوان وأنه كان بينه وبينهم تاريخ طويل ، قبل الثورة ، وكان اسمه الحركى عندهم زغلول عبد القادر ، وقد اكتشف الإخوان ، كما قال حسن عشماوى فى مذكراته : «الإخوان والثورة » إن عبد الناصر كان قبل أن يعرفهم ، عضوا فى خلية شيوعية ، وكان اسمه الحركى فيها : « موريس» .

ويلخص الرئيس نجيب تقييمه لعبد الناصر كرئيس فى سطور قليلة فيقول : « إن عبد الناصر الذى كنت أحترمه ، كان شابا صغيرا ، ذا قدرات متميزة ، وقد اقترحت عليه أن أدير وأقود البلاد لعدة سنوات إلى أن يكتسب الخبرة اللازمة التى تمكنه من أن يخلفنى فى الرئاسة ، وأكدت له فى ذلك الوقت أننى سأكون سعيدًا أن أستقيل من أجله ولصالحه ، وخيرته فى

ذلك ، أو أن أستقيل حالاً ، حتى لو أدى الأمر إلى خلق أزمة داخلية لأننى لم أعد أتحمل ، أو أتسامح عن الأخطاء التى يرتكبها أعضاء المجلس ، ولم يختر عبد الناصر » .

(١٧)

تخلو مذكرات نجيب من التعريض بأى من زملائه على أى مستوى باستثناء حسين سرى عامر ورشاد مهنا فى مواقف معدودة ومحددة . . ثم جمال عبد الناصر وصلاح سالم كذلك ، ويحرص نجيب على إدانة حسين سرى عامر فى مواقف كثيرة ، لعل أبرزها ما يذكره من أنه فى ١٩٥٢ قام حسين سرى عامر ، ببيع البترول والذخيرة ، ومخلفات الحرب العالمية بالصحراء الغربية إلى جماعة من اليهود فى غزة ، وأنه ارتكب بذلك جناية تستحق العقاب وتصل إلى حد الخيانة العظمى ، ويذكر نجيب أن هذا كان السبب وراء قيام عبد الناصر بمحاولة اغتيال حسين سرى عامر الشهيرة .

كذلك يروى نجيب واقعة يدين بها رشاد مهنا فى موقف له حدث من قبل الثورة وهو طلبه الابتعاد عن القاهرة بعدما أصبح عضوا فى مجلس إدارة نادى الضباط ويقول نجيب فى مذكراته بوضوح شديد « ووسط هذا الغضب المتبادل بيننا وبين الملك فوجئت بخبر غريب جدًا ، عرفت أن رشاد مهنا نقل من القاهرة إلى العريش ، تصورت أنها مؤامرة لإبعاده ، فأسرعت إلى مكتب حيدر محتجا ، فقال لى : صدقنى يانجيب أنا لا أعرف شيئًا عن هذا الخبر ، ورفع سماعة التليفون وطلب مدير سلاح المدفعية ليعرف منه الحقيقة ، وعندما وضع السماعة مكانها ، قال : رشاد مهنا نقل للعريش بناء على طلبه ، ولم أصدق هذا الكلام ، وقلت بينى وبين نفسى إنها ألاعيب كبار الضباط ، ونزلت من عند حيدر إلى بيت رشاد مهنا ، وقابلته ، وللأسف ، تأكدت أن الخبر صحيح ، وأن رشاد مهنا هو الذى طلب نقله ، وكان تبريره هو أنه فضل الابتعاد عن القاهرة فى وقت يطاردنا فيه الملك ، ويحاول سحقنا . وأحسست بصدمة ، خاصة وأن رشاد مهنا كان رجلاً له تاريخ مشرف ولم أقتنع بتبريره » .

وهو لهذا لا يلجأ فيما بعد هذا بصفحات طوال إلى إجهاد نفسه فى تقييم ونقد رشاد مهنا بعد قيام الثورة وإنما هو يضع الأمر فى تصوره الطبيعى نتيجة معرفته القديمة به فيقول : « ولم تمر عشرة أسابيع حتى وقع الخلاف بيننا وبينه ، فقد تجاوز رشاد مهنا حدود سلطته الدستورية ، بالتدخل فى شئون تطهير الأحزاب والهيئات السياسية ، وبالاتصال بالوزراء وإقحام نفسه فى شئونهم ، وبالاتصال برجال الصحافة ومناقشة الأمور معهم والاعتراض عليها . كما أنه كان أيضًا يسعى لإحياء الخلافة الإسلامية ليكون هو على رأسها ، لقد اعتدى رشاد مهنا على نصوص الدستور التى حددت سلطاته فى صراحة ووضوح ، ونسى أنه مجرد عضو فى هيئة تمثيل الملك الذى يملك ولا يحكم ، وفى يوم من أيام شهر أكتوبر ١٩٥٢ ، اتصلت به فى مكتبه بقصر عابدين ، لتهنئته بمولود رزق به ، ولتحديد موعد أراه فيه ، لتكون التهنئة مباشرة ، وجها لوجه ، فإذا به يصرخ فى وجهى ، ويقول : أريدك أن تأتى إلى مكتبى

فى القصر ومعك السيد سليمان حافظ نائبك لمقابلتى . كنت أيامها رئيسًا للوزراء . وتعجبت من هذا الاستدعاء ، ورغم ذلك ، قررت أن أستجيب له ، لأنه صادر من أحد الأوصياء ، الذين لهم بحكم مناصبهم اتخاذ مثل هذه الخطوة . وتوجهت فعلاً ، أنا وسليمان حافظ إلى القصر ، وقابلت رشاد مهنا فى مكتبه أكثر من ساعة . كان رشاد مهنا ثائرًا جدًا ، يتحدث إلينا فى عنف ، ويضرب المكتب بقبضة يده ، ونحن نسمع ولا نعلق ، قال رشاد مهنا : إننى أحب أن تعرف أن رشاد مهنا ليس بصمجيا ، إننى لا أقبل أن أجلس هنا أوقع المراسيم التى ترسلونها إلينا فحسب ، إننى ألاحظ أن الوزارة تتخذ خطوات كثيرة لا أعرف عنها شيئًا ، ولا يعرض علىّ من أمرها أية تفصيلات ، إنك ياىنجيب تستقبل ستيفنسون (السفير البريطانى) وكافرى (السفير الأمريكى) وتستدعى من السودان أقطابه ، وتتباحث مع الجميع دون علمى مع أننى واحد منكم ولابد أن يؤخذ رأيى فى كل شىء . وقلت له فى هدوء : أنت ثائر الآن ، وأنا أفضل أن أتركك بضعة أيام حتى تستعيد هدوءك . لكنه ازداد انفعالاً وقال فى ثورة شديدة : اعلموا أننى لن أكون طرطورًا .ولا أعرف ما الذى دفع رشاد مهنا إلى أن يقول مثل هذا الكلام ، ورغم ذلك ، حاولت أن أوضح له الأمر ، عندما انتقلت إلى مكتب الأمير محمد عبد المنعم ، ومعنا بهى الدين بركات ، لكنه أصر على موقفه ، وشاركه بهى الدين بركات ، حاولت توضيح الموقف الدستورى لهم ، لكنهم لم يقتنعوا ، وأصر رشاد مهنا على أن يقدم استقالته ، وبقى الأمير محمد عبد المنعم صامتًا ، وأعلن بهى الدين بركات أنه سيستقيل هو الآخر ، لقد أوصل رشاد مهنا الأمر إلى سكة مسدودة ، فاتخذنا قرارًا بإقالته وتحديد إقامته ، واقترحت على مجلس الوزراء أن نكتفى بوصى واحد هو الأمير محمد عبد المنعم، بعد أن أصر بهى الدين بركات على الاستقالة » .

(١٨)

وعلى النقيض من موقف الرئيس نجيب [المعادى] لرشاد مهنا نراه معجبا بمواقف يوسف صديق وهو يذكر من هذه المواقف موقفه مثلاً عقب القبض على ضباط المدفعية فيقول : «وبمجرد أن قبض على ضباط المدفعية قدم يوسف صديق استقالته ، وقال : « إن ضميره لا يمكن أن يستقيم وهو عضو فى مجلس يصدر قرارات تخالف أفكاره وعقيدته ، ولا يستقيم الأمر بأن قرارات المجلس تصدر بالأغلبية ، فإن المجلس فى ذاته لا يمثل الشعب ولا يمثل الجيش أيضًا » . ورفض المجلس إعلان استقالة يوسف صديق ، وأجبر على الرحيل إلى سويسرا فى مارس ١٩٥٣ ، بعد حوالى شهرين تقريبًا ، ويعقب الرئيس نجيب على هذا بقوله : « كان يوسف صديق يدعو للتمسك بالدستور ويطالب بدعوة البرلمان المنحل للانعقاد لتعيين مجلس الوصاية ، كان مع كل ما هو دستورى ، رغم أنه كان شيوعيًا » . وهكذا نجد هذه المذكرات تعانى من نفس العقيدة التى تسيطر للأسف على كثيرين من أن الشيوعية تتضمن سلفًا عدم الاعتراف بالدستور .

وينتقد الرئيس نجيب فى مذكراته فى مرارة شديدة سياسة صلاح سالم فى السودان ويقول ضمن ما يقول : « وتصور (أى صلاح سالم) أنه بالرقص والنقود يمكن أن يكسب السودانيين ، وكانت النتيجة أن بعثر النقود ، وبعثر احترامنا فى السودان ، تصور أنه يمكن أن يرشى السودانيين ، ولكنه كان مخطئًا ، كذلك تصور أنه يمكن استمالة زعمائه ، باستضافتهم فى مصر ، ومنحهم البيوت والفيلات ، وقد بنى هذا التصور الخاطئ بعد أن نجح فى أخذ اعتراف من على المرغنى بوحدة وادى النيل ، بعد أن ظل يرفض الاعتراف بذلك ، وكان سر هذا التحول فى موقف هذا الرجل الذى لم يكن من أصل سودانى ، [السرايا] التى أعطوها له فى الإسكندرية ، واتضح فى النهاية أنه أحد عملاء المخابرات البريطانية . هذا فى الوقت الذى كان صلاح سالم يتعامل بسخافة مع أنصار الاتحاد الحقيقيين مع مصر » .

(١٩)

وفى هذه المذكرات يعترف نجيب بشىء لابد أن ننتقده فيه ، فهو يظن أن تجديد الأزهر كان يتوقف على إبعاد المسنين فحسب ، مع أن الأزهر لا يستغنى شأنه شأن أى معهد علمى عن هؤلاء ، وها هو الرئيس نجيب يقول : « وأحسست أن الأزهر يجب أن يجدد دمه بشباب مشايخه ، الذين دفعهم الاستقرار إلى الجمود وعدم ملاحقة العصر ، فأصدرت قرار حل هيئة كبار العلماء ، وحددنا سن العضوية فيها ما بين ٤٥ إلى ٦٥ عاما ، فخرج ثلاثة من مشايخ الأزهر السابقين هم الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ إبراهيم حروش والشيخ خضر حسين وكانوا جميعًا فوق السبعين » .

كما يعترف نجيب بقصور فهمه للتحول الاجتماعى ، ولابد لنا أن نحمد هذا الاعتراف المهم وأن ننبه إليه لكى يأخذ كل مسئول درسًا فى ضرورة الإلمام بمثل هذه الجوانب المهمة من السياسات وصناعتها ، وها هو الرئيس نجيب يقول كما يعترف نجيب فى مذكراته بأنه قد يكون قد أخطأ ولكنه مرتاح الضمير وهو يقول بكل صراحة وتواضع : « كل ما أعرفه هو أننى أعطيت لمصر كل ما كنت أملك من حب وإخلاص ووفاء ، وكل ما أعرفه هو أننى فعلت المستحيل لينصلح حالها ، ولترفرف الديمقراطية إلى جانب علمها ، وإذا كنت قد أخطأت فبحسن نية ، وجل من لا يخطئ . وإذا كنت قد أخطأت ، فإن خطئى لم يكن سوى قطرة ماء إذا ما قورن بمحيط العذاب الذى غرقت فيه ، من يوم أن خرجت من قصر عابدين فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ حتى الآن » .

وهو يتحدث عن آلامه الخاصة بطريقة مأساوية وقد يكون له الحق فى ذلك ولكن كان يمكن لهذا الكتاب أن يكون أكثر قيمة حتى من دون هذه الفقرات ، ولكن رواية مثل هذه الفقرات عن مذكرات نجيب ربما تعطينا بعض التصوير الصادق لمشاعر الزملاء تجاه بعضهم وهذا هو الرئيس السابق نجيب يقارن بين ما آل إليه حاله وبين حال الملك فاروق من قبل

وكأنه يريد أن يصفعنا جميعا بهذه العبارات التى يقول فيها : « لم يحافظ عبد الناصر لا على الأصول ولا على التقاليد ، أنا الذى فعلت كل هذا من أجله ومن أجل مصر ومن أجل الثورة، تعاملوا معى كأننى لص ، أو مجرم ، أو شرير ، لم يتصل بى عبد الناصر ، لم يقل لى كلمة واحدة، ولم يشرحوا لى ما حدث ، ولم يحترموا سنى ولا رتبتى ولا مركزى ولا دورى ، وألقوا بى فى النهاية فى أيدٍ لا ترحم وقلوب لا تحس ، وبشر تتعفف الحيوانات من الانتساب لهم . ما أقسى المقارنة بينى وبين فاروق عند لحظات النهاية والوداع ، ودعناه بالاحترام وودعونى بالإهانة ، ودعناه بالسلام الملكى والموسيقى ، وودعونى بالصمت والاعتقال ، ودعناه بالمصافحة وودعونى بإعطاء ظهورهم لى » ، ومع هذا فإن الرئيس « نجيب » ينظر إلى جانب مضيء من القضية وها هو يصبر نفسه أو يعزيها ويقول : « ولكن ، للحقيقة التى عاشتها الأجيال المعاصرة أقرر أن الدوائر دارت عليهم ، وخرجوا من دائرة السلطة إلى دائرة الوحدة ، ومن النفوذ إلى النسيان ، ومن الضوء إلى الظل ، وانتهى الأمر بهم إما إلى الاستقالة وإما إلى الانتحار . اللهم لا شماتة ، لكن علينا أن نستوعب الدرس وأن نحفظه ولا نفرط فى التجربة التى عشناها ودفعنا فيها ثمنا باهظًا ، إننى أعتقد أحيانًا أن حظى كان أفضل من حظ باقى أعضاء مجلس الثورة ، فذنوبهم كانت أكثر من ذنوبى ، وخطاياهم كانت أشد ، وما فعلته لم يجرءوا أن يفعلوه ، لقد قنعت بإقامتى فى معتقل المرج ، وتآلفت مع كل ما فيها ، قرأت الكثير من الكتب فى كل فروع المعرفة من الطب إلى التاريخ ، ومن علم الكف إلى علم الفراسة ، ومن علوم الأحياء إلى الجيولوجيا ، كل فروع المعرفة بلا استثناء » .

(٢٠)

وتتحدث هذه المذكرات فى مواضع مختلفة عن لقاء نجيب بكثير من الشخصيات التاريخية :

١ ـ قال إبراهيم بن أحمد عرابى لنجيب حين علم برغبته فى الالتحاق بالكلية الحربية « إن الضابط فى بلد محتل ليس إلا مقاول أنفار أو رئيس فعلة كل عمله الحفر والردم لا أكثر ولا أقل» .

٢ ـ كان إبراهيم عبود (رئيس السودان فيما بعد) زميلاً لنجيب فى المدرسة الحربية وفى الوحدة العسكرية وفى فريق الملاكمة وهو الذى أبلغ نجيبا (حين كان يخدم فى السودان) بقيام ثورة ١٩١٩ فى مصر .

٣ ـ كان نجيب معنيًا بالتعرف على على عبد اللطيف وترصد أخباره ، وعرف أنه مسجون فى القاهرة فى مستشفى الأمراض العقلية ، وزاره نجيب ولم ير عليه أى علامة من علامات الجنون، كذلك كان نجيب على علاقة بالأميرالاى السيد فرح ، وبأعضاء جمعية اللواء الأبيض ووكيلها عرفات محمد عبد الله الذى كان زميله فى كلية غوردون .

٤ ـ يذكر نجيب أيضًا أنه قابل النحاس باشا فى ١٩٢٩ ، وأنه سعى إليه ليقول له «إن الجيش وراءك » وذلك فى حضور مكرم عبيد وأن النحاس قال له : « أنا أفضل أن يكون الجيش بعيدًا عن السياسة ، وأن تكون الأمة هى المصدر الوحيد للسلطات ، وإن كنت فى نفس الوقت أتمنى أن يكون انتماء الضباط للوطن وللشعب أكثر من انتمائهم للملك » .

٥ ـ يذكر نجيب كذلك علاقته المتميزة بالنقراشى « فكثيرًا ما كان النقراشى باشا يأخذ رأيى فى الأمور التى كانت تتعلق بالسودان ، وكثيرًا ما كان يسألنى رأى أخى على نجيب فى الأمور التى لم أكن أعرفها ، لأن عليا كان سكرتيرًا للحاكم العسكرى السودانى لمدة ١٠ سنوات . وعندما ذهب النقراشى لعرض قضية مصر على مجلس الأمن عام ١٩٤٧ حمل معه كتابى رسالة عن السودان الذى كتبته عام ١٩٤٣ » .

٦ ـ يعدد نجيب أسماء منافسيه فى رئاسة نادى الضباط : « ويوم الانتخابات كان ينافسنى على رئاسة النادى ، ثلاثة ضباط آخرين هم : اللواء حافظ بكرى مدير سلاح المدفعية ، واللواء إبراهيم الأرناؤطى مدير المهمات، واللواء سيد محمد مدير الصيانة . وبينما حصل نجيب على أغلبية ساحقة شبه إجماعية ، لم يحصل الثلاثة الآخرون سوى على ٥٨ صوتًا فقط .

٧ ـ يذكر لنا نجيب أنه كان عضوًا مع سليمان حافظ فى محكمة عسكرية كان يرأسها سليمان أثناء الحرب العالمية الأخيرة .

٨ ـ يورد لنا نجيب كثيرًا من الأمثلة على توطد علاقته بزعماء السودان ، وهو يقول « . . مثلاً كان كل من جاء من السودان من سياسيين وضباط وموظفين ، من أصدقائى ومعارفى وزملاء دراستى ، وكانت علاقتى بهم قوية جدًا ، وكانوا لا يمكن أن يزوروا مصر إلا وألتقى بهم ، وأذكر أنى دعوت السيد عبد الرحمن المهدى لتناول الشاى بمنزلى فى شارع قصر العينى عند زيارته لمصر عام ١٩٣٧ فقبل الدعوة وحضر ومعه الوفد المرافق له ، وكانت هذه هى الزيارة الخاصة الوحيدة التى قام بها فى مصر » .

(٢١)

على أن هناك بعض الملاحظات التاريخية والنصية على هذه المذكرات :

١ ـ فى صفحة ٥٤ يعدنا الرئيس نجيب بأن يحدثنا عن رحلته لإنجلترا للدراسة فى مدرسة أركان الحرب ولكنه لا يفعل ، وفى صفحة ٥٧ يحدثنا عن سفره إلى إنجلترا وفرنسا مع بعض الضباط المصريين فى فقرة قصيرة ولا نعرف هل كانت هذه الزيارة للدراسة أم بعد نجاحه فى التخرج من كلية أركان الحرب .

٢ ـ فى صفحة ٦٠ يتحدث صاحب المذكرات عن تظاهرات وقعت فى أول فبراير ١٩٤٢ فيقول : « فى أول فبراير ١٩٤٢ بعد أن احتل الألمان بنغازى ، قام الطلبة فى مصر بمظاهرات

لصالح علي ماهر الذى كان ضد السياسة البريطانية . وفى اليوم التالى طرد الملك فاروق رئيس الحكومة الذى كان يؤيد الإنجليز وجاء بحكومة حسين سرى وفى ٣ فبراير قبل الملك دراسة تشكيل جديد للحكومة مع على ماهر ، وذهب سير مايلز لامبسون السفير البريطانى بالقاهرة إلى قصر عابدين وقابل الملك ، وقال السفير البريطانى للملك : « لابد أن يشكل النحاس الحكومة » ، بينما الثابت أن على ماهر كان قد ترك رئاسة الوزارة منذ ١٩٣٩ وخلفه حسن صبرى ثم حسين سرى الذى بقى حتى أول فبراير ١٩٤٢ .

٣ ـ تحتاج أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة التى فى صفحة ٨٣ إلى شيء من المراجعة فهو يقول : إنه كان يقابل خمسة منهم قبل الثورة هم : عبد الناصر وعامر وحسن إبراهيم وصلاح سالم وزكريا محيى الدين ، ولكنه قبل صفحتين وفى صفحة ٨١ بالضبط ذكر أنه أثناء حلقات النقاش [؟] تعرف على عبد الناصر وكمال الدين حسين وأنور السادات وصلاح سالم ومعنى هذا أنه كان يعرف أيضًا كمال الدين حسين وأنور السادات ، وفى صفحة ١١١ يذكر أنه كان يعرف كل أعضاء اللجنة التنفيذية للتنظيم ما عدا جمال سالم وبغدادى والسادات وخالد محيى الدين (!!) .

٤ ـ فى الفقرة الثالثة من صفحة ٨٩ يشير إلى أن فؤاد سراج الدين كان وزيرًا للداخلية وأصبح فيما بعد وزيرًا للمالية ، والحقيقة أنه لم يترك هذه ويتول تلك فى ذلك الوقت ، وإنما جمع الوزارتين معًا !!

٥ ـ فى ص ٩٧ الفقرة الرابعة يتحدث كاتب المذكرات عن حسين سرى رئيس الوزراء فيذكر بدلا منه اسم حسين سرى عامر « الضابط » !! ويتكرر هذا الخطأ من كاتب هذه المذكرات فى ص ١٠٥ فى الفقرة الأخيرة ، كذلك يحدث الخطأ العكسى مرتين فى ص ١١٠ حيث يتحدث عن حسين سرى وهو يقصد حسين سرى عامر !! ولا أظن أن الرئيس « نجيب » نفسه يقع فى هذا الخطأ .

٦ ـ فى ص ١١٢ يذكر أن دخول زكريا وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين ويوسف منصور للجنة القيادة كان ليلة الثورة ، وفى مذكرات بغدادى بتوثيق أكثر أن ذلك تم فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ .

٧ ـ فى صفحة ١٦١ يتحدث عن أزمات ومتاعب أخرى بين الثوار وبين على ماهر قبل قانون الإصلاح الزراعى بأسابيع طويلة (!!!) ومن الطريف أن على ماهر لم يمكث معهم رئيسًا للوزراء إلا ستة أسابيع فقط لا تحتمل الطول !! .

٨ ـ تحتاج صفحتا ٢٤٤ و ٢٤٥ إلى مراجعة وإعادة ترتيب فإن أحداث ٢٦ مارس تأتى قبل ٢٠ مارس !! .

٩ ـ يرد اسم محمد فوزى خطأ فى ص ٣٣٨ والمقصود هو الدكتور محمود فوزى سفيرنا فى لندن فى ذلك الوقت .

١٠ ـ يأتى الترتيب التاريخى لخروج أعضاء الثورة من الحكم فى ص ٣٦٧ و ص ٣٦٨ بطريقة خاطئة .

أما الأخطاء اللغوية والمطبعية فلا تكاد تعد ولا تحصى وأرجو الناشر أن يعهد بهذا الكتاب إلى مَنْ يتولى تصحيحه بحيث تصدر الطبعة القادمة منه خالية من هذه الأخطاء خصوصًا أنها تغير المعنى تمامًا وسأضرب على ذلك مثلاً بجملة واحدة فى السطر العشرين من صفحة ٧٩ فلأن الفاعل هنا كتب بصيغة المنصوب فقد تحول المعنى تمامًا مع أنه لا يخفى على أحد ، أما أخطاء المونتاج فكثيرة ولعل أبرزها أن صفحة ٣٦٢ غير متصلة بصفحة ٣٦١ وقد سقطت فقرة أو أكثر .



الفصل الثالث

مذكرات عبد اللطيف البغدادى

(١)

كانت هذه المذكرات أول ما نشر من مذكرات لواحد من كبار المسئولين فى عهد الثورة ، ولا يخفى على أحد أن عبد اللطيف بغدادى كان يحتل مرتبة سامقة بين زملائه جميعًا فى وجدان الجماهير ، فقد كان اسمه مرتبطًا بالإنجاز الحقيقى والسريع ، ومنذ أيام عبد اللطيف بغدادى لم يتكرر صنو له يستطيع أن ينفذ ما استطاعه البغدادى بهمة واقتدار وفى لمح البصر ، ولاشك أن إنجازاته ذاتها قد تعرضت للتضخيم الفولكلورى حتى وصلت إلى حدود لم يكن هو ليتصورها ، ولكن الجمهور معذور فى ذلك فإن هذا الجمهور لم يشهد فى حياته قبل البغدادى ولا بعده مَنْ قام بما قام به البغدادى فى فترات وجيزة ، وقد سمعت أنا شخصيا من بعض الناس أن البغدادى كان يمر على الطريق الترابى فى الصباح فيأمر بأن يرصف الطريق فى ذات اليوم ويعود ليمر عليه فى المساء وهو مرصوف ، ومثل هذه الأقوال تعطينا فكرة عن مدى الإنجاز وسرعته وإن لم تكن حقيقية تمامًا . . وفى كل المذكرات التى نقرؤها لأدباء وفنانين أو رجال حياة عامة تأتى سيرة البغدادى بالخير وتأتى مرتبطة بما أنجز من تحولات هندسية حقيقية أعادت صياغة كثير من ملامح القاهرة ، وحين كنت أراجع تجربة هذا الفصل للمرة الأخيرة كنت أقرأ مذكرات السيدة عايدة الشريف « شاهدة ربع قرن » فوجدتها تتحدث عن التغيير الذى أصاب حياتهم يوم تقرر هدم بيتهم فى جزيرة الروضة لأن البغدادى قرر هدم كل البيوت التى تسد مسارات الشوارع وتجعل الشارع يقف عند نقطة معينة ! ومنذ زمن بعيد فإنى لا أمر من ذلك النفق العظيم المصمم تحت كوبرى قصر النيل من جهة التحرير أو فى ذلك الطريق الكورنيشى إلا وأدعو للبغدادى وأدعو مَنْ قد يكون إلى جوارى إلى أن يشاركنى الدعاء له بالصحة والسعادة . . وفى عدد من مقالاتى التى كتبتها منذ ١٥ عامًا والتى ضمها كتابى « الحلول الجزئية هى الأجدى أحيانا » كنت أشير فى كثير من الفقرات إلى جهد هذا الرجل العظيم حين أستدعى الشواهد التى تؤيد ما اقترحه من أفكار لحل بعض المشكلات المتراكمة .

(٢)

لعلى بعد هذه المقدمة أتقدم إلى هذه المذكرات لأنبئ القارئ أنها لا تقل عما نعرفه من إنجازات هذا الرجل العظيم ، فهى حافلة بكل ما حفلت به حياته وإنجازاته من دقة ، واهتمام بالتفصيلات ، وتركيب للكل من الأجزاء ، والتزام شديد بالمنطق . . فإذا عرفنا أن هذه المذكرات تتناول فترة من الزمان حفلت بكل ما هو على النقيض من هذه الصفات الإيجابية التى نحن فى غنى عن تعدادها لأن القارئ يعرفها جيدًا لأدركنا كم عانى هذا الرجل فى كتابة هذه المذكرات .

نعم تبدو بوضوح معاناة هذه الرجل فى كتابة هذه التفصيلات التى ضمنها مذكراته . . ويكفى أن القارئ نفسه يعانى فى قراءة هذه المذكرات ، يعانى حين كان يظن أن قراءتها مسلية فإذا هى أبعد ما تكون عن التسلية ، ويعانى حين كان يظن أن هذه المذكرات حافلة بالطرائف والمواقف البهيجة والمفارقات المضحكة ، فإذا بالقارئ يجدها حافلة بأشياء أخرى تنغص عليه حياته وهو يقرأ هذه المذكرات .

كما يعانى القارئ الذى كان يظن هذه المذكرات شيقة وجذابة ، ولكنه يجدها خالية من الجاذبية والتشويق لأنها ملتزمة بالجدية إلى أبعد الحدود .

ومع هذا كله فإن القارئ يشعر بالرضا الشديد وهو يقرأ هذه المذكرات لأنه يطلع على كثير من دقائق الأمور التى لم يكن يعرف عنها شيئًا من قبل ، ولأنه يحس طوال الوقت كما لو كان حاضرًا بين أعضاء مجلس قيادة الثورة وبين أعضاء مجلس الوزراء وقريبًا من عبد الناصر نفسه .

ويستشعر القارئ فى نفسه كذلك أقدارًا من الامتنان لصاحب هذه المذكرات الذى أتاح له هذا القدر الكبير من الخبرة باتخاذ القرار وممارسة عملية اتخاذ القرار .

ويستشعر القارئ بعد ذلك قدرًا كبيرًا من القدرة على فهم كثير من مجريات الأمور فى الماضى والحاضر والمستقبل وهو يحس عند انتهائه من قراءة هذا الكتاب كأنه قد أصبح يمتلك أحد المفاتيح المهمة لفك طلاسم فن السلطة وصناعة القرار بل وصناعة التاريخ .

وعلى الرغم من كل ذلك فإن صاحب هذه المذكرات رجل سوى إلى أبعد الحدود ، لا هو حريص على تضخيم ذاته ولا هو مضطر إلى ذلك ، وهو فى ذات الوقت ملتزم إلى أبعد حدود الالتزام بالأخلاق الرفيعة من دون أن يبذل جهدًا فى هذا الالتزام . . وهو يطرح رؤيته الذاتية من دون أن يكون مضطرًا إلى الاعتذار عن الذاتية ولا إلى الفخر بها ، وهو يروى الأحداث من واقع ما رأى من دون أن يضطر أن يلجأ إلى سؤال الآخرين أو إلى إبراز وثائق أو إلى افتعال خلاف مع أحد أو ترجيح كفة روايته هو على رواية الآخر . . وهو يكتب مذكراته الصعبة كأنه

يؤدى تمرينًا رياضيًا معقدًا ولكنه اعتاد على تأديته يومًا بعد يوم ، فهو يقدم لنا هذه المذكرات كما تقدم فنانات الباليه أكثر العروض صعوبة فى سهولة ويسر وإعجاز وتواضع وفى أقل وقت ممكن ، ودون حاجة إلى استراحات ، أو إلى استدعاء فرق أخرى تقوم بتأدية بعض الفنون الأخرى كفواصل .

وليس من شك أن اعتياد البغدادى على كتابة المذكرات اليومية أو شبه اليومية على مدى حياته العريضة كان العامل الأول الذى أفاد هذه المذكرات ، ولكننا ونحن نسعى إلى الكمال فى كل ما تقع عليه أعيننا لا نستطيع أن نتجاوز عن قول آخر يتمنى للبغدادى لو أنه كان يكتب هذه المذكرات وفى نيته حين يكتبها أنه سينشرها بعد حين . . ولكن أنى كان له أن يصدق أنه سيأتى عليه الوقت الذى يتاح له فيه أن ينشر هذا الذى كتبه ؟

هل نستطيع أن ننكر أن البغدادى كان كثيرًا ما يخاف على هذه المذكرات ؟ هل نستطيع أن نتغاضى عما ذكره هو من أنه طلب إلى زميله عبد الرءوف نافع أن يخفى هذه المذكرات عنده ؟

هل نستطيع أن نزعم لأنفسنا أن البغدادى كان قبل ١٩٦٧ يعيش على أمل أن تكون هذه المذكرات كتابًا يتداوله الناس ـ كل الناس ـ بعد عشر سنوات ؟ الإجابة بالنفى طبعًا . ولهذا فإننا لابد أن نحمد الله على أن هذه المذكرات قد أتيحت لنا على هذه الصورة الجميلة والدقيقة والمعبرة والموحية والتى لم تتكرر حتى الآن .

(٣)

تحفل هذه المذكرات بتفصيلات كثيرة يحتاج إليها المؤرخون لينسجوا منها المادة التاريخية التى يكتبون بها التاريخ المعاصر . . فهى أكثر المصادر التاريخية التى بين أيدينا حتى الآن تعرضا لكثير من الفترات التى حفلت بالصراعات (التاريخية) فى العهد الأول للثورة :

١ ـ ففى هذه المذكرات تفصيلات يومية تصل إلى حد تسجيل الحوارات الثنائية والجماعية فى غضون ما سمى بأزمة مارس ١٩٥٤ والتى بدأت أحداثها تتصاعد فى فبراير ١٩٥٤ ولم تنته إلا فى إبريل ١٩٥٤ .

٢ ـ وفى هذه المذكرات أيضًا تفصيلات مذهلة عن مواقف القيادة المصرية فى حرب ١٩٥٦ وفيها تسجيل لا للحوار فحسب ، ولكن للمشاعر وما وراء المشاعر كذلك .

٣ ـ وفى هذه المذكرات فهم عميق لما جرى فى أثناء الوحدة مع سوريا (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) ، وقبيل قيام هذه الوحدة ، وفيها نصوص واضحة وأسماء محددة فضلاً عن الوقائع بحذافيرها وأسبابها ومعقباتها .

٤ ـ وفى هذه المذكرات للمرة الرابعة تفصيلات مهمة عن هذه الحيرة والتردد اللذين انتابا القيادة السياسية فى مصر والرئيس عبد الناصر على وجه الخصوص حول منهج تنظيم المجتمع المصرى بعد الانفصال ، وهذه الفترة من الفترات المهمة جدًا فى تاريخنا المعاصر التى لم تحظ حتى الآن بأية دراسات موسعة لفهم هذا التطور فى نظرة عبد الناصر ـ ومن معه ـ إلى الأسلوب الأمثل لبناء هياكل وبنيان المجتمع المدنى فى مصر . . واعتقد أن مذكرات عبد اللطيف بغدادى ستلقى الضوء لكثير من الباحثين على كثير من أنماط التفكير ومقدماته التى صاغت هذا التطور السريع والمتعاقب الذى حدث منذ أكتوبر ١٩٦١ وحتى مارس ١٩٦٤ والذى مر فى رأيى بثلاث مراحل . . الأولى فى أكتوبر ١٩٦١ باستعادة تكوين حكومة مصرية لدولة مصرية فى ظل الاتجاه نحو الاشتراكية ، ثم قبل مرور سنة كانت المرحلة الثانية التى بدأت بإعلان دستورى فى سبتمبر ١٩٦٢ وتكوين مجلس للرياسة كرمز لقيادة جماعية وإسناد الوزارة لعلى صبرى وخروج أعضاء مجلس قيادة الثورة لأول مرة من دائرة العمل التنفيذى ، ثم المرحلة الثالثة فى مارس ١٩٦٤ بإعلان دستور جديد وقيام مجلس الأمة الجديد (وهو للأسف ثانى مجلس أمة ينتخب بعد الثورة التى كانت قد بلغت ١٢ عامًا من العمر ولم تشهد مجلسا منتخبا إلا ذلك الذى رأسه البغدادى نفسه وتكون فى يوليو ١٩٥٧ وحل بقيام الوحدة فى فبراير ١٩٥٨) وتشكيل حكومة موسعة ، وإلغاء مجلس الرياسة نفسه وإبتعاد اثنين من أبرز رجال الثورة عن الحكم نهائيًا (وهما عبد اللطيف بغدادى نفسه وكمال الدين حسين) .

٥ ـ أما الفترة الخامسة التى تقدم لنا هذه المذكرات تفصيلات غاية فى الأهمية والوضوح والصراحة التعبيرية عنها فهى معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ وفى هذه المذكرات فقرات من أهم ما يمكن لتاريخنا المعاصر، وقد استعان بها كل مَنْ كتب عن هذه الحرب ، ووصل الأمر بالدكتور عبد العظيم رمضان إلى أن يتخذ من إحدى الجمل التى وردت فى حديث البغدادى عنوانًا لكتابه عن هذه الحرب « تحطيم الآلهة » وهو تعبير لم يكن أى مؤرخ قادرا على أن يصل إليه ، إلا إذا اعتراه ذلك القدر اللانهائى من الألم الذى اعتصر عبد اللطيف بغدادى فى ذلك اليوم ، وإنى لمضطر إلى أن أؤجل الآن وإلى حين ما لابد أن للقارئ من بعض الفقرات التى صور بها بغدادى هذا الألم الشديد على نحو دقيق .

(٤)

على هذا النحو نستطيع أن نجد هذه المذكرات بين أيدينا وعلى أرفف مكتباتنا وهى تقدم لنا معينا لا ينضب لكتابة التاريخ ، وهى فى الواقع تعيننا على كتابة التاريخ بأكثر مما تعيننا على قراءته ، ولعل هذا المقياس يكون واحدًا من أدق المعايير فى الحكم على المذكرات ومدى أصالتها ونقائها ، فلاشك أن المذكرات التى تعين على كتابة التاريخ أكثر مما تعين على قراءته

تتمتع بقدر من الأصالة والنقاء يفوق تلك المذكرات التى تعين على قراءة التاريخ بأكثر مما تعين على كتابته .

ويرجع ذلك فى نظرى إلى أن البغدادى كان حريصًا على أن يصل بنا إلى الحقيقة أضعاف ما كان حريصًا على تلوين هذه الحقيقة . . كان البغدادى ملتزمًا بالصدق والدقة ولم يكن كبعض الصحفيين الكبار يستخدم التاريخ أداة لتحقيق أهداف موقوتة ، ثم يعودون إلى استخدام التاريخ نفسه لتحقيق أهداف مناقضة . . ولهذا السبب فإن مذكرات بغدادى تبدو وكأنها لا تتمتع بالرؤية التى قد تظهر واضحة فى كتابات رؤساء التحرير حين يكون عنوان الكتاب نفسه منبئًا عن هدفهم من كتابته . . وليس فى هذا ما ينتقص من قدر مذكرات البغدادى من قريب أو من بعيد ، فهو رجل يبتغى بها ما قد نطلق عليه تجاوزًا « وجه الله » (دون أن نزكى على الله أحدا) بينما يبتغى الآخرون « وجه الناس » . . ومن العجيب أن مذكرات البغدادى رغم جفافها قد وزعت من النسخ أضعاف ما وزعت الكتب الأخرى التى ألفت لأهداف أخرى تبتعد عن الصدق التاريخى والوطنى لتقيد نفسها بالذات والفرد إلى أبعد حدود التقييد .

(٥)

أما الروح المسيطرة على هذه المذكرات فهى روح القلق . . فهذا رجل يخطط مع آخرين ، ليقوم بثورة تغير من أوضاع هذا الوطن الذى يحبه ويأسى هو والآخرون لحاله (ويختلف هؤلاء الآخرون من تنظيم إلى آخر) ، ثم هذا هو القلق يسيطر عليه وهو يضع مع زملائه اللمسات الأخيرة لتحركاتهم ، ثم هذا هو القلق يستمر فى السيطرة عليه طيلة السنوات التى أعقبت نجاح الثورة وقد كان هذا النجاح نفسه باعثًا على قلق من نوع جديد وإن يكن قد قاد إلى بعض من الاطمئنان إلى حين ، ويتبدى قلق كاتب المذكرات فى كل فقرة من فقرات هذه المذكرات ، وهو يتمتع بنفس لوامة تعود إلى نفسها لتناقش الخطأ والصواب ، وهو مثالى إلى حد بعيد ، وهكذا يجد نفسه مسئولاً عما كان فى وسعه أن يبعد نفسه عن المسئولية عنه ، وهو لا يفتأ يتحدث إلى نفسه عن هذه المسئولية ويؤنب هذه النفس بهذا السؤال عن هذه المسئولية ، ثم هو فى حيرة متصلة من موقف الناس من حوله ، ومن تطورات العلاقات التى تقود إلى حلقات متصلة ومتواصلة من المعاناة . . ولو قدر لهذه المذكرات بعد مائتى عام أن تنشر مع شىء من الإضافات والتعديلات على أنها رواية نفسية لأمكن لها أن تحقق ذيوعًا شديدًا لأنها دقيقة فى تصوير كثير من النزعات النفسية العميقة على نحو صادق ، ثم هى ترينا كيف تغلبت هذه النزعات وسيطرت وسادت وقادت إلى ما هو قريب جدًا من ضياع أمة فى لحظة واحدة ، ولولا أن البغدادى كان قريبًا جدًا من الأحداث لاستطاع هو نفسه أن يقوم بهذا

العمل الروائى بعد أن يرسم حدودًا مكملة لشخصيات الرواية بحيث تظهر نماذجهم كاملة فى هذا العمل الروائى .

(٦)

أما مصدر الحيرة العظمى فى هذه المذكراة فتلك العلاقة الخاصة بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، ويهيأ لى كما يهيأ للقارئ لهذه المذكرات أن اختفاء عبد الحكيم عامر فى ١٩٥٦ مثلاً كان هو العامل الحاسم الذى كان كفيلاً بأن يغير صورة مصر والعالم العربى كلها . . ولا أستطيع أن أنكر أننى طوال قراءة هذه المذكرات كنت أحدث نفسى بضرورة القضاء على عبد الحكيم عامر (مع أنى أعلم أن هذا لم يكن إلا مجرد حلم غير قابل للتحقيق) ، وهكذا فقد ظلت عقدة الأحداث تتصاعد إلى ذروتها طيلة وجود عبد الحكيم عامر فى بؤرة الأحداث ، وليس صدفة أن المذكرات انتهت بوفاة عبد الحكيم عامر فى الصفحة الأخيرة منها .

هل كان البغدادى حساسا تجاه عبد الحكيم إلى هذا القدر ؟ ربما يسهل على بعض الباحثين أن يصل إلى هذه النتيجة فى يوم من الأيام ويعيد النظر فى كثير من الوقائع على ضوء هذا الزعم . . ولكننى استطيع أن أقول إن الحقيقة كانت فى صف البغدادى لأكثر من مائة فى المائة ، ورغم تعاطفى الشديد مع عبد الحكيم عامر إلا أننى لا أستطيع أن أزعم أن البغدادى كان يحس تجاه عبد الحكيم بشىء من الغيرة أو الحقد ، فقد كان البغدادى يشعر بكل تأكيد بقيمة نفسه وبتفوقه على عبد الحكيم فى كل شىء . . بل وكان عبد الناصر نفسه يشعر بذلك وعندى من الدلائل كثير جدًا على هذا الذى أقول ، ولكنى اكتفى بأن أدل القارئ على أن عبد الحكيم نفسه عين قائدًا عامًا للقوات المسلحة عند إعلان الجمهورية ، ولكن البغدادى عين فى نفس اليوم وزيرًا للحربية ، وكان تعيينه وزيرًا فى نفس اليوم الذى دخل فيه جمال عبد الناصر الوزارة ، كذلك فإن البغدادى ظل دائمًا متقدمًا على عبد الحكيم عامر فى البروتوكول رغم أن عبد الحكيم تخطى كثيرًا من زملائه بمن فيهم زكريا محيى الدين وأنور السادات ، ولكن عبد الناصر نفسه لم يمكن عبد الحكيم أبدًا من التقدم على البغدادى ولم يصبح عبد الحكيم نائبًا أول لرئيس الجمهورية إلا بعد أن استقال البغدادى فى مارس ١٩٦٤ . . ربما يكون الاستثناء الوحيد أن عبد الحكيم عامر كان نائب رئيس مجلس الدفاع فى سبتمبر ١٩٦٢ ولكن ظلت الرئاسة لعبد الناصر . . وقد رأس البغدادى نفسه مجلس الرياسة بالنيابة عن عبد الناصر فى الجلسة التى حضرها عبد الحكيم وجرت فيها مناقشة مشروعات القرارات التى تقدم بها عبد الناصر حول تعيين قادة القوات المسلحة .

وفى هذه المذكرات فقرة مهمة جدًا عن انطباع بغدادى وزملائه عن العلاقة بين عبدالناصر وعبد الحكيم والاختلافات بينهما ، وهو يرويها عقب خلاف نهاية ١٩٦١ وبداية ١٩٦٢

فيقول: « وجاء فى يومياتى أيضًا تعقيبًا على هذا الحديث الذى جرى : لقد وضح لى من حديث جمال أنه قلق ويخشى أن يقدم عبد الحكيم على عمل يضعه ويضعنا معه فى مأزق يضار به الصالح العام ، وهو يود أن يبعده عن الجيش ، وعلى أن يكون ذلك بموافقة جميع الإخوان ، ولكن أغلبهم قد تعلم من الماضى ، ذلك لأن « جمال » غالبا ما ينتهى فى مثل هذه الخلافات مع عبد الحكيم إلى اتفاق معه ، وبتنازلات منه أيضا لإرضائه ، وقد تكرر هذا فى الماضى وليس من المستبعد أن يحدث ذلك ثانية » .

ولكن هذا لا يمنع أن نذكر أن عبد الحكيم كان ضائقًا بوجود البغدادى وغيره فى موضع متقدم عنه ، وهذا هو البغدادى نفسه يحدثنا عن بعض الوقائع التى استشهد له بها جمال عبد الناصر فى معرض حديث له مع البغدادى روى له فيه معاناته من عبد الحكيم واستشهد مع هذه المعاناة بأكثر من قصة .

(٧)

فى هذا الكتاب يعتز البغدادى بزميله كمال الدين حسين وبجمال سالم وحسن إبراهيم بصفة خاصة . ولكنه لا يفتأ يذكر لنا أن حسين الشافعى كان يؤثر السلامة فى كثير من المواقف أما موقفه من أنور السادات وزكريا محيى الدين فمتوازن إلى حد بعيد ، وأما موقفه من صلاح سالم فيحمل كثيرًا من الانتقادات شأن موقفه من عبد الحكيم عامر ، ولكنه يبدو موضوعيًا جدًا تجاه مواقف هذين الرجلين ، والحق أن عبد اللطيف بغدادى لم يدخر وسعه فى أن يقف فى صف صلاح سالم وعبد الحكيم عامر ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يقنع نفسه بأسبابهما أو وجهة نظريهما فيما اعترت حياتيهما ومواقفيهما من دراما سريعة الإيقاع .

وفى هذه المذكرات فقرة مهمة عن إدراك كمال الدين حسين مبكرًا لجوانب قضية الحرية حيث يروى البغدادى فى صفحة ٢٢٨/ ٢ بعض المناقشات فيقول : « وانتقل كمال بعد ذلك فى حديثه إلى الحريات وعدم توفرها ، وأن لا أمن على حرية من يقومون بالنقد وأنهم مهددون فى مورد رزقهم ، وقال جمال ما يفهم منه أن « كمال » نفسه لا ينفذ هذا ، وأنه لا يسمح لأحد بمناقشته ، وسأله كمال « من الذى قال لك هذا ـ هيكل » . وكان يقصد محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام ، وعاود كمال الكلام عن الحريات وذكر عدم توفر الحرية للصحافة ، وانتقد ديكتاتورية القائمين عليها ، وعدم سماحهم لغيرهم بأخذ الفرصة . وتكلم أيضًا عما هو وارد فى الميثاق الوطنى عن الحرية ، وما جاء كذلك فى تقرير الميثاق عنها ، وذكر أنه كان يستغرب من طلب لجنة المائة التى كانت تعد تقرير الميثاق عندما كانت تتساءل عن ضمانات الحرية ـ ولكنه قد فهم الآن » .

كذلك فإنه من بين المناقشات الكثيرة على مدى السنوات الطوال التى حرص بغدادى على أن يقدم لنا موجزًا بها مناقشة هامة ترينا مدى القصور فى فهم ديناميات الأوضاع الاقتصادية عند جمال عبد الناصر فيما يرويه بغدادى عن حواره مع كمال الدين حسين حيث يقول : « ولقد قال جمال فى سياق الحديث إنه متأثر بالفكر الماركسى ولكنه ليس بشيوعى ، وأنه مؤمن أن اشتراكيتنا لابد أن تتطور إلى ملكية الشعب لأدوات الإنتاج بدلاً مما هو وارد فى الميثاق عن سيطرة الشعب على هذه الأدوات ، وهذه كانت نقطة جديدة لم يسبق له أن أشار إليها من قبل ، وكنت لاحظت أن عبد الحكيم قد ذكرها قبل أن يقولها جمال ولكننى لم أعر ذلك اهتمامًا لعلمى أنه أى حكيم يخلط فى تعريف مثل هذه الأمور ، ولكن عندما ذكرها جمال سألته « هل هذا يسرى على جميع الوحدات الإنتاجية مهما صغر حجمها » . فأكد هذا وقال « طالما إن هذه الوحدة بها عمال ومهما قل عددهم ، ولأنه فى هذه الحالة سيصبح هناك استغلال الإنسان لأخيه الإنسان » ، ولقد ضرب مثلاً بخاله الذى توفى وكان يكسب على حد قوله ستمائة جنيه فى الشهر الواحد من تشغيل ثلاثة لوريات ، وقال « وهو طبعًا كان قاعد فى المكتب ومستأجر سواقين ويكسب من عرقهم » ، وسأله كمال « هل الميكانيكى الذى يملك ورشة صغيرة ويعمل عنده « اثنين » من الصبيان ينطبق عليه نفس الحالة » ، فأجابه جمال « فى تصورى أيوه - أو يشاركوه فى الأرباح بنسب متساوية » ، وجاء رد كمال عليه مفاجأة له ولنا جميعًا على السواء وذلك بقوله « يبقى فى المشمش » . ويظهر أن المفاجأة فى قول كمال عقدت لسان جمال - فنظر إليه باندهاش ولكنه لم يرد عليه ،وأراد عبد الحكيم أن يخفف من وقع ما قاله كمال فذكر أنه يقصد أن هذا سيحتاج إلى وقت طويل لتحقيقه » ، ثم عاد كمال وقال إن كل فرد أصبح غير مطمئن وقلق على مورد رزقه ويخشى أن يقطع عنه . ورد عليه جمال بقوله إنه لا يرفت أحدًا وهناك لجنة خاصة للنظر فى تظلمات من يصدر ضدهم قرار بالفصل من وظائفهم ، ولكن «كمال» استطرد وقال إن «جمال» أصبح يُشتم الآن فى الأتوبيس والترام . ولما استغرب جمال ذلك واستنكره قال له كمال « تبقى الأجهزة اللى أنت معتمد عليها بتغشك !! » .

وفى روايته لآراء أعضاء مجلس الثورة فى أكتوبر ١٩٦١ وعقب الانفصال روى البغدادى آراء زملائه فردًا فردًا إلى أن وصل إلى الفقرة التى قالها أنور السادات والتى تعطينا فكرة صادقة عن طبيعة شخصية السادات المتفهم للسياسة بأكثر من زملائه ، وها هو البغدادى يروى فيقول : «أما أنور فكان يؤكد ضرورة قيام مجلس ثورة ، وتحدث عن مقابلته مع أعضاء مجلس الأمة عن مدينة القاهرة ، وما أثاروه من نقد حول أسلوب الحكم وعن إهمال الدولة لمجلس الأمة ، وخرج من هذا بأنه قد وجد نفسه واقفًا موقف المدافع وأن هذا من الخطورة بمكان ، وأنه لابد من أن نقلب الوضع بحيث نقف موقف المهاجم وإلا نروح إلى بيوتنا - على حد قوله » .

(٨)

وبالإضافة إلى هذه المناطق الخمس فإن بغدادى فى مذكراته يلقى أضواء مهمة وفريدة حول عدد ضخم من الأحداث التى مرت بها الثورة حتى من قبل قيامها ، وسنلخص للقارئ بعض الأمثلة المهمة :

١ ـ فهذه هى أولى مذكرات تعطينا فكرة عن تنظيم الضباط الطيارين الذى ضم عبد اللطيف بغدادى وأحمد سعودى أبو على وحسن عزت ووجيه أباظة الذين كانوا يعيشون معا فى شقة واحدة فى مصر الجديدة بالقرب من المطار وكاتب هذه المذكرات ينبئنا عن المصير المؤسف الذى تعرض له الطيار أحمد سعودى حين حاول الهرب بطائرة جلاديتور فى الصباح المبكر لأحد الأيام واتجه بها نحو منطقة مرسى مطروح تاركًا تشكيله ، وذلك لعلمه المسبق بخطة سعودى من وجيه أباظة الذى كان قد أشركه معه فى إعداد الخرائط اللازمة لرحلة سعودى ، وقد وصل رضوان سالمًا إلى هناك ، إلا أن هذا لم يشمل أحدًا من أفراد التنظيم نفسه غير الملازم طيار حسن إبراهيم (عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد) وقد جوزى حسن بنقله من سلاح الطيران وتأخير أقدميته سبعة ضباط ، ولكنه عاد إلى الخدمة بالطيران ثانية سنة ١٩٤٥ ، ثم محاولة الطيارين حسن إبراهيم ورضوان تعقب أثره ، أما بالنسبة للطيار رضوان بعد قيام الثورة فى يوليو سنة ١٩٥٢ فقد تم الإفراج عنه ، وأعفى من الغرامة المالية ، وأوجد له عمل أيضًا فى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة .

٢ ـ يذكر بغدادى فى هذه المذكرات أن أنور السادات كان قد انضم إلى تنظيمهم لصداقته لحسين عزت ، وذلك حيث يقول : « فى فترة مبكرة عملنا على الاتصال بزملائنا من ضباط الجيش . واقترح حسن عزت اسم الملازم محمد أنور السادات لينضم إلى مجموعتنا ، وكنا قد أطلقنا عليها اسم اللجنة التنفيذية للتنظيم ، وكان أنور صديقًا لحسن عزت » .

٣ ـ بحكم فهمه لميكانيكا الطيران يشرح لنا عبد اللطيف بغدادى الأسباب الفنية التى أدت إلى فشل محاولة الهروب بعزيز المصرى والتى ساعده فيها كل من عبد المنعم عبد الرءوف وحسين ذو الفقار صبرى (ص ١٦ وما بعدها) كذلك فإنه يروى قصة مقنعة ومتماسكة عن عثور البوليس المصرى عليهما (ص ١٨) .

٤ ـ يذكر بغدادى واقعة استقالة وزارة حسين سرى فى ٢ فبراير ١٩٤٢ بطريقة مشرفة لسرى باشا فقد كان الملك قد طلب من رئيس الوزراء تنحية صليب سامى وزير الخارجية « ولما كان وزير الخارجية قد تصرف بناء على توجيهات من رئيس الوزراء فقد رأى حسين سرى أن تستقيل وزارته بأسرها » . . وهذه الواقعة التى يرويها لنا عبد اللطيف بغدادى يندر أن تكون

معروفة على مستوى أى من الذين يتحدثون باستمرار عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ومن العجيب أن التصرف الذى أودى بهذه الحكومة كان قرارها بقطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة فيشى الفرنسية وهو ما أثار الملك « فاروق » .

٥ ـ يذكر بغدادى أيضًا (ص ٢٠) أنه اتصل بأحمد حسنين باشا تحت تأثير ما كان يكتب عن وطنيته فى الصحف المصرية ، وأنه التقى به وأحس من ثنايا الحديث معه أن النحاس لم يكن متواطئًا مع الإنجليز كما كان يشاع ، ولكنه اتخذ هذا الموقف اعتقادًا منه أنه أحسن الحلول لمواجهة هذا الموقف العصيب .

٦ ـ تنفرد هذه المذكرات أيضًا برواية قصة التعاون بين بغدادى والضباط السوريين ومقابلة فوزى القاوقجى من أجل مساعدة عرب فلسطين (ص ٢٤ وما بعدها) ، وتدلنا هذه الرواية حتى بدون أن يقصد بغدادى على مدى تغلغل روح القومية العربية والإيمان بالعروبة منذ ما قبل قيام الثورة .

٧ ـ تذكر هذه المذكرات أن عبد المنعم عبد الرءوف كان هو الوحيد الذى اعترض على انضمام أنور السادات للجنة القيادية للضباط الأحرار ، وأن جمال سالم وأنور السادات كانا المتممين للعشرة بين أعضاء هذه اللجنة ، وأن عبد المنعم عبد الرءوف قد أسقطت عضويته من اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار قبل قيام الثورة بشهور قليلة ، وأن زكريا محى الدين وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين ويوسف منصور صديق قد ضموا إلى عضوية مجلس قيادة الثورة برئاسة نجيب فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ ، وبهذا التحديد الحاد سبق بغدادى كل المذكرات التى نشرت بعد ذلك فى بيان الحقيقة فى تشكيل مجلس قيادة الثورة .

٨ ـ يذكر بغدادى واقعة مهمة جدًا حول إعادة التحقيق فى مقتل حسن البنا بعد قيام الثورة ولا أدرى لماذا يتجاهل المؤرخون الإشارة إلى هذه الواقعة ، وبغدادى يذكر أنه لم يكن هناك من شهود إثبات فى هذه القضية غير شاهد واحد هو الأستاذ محمد الليثى المحرر بجريدة الأهرام والذى كان وقتها موظفًا بالقوات الجوية المصرية ، ولم يصمد غيره من شهود الإثبات بسبب ضغط وتهديد البوليس السياسى لهم حتى إن المحكمة قد أشارت فى حكمها إلى شجاعة هذا الشاهد لصموده ضد كل هذه الضغوط التى وقعت عليه ومواجهته لهذه القوى الطاغية .

٩ ـ يذكر بغدادى أيضًا قصة اللغم الذى أطلق عليه اسم « التيتل » والذى كان من المخطط وضعه فى مجرى قناة السويس وتفجيره فى إحدى ناقلات البترول ، ويذكر بغدادى بصراحة أن فؤاد سراج الدين ساعد الضباط فى هذا العمل الوطنى ، وأن هذا اللغم قد نقل سرًا إلى مطار العريش على طائرتين من طائرات النقل المسماة « كوماندو » بعد انتهاء العمل اليومى للقوات الجوية . أما جزء المفرقعات منه فقد نقل عن طريق السكة الحديد لخطورة نقله

بالطائرة ، وساعد فى هذا الأمر فؤاد سراج الدين بعد أن تم الاتصال به ، وقام باستلام هذا اللغم فى العريش جمال سالم وعبد الحكيم عامر حيث كانا قد نقلا إلى وحدات هناك قبل ذلك بقليل ، وقاما بنقله محملاً على لوريين إلى الضفة الشرقية للقناة وأخفى هناك بعد أن أعيد تركيبه حتى يحين الموعد المناسب لاستخدامه ، ثم عدلنا عن تنفيذ تلك الخطة خشية ردود فعلها فى العالم الخارجى ، وقد ظل هذا اللغم رابضًا فى مكان إخفائه حتى قيام الثورة ثم عمل على تفجيره فى المكان الذى كان قد أخفى فيه » .

١٠ - يروى بغدادى كيف علم الملك فاروق بإقدام الضباط على القيام بالثورة ، ويرجع ذلك إلى تبليغ قام به قائد اللواء الجوى صالح محمود صالح (ص ٥٣) وهو ما أكده أيضًا خالد محيى الدين فى مذكراته بعد ١٥ عامًا وإن كان خالد محيى الدين قد أضاف إلى معلوماتنا اسم شقيق اللواء صالح محمود صالح .

١١ - بفضل مذكرات بغدادى المدونة (ص ٥٨ و ص ٥٩) فإن أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين سافروا الإسكندرية عقب قيام الثورة كانوا هم محمد نجيب ، وجمال سالم ، وحسن إبراهيم ، وأنور السادات ، وزكريا محيى الدين ، وحسين الشافعى ، ويوسف منصور صديق ، وعبد المنعم أمين بينما بقى فى القاهرة كل من جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر ، وعبد اللطيف بغدادى ، وصلاح سالم ، وكمال الدين حسين ، وخالد محيى الدين .

١٢ - يعطى بغدادى لجمال سالم دوره الحقيقى والمقدور فى إعداد مشروع قانون الإصلاح الزراعى (ص ٦٤) .

١٣ - يصرح بغدادى بنية مجلس قيادة الثورة منذ مرحلة مبكرة فى إبعاد رشاد مهنا عن الجيش (ص ٦٥) ويذكر أن رشاد مهنا قد « عبر عن شكره وامتنانه والدموع تترقرق فى عينيه من شدة الانفعال ، ولكنه لم يكن يدرى الغرض الرئيسى من وراء هذا التعيين » .

١٤ - يسجل بغدادى الموقف المشرف الذى اتخذه قائد سلاح الطيران اللواء حسن محمود الذى قدم استقالته من القوات الجوية عندما عين عبد الحكيم عامر قائدًا للقوات المسلحة ورفض حسن محمود أن يستمر فى منصبه احترامًا لرتبة اللواء التى كان يحملها على حد قوله (ص ٧٨)

١٥ - يبدى بغدادى دهشته الشديدة ويعبر عن دهشة زملائه أيضًا من أن الرئيس محمد نجيب قد قبل الموافقة على قرارات مارس ١٩٥٤ بمجرد مقابلته لخالد محيى الدين لمدة ثلاث دقائق فقط ، ومن العجيب أن بغدادى نفسه يردف هذا بقوله : « وبعد اتخاذ تلك الإجراءات هدأت الحالة » وإذن فلم يكن الأمر فى وضوح جانبى الصراع يومها حتى بحاجة إلى ٣ دقائق !

١٦ ـ يوضح هذا الكتاب أن الوزراء المدنيين لم يكونوا موافقين على قرارات الاعتقال فى أزمة مارس ١٩٥٤ وفى صفحة ١١٦ يذكر بغدادى فى صراحة أن الدكتور عباس عمار أشار « إلى تكتل هيئة التدريس ضدنا بعد إصدار القرار الخاص بلجان الجامعة » وأن عبد الجليل العمرى تكلم عن « كيفية استمرار الحكم والناس يقبض عليهم بدون تحقيق » . . وبعد أن يروى ملخصا لموقف الثوار يقول : « إن جمال عبد الناصر طلب تأجيل الاجتماع بغرض تفويت الفرصة على بعض الوزراء الذين كانوا يرغبون فى إثارة هذا الموضوع » وفى صفحة ١٣٠ وما بعدها يستأنف المؤلف تلخيص مواقف الوزراء المدنيين .

١٧ ـ يدين بغدادى القائمقام أحمد شوقى الذى كان صاحب فضل بارز فى ليلة قيام الثورة ويصفه فى صفحة ١٢٢ بأنه من « الحاقدين والنهازين للفرص » وأنه حاول القيام بانقلاب .

١٨ ـ يلخص بغدادى ما حدث فى أزمة مارس ١٩٥٤ بأن « اليوم جمهورية رئاسية ثم جمهورية برلمانية لمدة أربعة أيام ثم العودة ثانية إلى جمهورية رئاسية » .

١٩ ـ يخصص البغدادى فصلاً كاملاً يوضح به الصورة فى السودان وما بذل هناك من جهود صلاح سالم وغيره من الضباط بدءًا من صفحة ٢٧٣ .

(٩)

ولأن هذه المذكرات تضمنت كثيرًا من الفقرات الآنية أى تلك التى كتبت فى حينها فإنها تصدقنا التعبير عن الحالة النفسية العميقة التى كانت تنتاب بغدادى فى تلك الأوقات ، وهو ما لم يكن قادرًا على التعبير عنه بدون هذه اليوميات وعلى سبيل المثال ينقل لنا بغدادى من يومياته فقرة تبين مدى الحالة النفسية التى كانت تنتابه فى أثناء حرب ١٩٥٦ وهو يقول بصراحة فى ص ٣٤٨ : « ومكثت حوالى ساعة ثم انصرفت بعد ذلك وتوجهت إلى منزلى بمصر الجديدة ، ولم أذهب إلى جمال للمبيت معه فى مبنى قيادة الثورة كما كان الاتفاق بيننا ، ولم أذهب كذلك للمبيت مع عائلتى بالدقى ، وفضلت منزلى بمصر الجديدة رغم علمى بأنه مهدد تماما بأن يصاب إصابة مباشرة من إحدى الطائرات المغيرة وذلك لقربه الشديد من مطار ألماظة ومطار مصر الجديدة ، وكذا المنطقة العسكرية بألماظة ، وهى المناطق التى كانت تقوم طائرات العدو بالإغارة عليها وضربها بقنابلها ومدافعها ، وقد أقدمت على هذا التصرف متمنيا أن يحدث خطأ من أحد الطيارين ويصيب منزلى بإحدى قنابله حتى أنتهى معه ، وحتى لا أشاهد المأساة القادمة ، والتى كانت صورتها تطوف بذهنى بعد تلك الأحداث التى مرت بى طوال اليوم ، وقضيت تلك الليلة بمنزلى ، وكان يهتز كلما انفجرت قنبلة من تلك القنابل التى تسقطها طائرات الأعداء ، ولكننى رغم هذا لم أكن أشعر بالخطر » .

كذلك فإنه بغدادى بعد صفحات أخرى يروى قصة مغامرته مع جمال عبد الناصر بالسفر إلى الإسماعيلية عن طريق الكورنيش بينما الحرب أو الهجوم مشتعل ويحكى لنا بصدق شديد عما دار بينه وبين عبد الناصر من حديث إلى أن يصل إلى قوله : « ونحن فى طريقنا إلى الإسماعيلية قال جمال بصورة مؤثرة ومحزنة بعد ما شاهد العربات والدبابات محطمة على جانبى الطريق « إنها بقايا جيش محطم » . وأخذ يتحسر على المبالغ التى كانت قد أنفقت على تسليح الجيش قائلاً « إن مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء » ، كما قال أيضًا بالإنجليزية I was defeated by my army قد هزمت بواسطة جيشى ، وكنت أقول له لا تيأس ، ولكنه يرد علىّ بقوله : إنك تعرف أننى لا أيأس أبدًا وكنت أحس أن أمامى رجلاً محطمًا ، ويتوقف عليه وعلى تصرفاته مستقبل بلدى ، وشعرت بالعطف عليه ، بل قد شعرت فى تلك اللحظة أنه ملك علىّ نفسى أكثر من أى وقت مضى ، وكنت على استعداد للتضحية بنفسى فى سبيله ـ فى تلك اللحظة التى ينهار فيها وينتهى كل شيء ـ فى هذه اللحظة التى أصبح فيها ضعيفًا ولا حول ولا قوة له » .

وفى الجزء الثانى من كتابه يدلنا بغدادى بمثل بسيط جدًا عن مدى خطورة القفز إلى أحكام خاطئة تنبنى عليها سياسات واستراتيجيات الحرب وهو ما حدث على سبيل المثال فى حرب يونيو ١٩٦٧ وهو يروى فى هذا المجال كثيرا من الوقائع بدون تنظير ولكننا سننقل للقارئ هذه الفقرة : « وفى مرة طلب صدقى محمود عبد الحكيم ، وأخبره أن طائرات العدو قد أغارت على مطار الأقصر وضربت طائراتنا هناك ، وكانت بعض طائراتنا قد نقلت إلى هذا المطار بعد ابتداء الضرب صباح اليوم ، وكانت أصلاً فى مطار بنى سويف ، وقيل إن أحد الطيارين القدامى واسمه حسنى مبارك قد شاهد الطائرات المغيرة وهى من النوع الأمريكى ، وأنه يؤكد ذلك ، وطلب عبد الحكيم جمال عبد الناصر تليفونيا وأخبره أن عدد الطائرات المغيرة كثير جدًا أكثر مما يملك العدو ، وأن هناك طائرات أمريكية تغير على مطار الأقصر ، وقد تعرف عليها أحد الطيارين وهو طيار قديم وله خبرته ، وطلب عبد الحكيم من جمال فى النهاية أن يبحث عن حل سياسى ، ولكن « جمال » كان حريصًا ولم يتسرع ويأخذ برأى عبد الحكيم وإنما طالبه بأن يثبت له تدخل الطائرات الأمريكية ، وأن يحضر له مثلاً طائرة منها يكون قد تم إسقاطها ، واتصل عبد الحكيم بمطار الأقصر وتحدث شخصيًا مع الطيار حسنى مبارك وسأله عن نوع الطائرات التى أغارت على مطارهم هناك ، وهل هى أمريكية أم إسرائيلية ، فأجابه بأنها كانت إسرائيلية » .

وعلى الرغم من أن عبد اللطيف بغدادى كان فى منتهى الألم وقمة الإحباط بما وصلت إليه الحال فى أثناء حرب يونيو ١٩٦٧ إلا أنه كان شأن كل المؤمنين بالقدر يبحث بفطرته عن الجانب الذى قد يكون خيرًا فى هذا الشر الماحق وهو يحدث نفسه ويحدثنا أيضًا فيقول : « إننا

نشعر وكأننا فى حلم ، كابوس رهيب . هل يدمر سلاحنا الجوى فى يوم ، وتدمر قواتنا الأرضية فى يوم واحد آخر ، هل هذه القوة الضخمة لا تصمد أكثر من ٣٦ ساعة ، وأخذنا نعود بذاكرتنا إلى التصرفات فى الجيش ، وأسلوب الحكم ، وهذه هى نهاية كل نظام مثل هذا النظام - ومقامرة جمال عبد الناصر بمستقبل أمة بأكملها فى سبيل مجده الشخصى ، وكنا نعرف من قبل أنه يقامر وكنا نندهش من هذا التصرف ، وهو كان قد قدر أنه سيحقق نصرًا يرفعه إلى السماء دون أن يخسر شيئًا ، فجاءت النهاية - نهاية نظامه ، وخزيا وعارا على الأمة - ربما يكون هذا خيرًا من يدرى ، ربما أراد الله إنقاذ هذه الأمة من استعباد جمال لها ومن تأليبهم له ، واستمرار هذه الصورة كان سيؤدى بها إلى أسوأ مصير ، فربما أراد الله بهذه الأمة أن تصحو من غفوتها وتحطم الآلهة - وتصحو لنفسها ، وألا تدع شخصًا آخر يسيطر عليها كما سيطر جمال - من يدرى ؟ وقدرنا هذا المساء أن « جمال » وعبد الحكيم لابد أن ينتحرا بعد هذا الذى جرى ، وليس أمامهما مفر من ذلك . ورأينا عدم الذهاب « باكر » إلى مكتب عبد الحكيم ، فالأمر قد انتهى ونحن فى انتظار ما يأتى به الغد ، من صور سوداء مظلمة لا يعرف مداها إلا الله » .

ولا يخفى عبد اللطيف بغدادى عجبه الشديد من أن جمال عبد الناصر قد فقد اتصاله بجيشه وبقيادات هذا الجيش إلى الحد الذى كان يقرأ فيه الاستراتيجية التى سيدير عليها عدوه الحرب من الصحف الإنجليزية ، وهو يقول فى مذكراته بلا أى إدعاء أو افتراء أو تأليف : «ودخل - وبعد أن سلم علينا قال لعبد الحكيم ببساطة « إن استراتيجية اليهود مكتوبة اليوم فى جريدة إنجليزية - إنهم يودون احتلال بورسعيد لضمان حرية الملاحة لهم فى قناة السويس » ، فدهشت من أن رئيس الدولة والذى قرر الحرب لم يعرف استراتيجية العدو من قبل ولم يتبينها إلا اليوم من جريدة إنجليزية، واستطرد جمال عبد الناصر موجها كلامه إلى عبد الحكيم «اليهود - زى ما أحنا تعبانين هم تعبانين أيضًا - ويمكن التصدى لهم - ويمكنك استخدام الدبابات الخاصة بالحرس الجمهورى » وعدد هذه الدبابات كما سمعت ستون دبابة » .

(١٠)

وحين يتأمل عبد اللطيف بغدادى كثيرًا من المواقف فإنه يفزع إلى آراء زملائه ، وهو هنا يعبر دون أن يدرى عن نزعته الجماعية التى كانت تضيف إلى قدرته الفردية الهائلة ، وهو ينقل لنا على سبيل المثال حواره مع كمال الدين حسين حيث يقول : « لكن جمال عبد الناصر قال له إن الدول العربية المنتجة للبترول تسمح للشركات الأجنبية بالقيام بنقل البترول مقابل تعهد مكتوب منها بأنها لن تمون به أمريكا ولا إنجلترا وهذا يعنى - على حد قوله - أن المقاطعة شكلية ، كما اتهم جمال أيضًا الملك « فيصل » بالتواطؤ مع الغرب ضدنا ، فطلب منه كمال أن

ننسى خلافاتنا مع باقى الدول العربية حاليا حتى يمكن الاستفادة بهم . وأن يعمل على التفاهم مع فيصل وتسوية مشكلة اليمن . فرد عليه جمال بقوله « ونترك البدر يدخل اليمن » ، فقال له كمال « إن مصر أهم لنا من اليمن ، وأنا أقول لك ذلك مخلصا . ولما نيجى على أنفسنا مع بعض أحسن ما نيجى على أنفسنا مع اليهود » .

(١١)

وعلى الرغم من أنه كان فى وسع عبد اللطيف بغدادى أن ينتهى بكتابه عند استقالته فى ١٩٦٤ أو عند نهاية عهد عبد الناصر فى ١٩٧٠ إلا أنه آثر الانقياد لضميره الوطنى الذى اعتبر حرب ١٩٦٧ بمثابة النهاية « الدرامية » لهذه المذكرات .

وقد أنهى بغدادى كتابه بالحديث عن مأساة انتحار عبد الحكيم عامر ، وكأنه يريد أن يجعل هذه المأساة نهاية ثورة يوليو وعلى الرغم من أنه لم يصرح بشىء من ذلك إلا أن هذا واضح جدًا من عباراته التى أنهى بها كتابه فى تلك الفقرة التى روى بها ذهابه مع كمال الدين حسين للعزاء فى وفاة عبد الحكيم عامر والتى يقول فيها : « استقبلنا أولاده على سلم المنزل الخارجى عندما علموا بحضورنا بالصويت والنحيب والارتماء على صدورنا ، وكان موقفا مؤثرا حتى إننا بكينا ونحن على سلم المنزل لهذا الموقف المؤثر ، وتذكرنا الناس وهى تسعى إلى عبد الحكيم وهو فى السلطة ، والخدمات التى كان يسبغها على الكثيرين ليضمن ولاءهم له ـ أين هم الآن؟ والأولاد يبكون طوال الوقت ويسألوننا لماذا قتلوه ؟ وأنه لم ينتحر وإنما هم الذين قتلوه ـ ويرددون أين أخوته ـ كلهم فى المعتقل ـ وأين أصدقاؤه وزملاؤه والضباط ؟ ولماذا لم يحضر أحد منهم . لم يعزهم فى وفاته سوانا ـ باللأسف على الرجال !! وخرجنا من منزله ونحن فاقدو الثقة فى كل المعانى ، وفى كل الناس ، هل هذه هى نهاية عبد الحكيم عامر ، ياالله . هذا مشهد آخر من مشاهد تلك المأساة التى تجرى على أرض الوطن العزيز ، وإننا لفى انتظار مآس أخرى ـ أمر لابد منه ـ كنتيجة حتمية لما وصلنا إليه » .

(١٢)

ولا يمكن مسايرة الإدعاء السائد بأن بغدادى كان (ضد) عبد الناصر فى هذه المذكرات ، بل يمكن القول إن بغدادى كان صادقًا فى هذه المذكرات فى التعبير عن معاناته من ممارسات عبد الناصر وإن كان هذا لا يمنع بغدادى من أن يقدم التقدير اللائق لعبد الناصر فى كثير من المواقف :

[١] يبدو عبد اللطيف بغدادى حتى من قبل الثورة أكثر إدراكا لطبائع الأمور وأكثر حكمة من جمال عبد الناصر ولكنه أقل منه تحكما وفهما لطبائع الأشخاص فهو فى صفحة ٤٤

من المذكرات يروى أن عبد الناصر « كان يرى عدم الاندفاع ويدعو إلى التأنى وكانت هذه عادته » ، ويأتى حكمه هذا على عبد الناصر فيما كان يثيره بغدادى من أهمية عامل الوقت بعد انتخابات مجلس إدارة نادى الضباط « ثم هو يروى موقف عبد الناصر من الاندفاع نحو محاولة اغتيال حسين سرى عامر فى ٨ يناير ١٩٥٢ بعد الانتخابات بخمسة أيام وهو يروى موقفه من عبد الناصر ومن اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فى هذه الواقعة فى صراحة شديدة فيقول : « وكان جمال قد قام بهذه المحاولة مستقلاً دون أخذ قرار من الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار وأشرك معه فيها كلا من حسن إبراهيم ، واليوزباشى كمال رفعت ، واليوزباشى حسن تهامى من التنظيم ، وكنت قد اعتبرت هذا التصرف منه عندما اجتمعنا ثانى يوم لهذه المحاولة خروجًا منه على رأى الجماعة ، وهو مبدأ رئيسى فى تنظيمنا . وأن الحرية والاستقلال فى التصرف فى مثل هذه الأمور لها خطورتها ، بالإضافة للأضرار التى ربما تقع على التنظيم نفسه لو أمكن للبوليس اكتشاف أمر الذين قاموا بهذا الاعتداء ، وقد بلغ من حدة المناقشة وعنفها فى ذلك اليوم أن طالب جمال عبد الناصر إعادة طرح الثقة به كرئيس للجنة ، وقد حاز على أغلبية الأصوات ، وكان صلاح سالم مشاركًا معى فى هذا الرأى وضد خروج جمال على رأى الجماعة ، ولما وجدت أنه لا يزال هناك إصرار على عدم التحرك السريع رغم تلك الأحداث أعلنت لزملائى أعضاء اللجنة عن انسحابى من حضور اجتماع اللجنة التأسيسية فى المستقبل حتى يقرروا أن الوقت المناسب قد حان لتنفيذ خطتنا ، وأن يعتبرونى فى تلك الفترة جنديًا لهم فى سلاح الطيران ، وأنهم سيجدوننى وزملائى ضباط القوات الجوية خير عون لهم حينما تحين الساعة ، ومن هذا التاريخ لم أعد أحضر اجتماعات اللجنة التأسيسية حتى يوم ١٦ يوليو ١٩٥٢ . وهو اليوم الذى صدر فيه قرار حل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش تلبية لرغبة فاروق . وفى اليوم التالى لهذا القرار حضر حسن إبراهيم إلى منزلى عند الغروب . وأبلغنى برغبة زملائى أعضاء اللجنة فى أن أحضر اجتماعهم فى مساء نفس اليوم ، وتوجهنا معًا إلى الاجتماع » .

[٢] يلقى بغدادى بعض الضوء على تفسير ذكى ومعقول لإصرار عبد الناصر فى بدايات الثورة على الاقتداء بما كان قد حدث فى تركيا أيام مصطفى كمال أتاتورك عندما انسحب من السلطة تاركا الأمر لعصمت أينونو ، ثم لما استفحل الأمر عاد ثانية وأعاد الأمور إلى نصابها .

[٣] من المواقف الطريفة التى يرويها بغدادى أن عبد الناصر بعد أزمة مارس ١٩٥٤ تقدم باقتراح بإغلاق نادى الجزيرة لأنه مصدر الشائعات !!

[٤] يروى بغدادى فى صفحة ١/١٤٦ أن عبد الناصر أبلغه هو وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم أن « الانفجارات التى كانت قد حدثت فى اليوم السابق وأشار إليها فى اجتماع المؤتمر ، إنما هى من تدبيره لأنه كان يرغب فى إثارة البلبلة فى نفوس الناس ويجعلها تشعر بعدم

الأمن والطمأنينة على نفوسهم وحتى يتذكروا الماضى أيام نسف السينمات . . . إلخ . وليشعروا بأنهم فى حاجة إلى من يحميهم على حد قوله » .

[٥] يشير بغدادى فى أكثر من موضع إلى مناورات عبد الناصر الذكية ضد نجيب فهو يروى (ص ١٤٨/ ١) أنه طالب بالإفراج فورًا عن رشاد مهنا « لإزعاج محمد نجيب الذى يخشى أن ينافسه رشاد مهنا فى الرئاسة » كما يروى من قبل (ص ١٤٢ / ١) أن نجيبا كان يطالب بمحاكمة على ماهر بخصوص الهلال الأحمر لمخالفات مادية وذلك للتخلص منه لأنه أشيع أنه ينوى ترشيح نفسه للرئاسة أمام نجيب .

[٦] ينبهنا بغدادى إلى معنى فى غاية الأهمية كان عبد الناصر مدركًا له فى مارس ١٩٥٤ وهو يقول بالنص : « فى أثناء المناقشة ذكر جمال عبد الناصر أن هذه الثورة ليست لها قاعدة شعبية تعتمد عليها ، وليس هناك من يؤيدها لا من الشعب ولا من الجيش . وأن الذين قاموا بهذه الثورة تسعون ضابطًا فقط وأنهم فى تناقص حتى أصبح عددهم خمسين ضابطًا الآن » ثم يعقب بغدادى فيقول : « وعلّقت على كلامه هذا بقولى : معنى هذا أننا نفرض أنفسنا على هذا البلد ، فرد علىّ بالإيجاب » .

[٧] يلخص بغدادى الحساسية المبكرة بينه وبين عبد الناصر فيروى قصة حوارهما فى إبريل ١٩٥٤ بهذه العبارات : « ثم تكلم جمال عبد الناصر عن الحساسية ذاكرًا أننى حساس ، وأنه كان يحتاط دائمًا لذلك ، وضرب مثلاً بقوله إنه بالرغم من أن مجلس الثورة قد فوض له كل السلطة ولكنه لم يستخدمها (اقتراح جمال سالم وموافقة أغلبية المجلس عليه) ، ولو أعطى هذا الحق لشخص آخر غيره لاستخدمه دون الرجوع إلى المجلس ، وأراد أن يبين أنه قاسى الكثير فى سبيل المحافظة على وحدة المجلس . وأنه ملاك وليس بشرًا . ولكننى لم أشأ أن يمر ما أشار إليه من عدم استخدامه لهذه السلطة التى فوضها له المجلس دون أن أشير إلى بعض التصرفات التى صدرت منه وتدل على غير ما ذكر . فقلت له « ألم تذكر لضباط المدفعية أنك كل شىء فى هذا المجلس ومن أنك قادر على تمرير أى شىء فيه دون صعوبة ؟ وأنك قلت لهم أيضًا لا يهمكم أعضاء هذا المجلس فما هم إلا صورة داخل المجلس » ، وكان هذا الكلام قد أتى على ألسنة بعض من ضباط المدفعية الذين حقق معهم فى يناير ١٩٥٣ (محسن عبد الخالق ومجموعته) ، فحاول جمال الرد ولكنه لم يعرف كيف يرد ـ هل ينكر ـ إن ذلك غير ممكن لأنه يعلم أن المجلس كله يعرف هذه الواقعة ـ أو يقول إن هذا صحيح فيسبب بذلك إحراجًا لأعضاء المجلس . لذلك كان رده علىّ : « إنه يمكن إضافة هذا إلى الاعتبارات المختلفة والتى تسبب عنها ما فى نفسك » . وتساءل : هل هو يستجوب أم ماذا ؟ وتكلم عبد الحكيم قائلاً « هل أنت مازلت متذكرا هذا من يناير ١٩٥٣ ؟» فأجبته بأنى أذكرها فقط بمناسبة حديثه عن السلطة وعدم اهتمامه بها رغم أن الشواهد تدل على غير ذلك . فأراد جمال

عبد الناصر أن يبين أن هذا الخلاف ما هو إلا لسبب دفين فى نفسى ـ وربما يكون هذا صحيحًا ـ وذلك لاعتقادى بأنه هو الذى أوجد هذا الشقاق والخلاف ـ وهو الذى جعل الشعب يفقد ثقته فينا ـ كما سبق أن فقدها فى زعمائه السابقين ، وليس هذا إلا بسبب سعيه الدائم وراء القوة ومركز الثقل ـ على حد قوله ـ وأن الناس عندما تشعر بهذه القوة تأتى إليه تسعى كما كان يردد ـ وذلك هو الذى دفع محمد نجيب إلى الاستماتة فى سبيل الاحتفاظ بصورته كقائد ثورة وحتى لا يقال عنه إنه « فوزى سلو » يعنى قائد انقلاب سورى فاشل ـ وهو ـ أى محمد نجيب ـ كثيرًا ما كان يردد هذا . وأصبح هناك تسابق بينهما ومزايدات فى الخطب مما دفعنى إلى أن أبتعد عن كلا الطرفين وأقف موقف الحذر فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ مصر .

وعن هذا الحوار وهذه المكاشفة يروى بغدادى هذه الفقرة « ذكرت من ضمن ما ذكرت أيضًا ما كنت قد سمعته عن إعطاء الصاوى محمد الصاوى رئيس نقابة عمال النقل بالقاهرة مبلغ أربعة آلاف جنيه تشجيعًا له ليدفع عمال النقل إلى الإضراب بعد أن صدرت قرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ ومنتقدًا هذا التصرف . ولكن جمال ذكر أنه أراد بذلك أن يسبق خالد محيى الدين ويوسف منصور صديق لأنهما كانا ينويان عمل نفس الشيء على حد قوله .

[٨] يروى بغدادى بالتفصيل قصة غضب جمال عبد الناصر من إجراء التحقيق مع عمه ، ولابد لنا أن نتأمل كل التفصيلات التى يوردها عبد اللطيف بغدادى فى هذه القصة لأنها تطلعنا بعمق على العوامل المتضاربة فى اتخاذ قرارات نزاهة الحكم فلاشك أن بغدادى وعبد الناصر كانا حريصين على هذه النزاهة ، ولكن المشكلة جاءت من أن القرار اتخذ بينما عبد الناصر فى الخارج ، هذا فضلاً عن أن الإنسان عندما يكون مسئولاً كبيرًا يؤثر تصديق الروايات التى فى صالحه أكثر من تصديق الروايات التى فى غير صالحه فإذا ما تواترت الروايات الأولى لم يكن عليه حرج فى أن يبحث للرواية الأخرى عن أسباب أخرى ومعانٍ كثيرة وليس من الصعب أن تطل هذه المعانى برأسها على ألسنة كثير من المحيطين بأى رئيس أو زعيم ، وها هو بغدادى يروى القصة بشيء من التفصيل المهم فيقول : « وكان قد حدث أثناء وجود جمال عبد الناصر فى مؤتمر باندونج أن علمت من مصطفى عبود وكيل الوزارة التى أتولى شئونها أن حسين خليل عبد الناصر ـ عم جمال ـ قد تدخل لدى إحدى الشركات التابعة للوزارة لصالح أحد أصدقائه ، ولمّا كان عم جمال موظفًا بوزارة الإصلاح الزراعى فقد قمت بإبلاغ هذا التصرف منه إلى جمال سالم لمسئوليته عن تلك الوزارة ، وقد رأى جمال سالم إجراء تحقيق معه فيما هو منسوب إليه ، ولما عاد جمال عبد الناصر من المؤتمر وعرف موضوع التحقيق مع عمه تضايق من هذا التصرف وأخذه بمعان أخرى بعيدة تمام البعد عن الحقيقة ، وكنت قد علمت بهذا الأمر من زكريا وحسن إبراهيم فاصطحبت معى جمال سالم وتوجهنا إليه لتسوية هذا اللبس ، وكنا متأثرين منه لحالة الشك التى راودته وعاتبناه عليها ، ومما ذكره جمال سالم له أنه كان يعتقد

أنه بهذا الإجراء الذى اتخذه إنما كان يحمى به جمال عبد الناصر ، وأنه قد تصرف كما لو كان هو جمال عبد الناصر نفسه ، كما أن هؤلاء الموظفين الذين يحقق معهم تابعون لوزارته وهو مسئول عن تصرفاتهم ، وأما جمال عبد الناصر فقد أشار إلى أن هذا التصرف من عمه كان قد حدث من مدة ولكنه لم يثر إلا أثناء وجوده ـ أى جمال عبد الناصر ـ بالخارج حتى تفهم البلد ـ على حد قوله ـ أن عمه كان مستغلاً لنفوذه ، وكان محميًا منه ، ولكنه فقد هذه الحماية بعد سفره إلى الخارج ، وحاولت من جانبى أن أوضح أن الموضوع قد عرف صدفة ، ولم أبلغ جمال سالم به إلا لكونه مسئولاً عن تصرفات موظفيه ، وبعد حديث طويل أظهر لنا اقتناعه بملابسات الموضوع ، وأن الشك الذى كان يساوره قد زال ، ولكن تبين لى فيما بعد أنه كان لا يزال عالقًا فى نفسه » .

[٩] يدلنا بغدادى بتلقائية شديدة على مدى ذكاء عبد الناصر فى استغلال الخطاب السياسى للإعلان عن قرارات لم يتم الاتفاق عليها مع زملائه ، وكأنه بهذا يفاجئ هؤلاء الزملاء من ناحية ، ويكسب الإيحاء بأنه يقف مع مطالب الشعب السياسية من ناحية أخرى ، ومع هذا فإننا لا نعتقد أن عبد الناصر كسب بمثل هذه الإجراءات ويبدو أن عبد الناصر وبغدادى وغيرهما من أعضاء مجلس القيادة كانوا فى حاجة إلى أن يفهموا ما فهمه أنور السادات وعبر عنه بأكثر من صورة طوال سنوات عمره بما فيها فترة رئاسته من أن قرارات الثورة لا تؤخذ بالأصوات ولا بالأغلبية ، وأن هناك عقلا مدبرًا لها هو الذى يتولى كل ذلك ، ولنقرأ فقرات بغدادى التى تدلنا على هذه المعانى حيث يقول : « وفى مساء يوم الخميس ١٩ مايو ١٩٥٥ كنت قد علمت أن جمال عبد الناصر ألقى كلمة فى نادى ضباط الجيش بالزمالك وكان قد دعى لتناول الإفطار بمناسبة عودته من باندونج ، وكنا فى رمضان ، وكانت الدعوة فجائية ، ولم أحضرها لارتباطى من قبل على تناول الإفطار مع أصدقاء لى ، وعلمت فى نفس المساء أنه أعلن فى كلمته التى ألقاها عن انتهاء فترة الانتقال فى يناير ١٩٥٦ ، وهى نهاية مدة السنوات الثلاث ، كما أنه أعلن فى كلمته أيضًا عن عودة الحياة النيابية ، ولكنها ليست فى شكل أحزاب ، وإنما ستكون ممثلة فى هيئات ، ولم يكن المجلس قد ناقش هذا الموضوع من قبل ، وكان الأمر مفاجأة لى ـ لا للخبر نفسه ـ بل لأن جمال عبد الناصر قد أعلن هذا القرار منفردًا وبهذه الصورة العلنية دون الرجوع إلى مجلس الثورة ، وكانت هذه أول مرة يخطو فيها هذه الخطوة ـ وهل كان القصد منها ممارسة السلطة منفردًا وتثبيت حقه فى إصدار مثل تلك القرارات وإعلانها تنفيذًا لقرار الأغلبية فى مجلس الثورة أم إنه أراد أن يعطى الشعب انطباعًا بأنه هو الذى يعمل على عودة الحياة النيابية فى أقرب وقت ؟ كان هذا هو الذى خطر فى ذهنى على أثر سماعى هذا الخبر فى نفس المساء . ولكن بعد إعلان هذا بأيام قليلة اتصل بى عبد الحكيم ليهنئنى بالعيد وفاتحته فيما أعلنه جمال عبد الناصر ، وفسّره لى بأن جمال عبد الناصر قد

اضطر لإعلان ما أعلنه بحجة أن هناك شائعات تدور فى البلاد عن أن صلاح والبغدادى منقسمان على المجلس لرغبتهما فى عودة الحياة النيابية ، كما أن جمال سالم كان قد قام بزيارتى فى نفس اليوم الذى تحدثت فيه إلى عبد الحكيم وأثير ما أعلنه جمال أثناء حديثنا ، فأبلغنى أنه شخصيًا لم يعلم به إلا قبل قيام جمال عبد الناصر بإلقاء كلمته مباشرة ، وذلك أثناء جلوسهم على مائدة الإفطار ، وأن جمال عبد الناصر أبلغه أنه سيعلن ما أعلنه بحجة أن هناك شائعة عن أن جمال سالم (أم بغدادى) وصلاح منقسمان على المجلس بسبب نظام الحكم ورغبتهما فى عودة الحياة النيابية وبسرعة ، وأن مجلس الثورة معارض فى ذلك ، وأنه بهذا التصريح منه يريد أن يقضى على هذه الشائعة ـ ولكننى لم أكن قد سمعت عن هذه الشائعة من قبل » .

[١٠] بعد حديثه المطول عن نجاح مصر فى تأميم قناة السويس يتحدث بغدادى بحب شديد عن جمال عبد الناصر ويقول : « لقد كان لقرار تأميم قناة السويس صدى واسع فى العالم كله ، وفى العالم العربى خاصة ، وأصبح جمال عبد الناصر بعد هذا القرار بطل القومية العربية وزعيم العرب دون منازع ، وكان قد سبق ونال إعجاب الجماهير العربية عندما كسرت مصر احتكار الغرب للسلاح واتجهت نحو روسيا وتبعتها من بعدها سوريا فى أوائل عام ١٩٥٦ ، وأصبح جمال بذلك أمل الملايين من العرب فى كل مكان من الأمة العربية ، وسيزداد هذا وثوقا وتعلقا به بعد معركة السويس كما سيأتى ذكره » .

[١١] وهذه فقرة يتحدث فيها بغدادى إلى نفسه فى هذه المذكرات محاولا التخلص من المرارة عن صدور قرار بفرض الحراسة عليه عند اعتزاله الحكم فى ١٩٦٤ وهى فقرة تدلنا على أن عبد الناصر لم يكن يأبه كثيرًا بتواريخ صدور قراراته وغير ذلك من شكليات القرار [وقد تناولنا نقلاً عن ثروت عكاشة فى مذكراته مثل هذا التصرف حين عينه رئيسًا للبنك الأهلى بتاريخ سابق] ، وهذا هو بغدادى يقول : « وكنت قد علمت فى يوم الأربعاء ٢٥ مارس أن الذين كلفوا بوضع الأختام على مكتب شقيقى هم من جهاز المباحث العامة ، وأنه قد طلب بعد ذلك من إدارة الحراسات أن تتولى الأمر ، ولكن المسئولين فيها كانوا فى حيرة من أمرهم ولا يعرفون كيف يتصرفون لأن قرارًا كان قد صدر بإلغاء تلك الإدارة يوم ٢١ مارس ١٩٦٤ ، وليس هناك أيضًا من سند قانونى لهم لتنفيذ أمر الحراسة لأنه صدر بتاريخ ٢٤ مارس وبعد إلغاء تلك الإدارة . ولكننى علمت فى مساء نفس اليوم أن تعليمات جديدة قد صدرت إلى إدارة الحراسات بأن تعتبر أن قرار فرض الحراسة كأنه صدر بتاريخ ١٣ مارس وليس بالتاريخ السابق الذى صدر به ، واستغربت التصرف ولذا جاء فى يومياتى تعليقًا على ذلك ـ أننى لا أعرف كيف رضى جمال لنفسه أن يتخذ هذه الخطوة وأن يغير من تاريخ القرار بعد أن اطلع عليه موظفون صغار، وأن يعتدى بهذا الشكل على القانون الذى أصدره ولم يجف حبره بعد ، وعلى الدستور أيضًا الذى أعلنه فقط فى اليوم السابق لإصدار هذا القرار بالحراسة ، ولا أعرف

أيضًا لماذا اختار جمال يوم ١٣ مارس بالذات ـ هل حتى يصبح وكأن خطاب استقالتى لاحق لهذا القرار منه ـ وهل هو لا يعلم أن الحقيقة لابد أن تتضح فى يوم من الأيام ـ وهل هو نسى أيضًا أننى أشرت فى خطاب استقالتى إليه أن الأسباب التى تدفعنى إلى الانسحاب من الحياة العامة قد سبق لى أن ذكرتها يوم ٤ مارس عندما اجتمعنا فى منزله ، وخطابى إليه ما هو إلا تأكيد لهذا الذى سبق أن قلته يوم الاجتماع » .

(١٣)

ومع هذا كله فإن بغدادى فى كل ما كتب فى هذه المذكرات ينظر إلى كل الأمور فى إطار ما نسميه بالتاريخ الطبيعى ، فهو لا يؤمن بالارتداد إلى الماضى ، ولا يؤثر السلامة فى حكمه على الحاضر ، وما تزال جذوة الثورة فى روحه لا تتراجع مهما كانت الظروف وهو يفرق بإحساس جيد بين ما هو « فردى » وما هو «جماعى» ، وبين ما هو « شخصى » ، وما هو « وطنى » ، ولكنه مع ذلك لا يرتدى مسوح المثالية ، ولا يخاطبنا من أعلى عليين ، إنما هو صادق فى معاناته وفى تعبيره عن هذه المعاناة ، حتى ولو كانت معاناة النجاح .

ويجاهر بغدادى فى هذه المذكرات (مثلاً) بأن أتعب سنوات حياته السياسية هى تلك الفترة التى صنع فيها مجده التنفيذى كوزير بارز وناجح للشئون القروية والبلدية وهو يقول فى صراحة شديدة فى ص ١٨٨ : « وكانت تلك السنوات التى أمضيتها كوزير لتلك الوزارة من أتعب سنى حياتى السياسية وقد وقعت أثناءها تحت ضغط نفسانى شديد ـ وحاولت الاستقالة عدة مرات ولكن ظروف بلدى التى كانت تمر بها كانت تمنعنى وتحول دون ذلك ، لأنه لم يكن قد تم جلاء القوات البريطانية عن أرض بلادنا بعد ، وتلك الحرب الباردة والضغط الشديد الذى وقع علينا من الدول الغربية بعد شرائنا الأسلحة من الكتلة الشرقية وكسر احتكار السلاح ـ ثم تأميم قناة السويس وما تلاها من اعتداء انجلترا وفرنسا وإسرائيل على بلادنا ، وكان السبب الرئيسى فى هذا التعب هو نجاح هذه الوزارة التى توليتها وقيامها بتنفيذ عدة مشروعات ضخمة والسرعة فى تنفيذها وإعجاب الشعب الشديد بأعمالها ، وجهود جهازها الفنى ، وما كان يبذله لتنفيذ تلك المشروعات فى فترة زمنية بسيطة ، وبدل أن يكون ذلك موضع شكر وتقدير من جمال لأن ما تؤديه تلك الوزارة ونجاحها ما هو إلا تدعيم للثورة وإثبات لوجودها شن علىّ حملة محاولاً التشكيك فى أهدافى عند إخوانى أعضاء المجلس موحيًا إليهم أننى أسعى إلى الحصول على شعبية عند الرأى العام بهذا الجهد الذى يبذل بغرض فرض إرادتى على المجلس ، ومن أنى أعمل على تكوين حزب من أعضاء المجالس البلدية المختلفة على حساب هيئة التحرير ـ وقصص أخرى كثيرة واردة فى يومياتى ولا محل لذكرها فى هذا المجال » .

(١٤)

ويحفل هذا الكتاب بكثير من المواقف التى تصور لنا الجو المسرحى الذى تمت فيه كثير من القرارات المصرية سواء بالسلب أم بالإيجاب ومن أهم الفقرات التى فى هذا الكتاب تلك التى يصور بها السبب البسيط فى تراجع عبد الناصر ذات مرة عن قراره بإبعاد زكريا محيى الدين عن وزارة الداخلية وإسنادها إلى صلاح دسوقى وذلك حيث يقول بغدادى : « وكنت قد علمت بالأمر فيما بعد من جمال ، وكان قد ذكر لى أنه على أثر سماعها أمر صلاح دسوقى بأن يتولى أمور وزارة الداخلية بدلا من زكريا ، وأنه كان ينوى تعيينه وزيرًا لها ، ولم يتراجع عن ذلك إلا عندما ذكر له على صبرى أن هذا التصرف منه ربما يؤول على أن ذلك العمل ما هو إلا ترضية منه للروس باعتبار أن زكريا متعاطف مع الأمريكان » .

(١٥)

ومن أهم الفقرات كذلك فى هذا الكتاب ما يرويه بغدادى عن ملاحظات للوزير السورى البارز طعمة العودة الله فى أحد اجتماعات الوحدة ، والقصة تنبئنا عن مدى البلبلة التى كانت تحدثها الصحافة «القاهرية » بما يؤثر بل وبما أثر بالفعل على الوحدة روحا ومضمونا ونحن لا نستطيع أن نلوم « هيكل » وحده فى هذه الواقعة فهذا هو بغدادى نفسه يدعونا إلى أن نلوم بغدادى نفسه هو الآخر ، لأنه بعد أن تفهم دوافع زميله الوزير السورى لم يفعل شيئًا إلا أن أنبأنا أنه فهم دوافعه ! ! وهكذا كان أخواننا السوريون (أو آباؤنا) يعانون أشد المعاناة من قياداتنا المصرية سواء فى ذلك هيكل أم عبد اللطيف بغدادى كما يتضح من هذا النص الذى يقول فيه بغدادى : « وقد أثار طعمة فى نهاية الاجتماع الأخير معنا ذلك المقال الذى نشر فى الأهرام بقلم محمد حسنين هيكل والذى جاء تحت عنوان « ياسيادة الزعيم الأوحد » ، وقد قصد هيكل بهذا عبد الكريم قاسم وقال طعمة « لماذا لا يكتب التاريخ على حقيقته ـ وما الذى دعاه إلى كتابة أسماء بعيدة عن الواقع الذى حدث » ، وفسر هذا التساؤل منه بأن ما ذكره هيكل فى مقاله عن اتصال السراج والنافورى بعبد الكريم قاسم أثناء قيادته لقوة عراقية كانت معسكرة فى منطقة المفرق فى شرق الأردن ، وقبل قيام الثورة العراقية ليس صحيحا ، وأن من سعى إلى هذا اللقاء كان هو طعمة نفسه ومعه البرزى وليس السراج والنافورى ، وأنهما قد التقيا مع قاسم ، وأنه يخشى أن يذكر قاسم الحقيقة ردًا على ما جاء بمقال هيكل ويعلن عن أن اللقاء قد تم مع البرزى وليس معهما ، وإنه لو ذكر ذلك فسترتفع أسهم البرزى وسيستفيد منها شعبيا ، وذلك ليس فى الصالح . وشعرت أن ما ضايق طعمة من هذا المقال هو عدم ذكر أسمه فى هذه الاتصالات التى جرت مع قاسم قبل قيام الثورة العراقية » .

وعلى نفس النمط من تعامل هيكل وبغدادى مع القيادات السورية يأتى تعامل عبد

الناصر نفسه مع القيادات السوفيتية ، وبغدادى يروى لنا فى مذكراته ملخص أفكار عبد الناصر التى هاجم بها الاتحاد السوفيتى بعد فشل ثورة الشواف فى العراق فيقول : « وكنت قد استمعت يوم الأحد ٢٢ مارس ١٩٥٩ إلى صورة صوتية لخطاب جمال من إذاعة القاهرة والذى كان قد ألقاه فى دمشق فى نفس اليوم ، وقد حمل جمال فى هذا الخطاب على الاتحاد السوفيتى ، وحاول أن يكشف حقيقة موقفهم أثناء الاعتداء الثلاثى على مصر ، وأعلن أنهم لم يتدخلوا فى المعركة التى كانت دائرة معنا ، وأن تحركهم جاء يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦ بإرسال ذلك الإنذار المعروف بعد أن اتضح لهم أن القتال سيتوقف . وأشار كذلك إلى موقفهم السلبى عندما نزلت قوات مشاة الأسطول السادس الأمريكى على سواحل لبنان ، والقوات البريطانية فى شرق الأردن عام ١٩٥٨ عند قيام ثورة العراق وذلك رغم ذهابه إليهم فى موسكو وطلبه منهم اتخاذ موقف إيجابى إزاء هذه التحركات ، وقد أراد جمال بهذا التصريح منه أن يضيع الأثر الذى كان لدى الشعب العربى عن موقف موسكو من قبل ، وأن دورها كان سلبيًا ولم تساندنا فى المعركتين بصورة فعالة كما يشاع » وهكذا تتضح لنا فلسفة النظام المصرى من المشكلة الحاكمة فى ذلك الوقت من مثلث العلاقات السورية ـ العراقية ـ السوفيتية !!

(١٦)

ويلخص لنا بغدادى فى كتابه القيم عملية الانفصال وتداعياتها بعد أن تناول كثيرًا من تفصيلات أيام الوحدة ثم يخرج لنا بالعبرة فيقول : « وقد مر كل ذلك فى ذهنى وكأنه شريط سينمائى ولكنه لم يستغرق إلا لحظات ، وأحسست ما حدث كأنه كابوس ثقيل ، وأن أملنا فى وحدة عربية شاملة قد انهار فجأة ، وفى ساعات محدودة ، وما حدث سيكون له تأثيره وعاملاً مؤخرًا دائمًا لإتمام هذه الوحدة التى هى أمل كل عربى مؤمن بوطنه وبعروبته ، ولاشك أن هناك أخطاء تسبب عنها تدهور فى قوة الوحدة وكان يمكن تداركها وعلاجها خاصة تصرفات السراج فى سوريا والطرق البوليسية التى كان يتبعها وتذمر الشعب السورى منها حتى أطلق عليه اسم السلطان عبد الحميد ، وكان جمال يعلم ما يفعله السراج وضيق الشعب السورى وشكواه من هذه الأفعال ، ولكن « جمال » كانت له طريقته الخاصة فى معالجة مثل هذه الأمور، وكان يعتقد أنه بالصبر ومع الوقت يمكن حلها ـ هكذا كان يردد دائما عندما تواجهه بعض المشاكل ، ولكن هناك بعض الأمور إن لم تعالج فورًا فغالبا ما يترتب عنها أضرار بالغة ، وكان هناك أيضًا خطأ آخر جسيم ساهم فيما حدث فى سوريا وهو طريقة إدارة دفة الجيش وأموره ، وعبد الحكيم كان عادة يترك الأمور لمساعديه ، وهم كانوا يتخذون ما يرون من قرارات وأغلب مساعديه قلَّ أن يحسنوا التصرف ، وقد أدى تصرف البعض منهم فى سوريا إلى جرح كرامة وكبرياء كثير من الضباط السوريين ، وكثيرًا ما كنا نسمع قصصًا تؤكد هذا المعنى

وكانت تبلغ إلى جمال ، وقصة عبد الكريم النحلاوى مدير مكتب عبد الحكيم وكاتم أسرار الجيش فى سوريا وهو أحد قادة الانقلاب إن لم يكن أهمهم تؤكد هذا المعنى الذى سبق ، فقد عمد إلى إجراء حركة تنقلات بين ضباط الجيش السورى ووحداته تم له فيها نقل أغلب الضباط المتفقين على القيام بالانقلاب إلى قيادة الوحدات الهامة فى المناطق المختلفة وذلك حتى يضمن نجاح الانقلاب ، كما أوفد أيضًا الضباط السوريين المؤمنين بالوحدة إلى بعثات بالخارج زيادة منه فى الحيطة ، وقد تم له كل هذا دون أن يشك فى نياته عبد الحكيم أو أحد من معاونيه ، بل إن مؤامرة الانقلاب نفسها كان قد سبق وعلم بأمرها وذلك قبل حدوثها بثلاثة شهور ، وذكر أثناءها أسماء ثلاثة من قادتها وكان النحلاوى نفسه أحدهم ، ولكن عبد الحكيم استبعد الأمر لثقته فى النحلاوى ولم يحاول التأكد من صحة هذه المعلومات أو يجرى تحقيقًا فيها ، وقد أثير معه هذا الموقف منه بعد عودته مباشرة من سوريا بعد الانقلاب فى منزل جمال ، فذكر أن النحلاوى غبى وقد استغل فى هذه العملية ، وليس بخافٍ أيضا ما كان يذكر عن مدير مكتبه فى مصر البكباشى شمس بدران ، والطريقة التى كان يتعامل بها مع الضباط من ذوى الرتب الكبيرة إلى أن أصبح هذا موضع تعليق دائم ليس بين الضباط فقط بل وبين المدنيين كذلك ، ولم يحاول عبد الحكيم إبعاده عن منصبه أو حتى إيقافه عند حده رغم ضيق الضباط من هذه الأفعال إلى درجة أثارت حفيظتهم منه » .

« ولا يفوتنى كذلك أن أذكر أن من ضمن الأسباب التى أوصلت الحال إلى ما وصل إليه هو أسلوب جمال فى الحكم ، فالشعب لم يكن له دور إيجابى فى السياسة التى ترسم له . وكان هذا الوضع له خطورته فى سوريا ومصر على السواء ، ولم يكن هناك تنظيم سياسى اللهم إلا تنظيم الاتحاد القومى ، وهو نفسه كان تنظيمًا فاشلاً ولا يشارك فى وضع السياسة العامة للبلاد، وحتى قراراته نفسها إن اتخذ قرارا لم يكن ملزما لأحد ، ومجلس الأمة سلطة الرقابة الشعبية على أجهزة الدولة كان قد أصبح أضحوكة الجميع ، ولم يكن يباشر صلاحياته بل وصوته لم يكن مسموعا على الإطلاق ـ والصحافة لم تكن تقوم بدورها الطبيعى فى إبداء الرأى الحر ومناقشة ما كان يجرى من أخطاء ، وإنما اقتصر دورها فى الغالب على التمجيد والتهليل للحاكم ، وأصبح السباق بين الكتاب فيها على التقرب إليه عن طريق الزلفى والنفاق ، وكانت هناك محاباة زائدة لضباط الجيش الذين تركوا خدمته ، فقد أصبح لهم الأولوية الأولى فى شغل المناصب الرئيسية فى الشركات أو التعيين فى سفاراتنا بالخارج ، والشعب كان ينظر إلى ما يجرى من حوله ولا يملك من أمره شيئًا إلا أن يعلق على ما يجرى كعادته بنكاته وقفشاته لينفس بها عن نفسه ، وعما يعتمل فى صدره من آلام وحسرة ، ومتخذًا لنفسه موقفًا سلبيًا من تلك المجريات حتى أصبح فى جانب ، والحاكم فى جانب آخر وبعيدًا عنه » .

ومن الفقرات التى يحسن بنا أن ننقلها عن البغدادى تقييمه لدور عبد الناصر فى ١٩٦٢

حين يقول : « كما أن إصرار جمال على تعيين على صبرى رئيسًا لمجلس الوزراء رغم فشله الواضح كرئيس للمجلس التنفيذى قبل ذلك التعيين مباشرة ، ورغم موقف شقيق زوجته جمال فؤاد أيضًا فى قضية الاستيراد والتصدير المعروضة حاليًا على القضاء ، واتهامه فيها بالرشوة ، وما يدور حولها كذلك من لغط كثير بين أفراد الشعب ليدلُّ على أن « جمال » قد أصبح يستهين بالرأى العام ، بل ويتحدى مشاعر الشعب كذلك أو أن الغرور قد تملكه . وكنت قد اتصلت بصديقى عبد الرءوف نافع وطلبت منه الحضور إلى منزلى حتى أسلمه يومياتى ليخفيها عنده ذلك لأننى خشيت أن يقوم جمال بالمزيد من الإجراءات التعسفية معى ، ولكن عندما حضر عبد الرءوف إلى منزلى علمت منه أن « جمال » قد أمر بإعفائه من منصبه كعضو منتدب لدار الهلال ، وأنه قد علم بالخبر من الأستاذ على أمين الصحفى قبل أن اتصل به بنصف ساعة فقط ، وأن الدكتور عبد القادر حاتم وزير الإعلام قد اتصل به أيضًا وأبلغه بالقرار » .

(١٧)

ويتراوح موقف عبد اللطيف بغدادى من الضباط الإخوان المسلمين تبعا لمواقفهم هم من التنظيم ، وهو يذكر فى صفحتين متقدمتين من كتابه (ص ١٣ و ١٤) أن محاولة قد جرت لضم تنظيمهم إلى تنظيم الضباط الإخوان فيقول : « وقد تم الاتصال بخصوص هذا الأمر مع جمعية الإخوان المسلمين للتعرف على مدى استعدادها للمشاركة فى تحقيق هذا الهدف ، وقد رحب المرحوم الشيخ حسن البنا رئيس الجمعية فى ذلك الوقت بالفكرة ، ولكنه اقترح علينا إدماج التنظيمين فى بعضهما أى التنظيم الخاص بنا مع التنظيم الخاص بالإخوان المسلمين ، وقد برر لنا هذا الاقتراح بقوله إن لديه الجنود وهم الأعضاء المنضمون للجمعية ، وكان يقدر عددهم بما يقرب من ربع مليون عضو فى ذلك الحين ، وإنه فى حاجة إلى القادة القادرين على قيادة هؤلاء الجنود ، وأوضح أن ضباط تنظيمنا سيكونون هم القادة المطلوبين لهذا الغرض ، وربما يكون هذا العدد من الأعضاء الذى ذكره لنا فيه مغالاة بغرض التأثير علينا ، ولكننا لم نتفق معه على فكرة الإدماج خوفًا من أن تذوب منظمتنا وهى فى بداية عهدها داخل منظمتهم ، كما أن الاندماج سيمكنهم من التسلل داخل الجيش ويسهل عليهم بعد ذلك الاستيلاء على السلطة فى البلاد ، وكان قد اتضح لنا هذا الهدف الذى يرمون إليه من حديث المرحوم حسن البنا معنا عندما قال « إننا ندعو إلى الدين لغرض سياسى نأمل تحقيقه ، ولسنا مشايخ طرق » ، ورغم أننا اعترضنا على فكرة الإدماج التى تقدم بها إلا أنه قبل التعاون معنا فى الحدود التى اتفقنا عليها ، وهى المساندة فى إعاقة تقهقر الجيش البريطانى عند انسحابه وربما يكون قد قبل هذا التعاون على أمل أن يحقق الفكرة التى اقترحها علينا مع مرور الوقت .

ويصرح بغدادى فى مذكراته بجوهر السياسة التى استقر مجلس قيادة الثورة على الأخذ بها

فى التعامل مع الإخوان فيما بعد نجاح الثورة واستقرارها وهو يروى فى مذكراته فيقول : « وكان مجلس قيادة الثورة قد اجتمع فى استراحة وزارة المعارف الموجودة بمنطقة أهرامات الجيزة يوم ١٨ ديسمبر ١٩٥٣ لمناقشة بعض الموضوعات ، وكان من أهمها النظر فى أهداف الإخوان المسلمين وما يسعون إليه من الاستيلاء - على السلطة - وكيف يمكن مقاومتهم والقضاء على جماعتهم - خاصة وأنهم كانوا يعملون على التوغل بتنظيماتهم داخل صفوف الجيش والبوليس ونوقش موقفنا حيالهم وحيال هذا الاتجاه منهم وهل نعمل على حل جمعيتهم ؟ أو نستفيد من الانشقاق الذى كان قد تواجد بينهم ؟ ورئى أن حل جمعيتهم سيزيد من العطف عليهم ويدفعهم إلى التماسك وضم صفوفهم لمقاومة ودرء هذا الخطر ، وأن زيادة الانشقاق بينهم هى الوسيلة لإضعافهم وتفكيك صفوفهم خاصة وأن قادتهم كانوا لا يثقون فى بعضهم البعض كما كانوا ضعاف الشخصية ، كما أن أفراد الخلايا فى الجماعة نفسها لم يكونوا يعرفون أهداف قياداتهم الحقيقية ، وهم يتبعونهم على أنها دعوة دينية ليست لها أهداف سياسية ، وكنا نرى أنه بالعمل على زيادة الإنتاج ، وقيام المشروعات الإنتاجية الجديدة ، وزيادة الخدمات للشعب ، والعمل على تحسين الموجود منها فإن ذلك مع الوقت يزيد من قوة الثورة ويضعف من مركز الإخوان المسلمين ، وكان قرارنا فى النهاية على ضوء تلك المناقشة هو العمل على زيادة الانشقاق الموجود بينهم والعمل أيضًا على زعزعة ثقة مَنْ يتبعهم فى أشخاص قياداتهم .

ويذكر لنا بغدادى فى كتابه موقف الإخوان المسلمين من اتفاقية الجلاء عن مصر وأن الأستاذ الهضيبى أعلن (ص ١٩٨) أن هذه الاتفاقية خيانة وطنية للبلاد (!!)

(١٨)

يروى لنا عبد اللطيف بغدادى فى صفحة ٣١٢/ ١ فقرة فى غاية الأهمية لتاريخنا الاقتصادى وللحديث عن اقتصادنا الوطنى وسياسات الاستقلال والتبعية التى راودته وتبادلت عليه ، وفى هذه الفقرة يتحدث عن تدبير تمويل مشروع السد العالى ، وعن بدايات تفكير الثورة فيه وهو يقول بالنص : « وكان حجم الاستثمارات المطلوبة لهذا المشروع تقدر بحوالى ٤٥٠ مليونًا من الجنيهات ، وثلث هذا المبلغ مطلوب توافره من العملات الحرة ، وهى لم تكن متوافرة لدينا ، وكان التفكير فى طريقة تمويل هذا المشروع قد بدأ مع بداية عام ١٩٥٤ ، وكان الاتجاه فى بداية الأمر أن نعتمد على أنفسنا فى توفير التمويل من النقد المحلى والأجنبى ، وكان الدكتور عبد الجليل العمرى وزير المالية يرى أن هذا ممكن عن طريق تصدير فائض إنتاجنا من الأرز إلى الخارج مع استخدام الفرق بين سعره العالمى وسعره المحلى فى تمويل المشروع دون أن نعتمد على أية دولة أجنبية أو الالتجاء إليها لتمويله ، والفرق بين السعرين العالمى والمحلى للطن الواحد كان حوالى سبعين جنيها ، وكان جمال سالم رئيس مجلس الإنتاج قد اقترح أن نقوم

باستخدام احتياطى الذهب الموجود لدينا فى هذا الغرض ذلك لعدم اطمئنانه إلى البنك الدولى، ولكن هذا الاقتراح منه استبعد لضرورة استمرار المحافظة على هذا الاحتياطى لاستخدامه عند الظروف الطارئة ، وكذا عند النكبات إن حلت بالبلاد » وهكذا تبينا هذه الفقرة بكل وضوح أن الاقتصاد المصرى كان قادرًا رغم كل شىء على تمويل مشروع السد العالى، وأن المشكلة الاقتصادية التى حاقت بمصر بعد ذلك لم تكن مشكلة اقتصادية بقدر ما كانت مشكلة إدارة للاقتصاد .

(١٩)

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد حظى بعناية شديدة جدًا من مؤلفه الدقيق ، إلا أنه يحفل بكثير من الأخطاء النحوية فى نصب الفاعل ونصب اسم كان ، وما إلى ذلك من الأخطاء التى لا تخفى على فطنة القارئ ، ولكن هناك عددًا قليلاً جدًا من الأخطاء التى يجب تصحيحها فى أية طبعة قادمة حتى تكتمل الفائدة من هذا الكتاب القيم العظيم وعلى سبيل المثال :

١ ـ فى صفحة ٥٥ / ١ يرد اسم اللواء أحمد فؤاد صادق بطريق الخطأ (محمد) .

٢ ـ العنوان الذى فى أول سطر من ص ٦٦ / ١ كان المفروض أن يكون فى وسط صفحة ٦٥ وهكذا فى كثير من العناوين توضع بعد الفقرة التى يعنون لها العنوان لا فى الموضع المفروض وهو قبل الفقرة ، ويبدو أن الذى وضع هذه العناوين قد وضعها على عجل ووضعها على الهامش لا فى المكان الأنسب ، ومثل هذا مثلاً موجود فى صفحة (٣٢٩) .

٣ ـ تحتاج الفقرات الموجودة فى ص ٧١ / ١ إلى إعادة النظر فى ترتيبها أو وضع جمل ربط بينها وذلك أن السطور الثلاثة الأخيرة من هذه الصفحة تتحدث عن وقائع حدثت قبل الوقائع التى تتحدث عنها الفقرة السابقة مباشرة .

٤ ـ قبل نهاية صفحة ٨٧ / ١ بأربعة سطور نجد عبارة « وذلك على غير ما كان عليه فى السابق» ولعل المؤلف يقصد « فيما بعد » كما يتضح من سياق الحديث .

٥ ـ فى أول سطر من سادس فقرة فى ص ١٥٨ / ١ « حتى استكمل عددهم » ولعله يقصد «اكتمل» .

٦ ـ فى السطر الأخير من صفحة ١٩٧ / ١ يرد حرف الجر « فى » بدلا من « إلى » .

٧ ـ فى السطر الثانى من صفحة ٢٠٠ / ١ نجد الصياغة فى حاجة إلى إعادة « ولكن لم تلتقيا وجهات النظر » .

٨ ـ فى صفحة ٢٠٥ / ١ يأتى اللفظ الإنجليزى mod بدلا من mad وفى صفحة ٢٣٤ / ١ يأتى اللفظ الإنجليزى lesd بدلا من lead .

٩ ـ فى الفقرة الثالثة من صفحة ٢٠٨ / ١ يأتى تاريخ ٤ فبراير ١٩٥٤ وربما كان المقصود هو ٤ فبراير ١٩٤٢ حين تولى النحاس الرئاسة بناء على طلب الإنجليز .

١٠ ـ فى الفقرة الثامنة من صفحة ٣٦١ / ١ يأتى تاريخ سبتمبر ١٩٥٦ ، وهو خطأ بلاشك وربما يقصد ديسمبر مثلا !!

١١ ـ فى السطر السابع من الفقرة الثالثة فى صفحة ٧١ / ٢ يذكر شهر « أكتوبر » وهو يقصد فى الغالب شهر « سبتمبر » .

١٢ ـ فى صفحة ١٤٦ / ٢ سطران مكرران فى الفقرة الثانية ويقودان إلى اضطراب المعنى بشدة .

١٣ ـ فى صفحة ٢٠٧ / ٢ تترجم power politics ترجمة بعيدة عن الصواب .



الفصل الثالث

والآن أتكلم..

مذكرات خالد محيي الدين

(١)

بعد أربعين عامًا من قيام الثورة نشر الرجل العظيم خالد محيي الدين مذكراته ، أو فلنقل الجزء الأول من مذكراته فقد توقف بها عند نهاية عام ١٩٥٥ ، وعلى هذا فأظننا في حاجة إلى أربعة أجزاء أخرى يستكمل بها خالد محيي الدين هذه المذكرات ، فيتناول في الجزء الثاني دوره في جريدة المساء ، وفي الجزء الثالث دوره في أخبار اليوم وفي الاتحاد الاشتراكي في عهد عبد الناصر بعد تطبيق القوانين الاشتراكية ، ثم يتناول دوره في عهدي الرئيسين السادات ومبارك في الجزأين الرابع والخامس . . هذا هو المفروض على الأقل ، أما أن يحدث ما هو أقل أو ما هو أكثر فأمر متروك للظروف ، وهي نفسها الظروف التي أجلت كتابة هذه المذكرات أربعين عامًا .

أما هذا الجزء من المذكرات فهو صراع خفي ومعلن في ذات الوقت بين محاولتين هما محاولة المضي مع الذكريات ، وبين الكتابة التاريخية المقصودة ، وعلى هذا النحو سيجد القارئ هذا الكتاب نفسه يمضي مع المؤلف إلى الأمام في الأحداث التاريخية ، ثم إذا بالمؤلف حريص على أن يشد القارئ خطوتين إلى الخلف . . تمامًا كما كان لينين يصف طريقة مشيته ، ويجد القارئ هذا الخلق واضحًا جدًا مع بداية كل فصل ، فنحن نكون قد وصلنا مثلاً إلى المرحلة السابعة والعشرين في نهاية الفصل السابق فإذا بنا في الفصل التالي نعود إلى المرحلة السابعة عشرة وإذا بنا في الفصل التالي له نعود إلى المرحلة العاشرة . . وهكذا يجد القارئ التسلسل التاريخي لا يتحقق إلا في داخل الفصل الواحد ، وذلك أن المؤلف قد قصد وتعمد أن يكون كتابه من خمسة وعشرين فصلاً قبل أن يكون كتابًا واحدًا ، وكأني به يريد [أو يراد له بكتابه] أن يكون ذا موضوعات بقدر ما هو ذو موضوع واحد ، وليس على المؤلف ولا على مستشاريه تثريب في ذلك ، إنما هي ملاحظة مهمة ينبغي لنا وللقارئ أن يضعها في حسبانه عندما يتناول هذا الكتاب بالقراءة ، وينبغي للباحث أن يضعها أمام عينيه إذا أراد أن ينقل عن هذا الكتاب رواية أو رأيًا أو رؤية .

(٢)

وفى هذا الكتاب نجح خالد محيى الدين (كما نجح الذين تولوا عنه كتابة بعض الأجزاء) فى أن يقدم لنا صورة الثائر المتمسك بالديمقراطية إلى أبعد الحدود ، ولكن هذا الكتاب تعمد أيضًا أن يقدم لنا صورة هذا الثائر وهو يفشل فى تحقيق هذا الهدف لأنه حسن النية ، ونحن لا نريد أن ننفى عن خالد محيى الدين لا الفشل ولا حسن النية ، ولكننا قد لا نتصور أبدًا أن هذا الثائر العظيم كان يحارب معركته النبيلة هذه ، بدون أية مخططات كما أراد أن يقول لنا فى سطور هذه المذكرات ، ولاشك أن خالد محيى الدين كانت له مخططاته ولا شك أن فشل هذه المخططات لا يلقى بالعبء فى فشلها عليه ولا على شخصه ، ولاشك أيضًا أن حديثه عنها أبلغ من إهماله لها ، ولكن يبدو أن خالد محيى الدين قد فضل هذاالسلوك الماثل أمام أعيننا فى هذا الكتاب بفعل سببين مهمين ، الأول هو اتفاق الجنتلمان أو الفارس الذى أبرمه مع عبد الناصر ، والثانى هو أن خالد محيى الدين ظل طيلة الثورة وحتى الآن بمثابة السياسى الدائم لسبب واحد هو أنه حاول ونجح فى أن يقنع الجميع بأنه ليس سياسيًا . . وما يزال خالد محيى الدين يحتفظ بهذه الورقة حتى الآن ، ونحن لا نقصد أنه يقول إنه ليس بسياسى فهو أذكى من أن يفعل ذلك وقد ترك هذا القول لبعض كبار الصحفيين ، ولكنه يتصرف فى معظم الأوقات مبديا العفوية الشديدة التى تظهره كأنه ليس بسياسى . . وهكذا فعل فى هذا الكتاب الرائع .

(٣)

وقد نجح خالد محيى الدين أيضًا أن يلقى بكثير من العبء التاريخى إن صح هذا التعبير على أكتاف مجموعة أخرى من أعضاء مجلس قيادة الثورة (بالإضافة إلى عبد الناصر بالطبع) ، وقد كان فى وسع خالد محيى الدين أن يتناول آراء وتصرفات عبد الناصر فى كثير من المواقف بشىء أكثر من التفصيل والتحليل ، ولكنه كان يتعمد أن يترك مواقف عبد الناصر ليتناول مواقف عبد اللطيف بغدادى ، وجمال سالم ، وصلاح سالم ، وعبد الحكيم عامر ، وأنور السادات ، ومحمد نجيب (بالطبع) ، ويبدو أن خالد محيى الدين كان منطقيًا فى هذا الذى فعل فإذا كان قد تعمد إهمال تحليل مواقفه نفسه أى مواقف خالد محيى الدين فقد كان من باب أولى أن يقلل التعرض لمواقف عبد الناصر ، رغم أن عبد الناصر هذا كان صاحب التدبير كله فى أزمة مارس ١٩٥٤ ، ورغم أن كل المواقف التى ذكرها خالد محيى الدين لعبد اللطيف بغدادى ، وجمال سالم ، وصلاح سالم ، وعبد الحكيم عامر كانت من باب الانفعال لا من باب الفعل ، ولكن يبدو أن خالد محيى الدين جمع فى هذا الكتاب بين كتابات كتبها فى ١٩٥٤ فى تلك الكراسة التى حدثنا عنها حين نُفى إلى سويسرا ، وبين كتابات كتبها فى التسعينات أو ربما قبلها بقليل .

ومع هذا فإن تسليط الأضواء على مثل هذه المواقف لأعضاء مجلس قيادة الثورة كان وما يزال أمرًا ضروريًا لكي نفهم ما قد يسمى فى علم الاجتماع بعلم اجتماع الجماعات الصغيرة خصوصًا إذا كانت هذه الجماعات تتولى صياغة [أو عملية] الاختيار بين مواقف تصنع حياة أمة بأسرها .

(٤)

وفى كل ما كتب خالد محيى الدين فى هذا الكتاب نجده يصدر عن رؤية تتمتع بالحنكة والاتساع فى ذات الوقت ، وإن كانت خبرته بالتاريخ لا تزال متأثرة بوجوده فى دائرة الذين يصنعون التاريخ ، ولاشك أن خالد محيى الدين أمدّ الله فى عمره سوف يكون قادرًا على كتابة أرفع بكثير من هذه الكتابة حينما يجلس فى برج عاجى أو زجاجى يطل منه من علٍ على معترك الحياة السياسية التى ما تزال تستهويه للمشاركة فيها ، ولهذا فإن الروح التى فى هذا الكتاب أقرب إلى روح « البحث عن الذات » للرئيس السادات ولكل كتابات السادات منها إلى تلك الروح التى فى كتابات عبد اللطيف بغدادى ، وتتبدى هذه الروح فى ارتباط الفقرات ببعضها ، وفى لهجة الخطاب ، وفى الموسيقى الداخلية ، وفى النظرة إلى الأحداث ، وفى صياغة المواقف ، وفى كثير غير هذا كله مما يستطيع نقاد الأدب وأساتذته الإشارة إليه .

فإذا انتقلنا إلى التفكير فيما أضافه هذا الكتاب إلى معلوماتنا ورؤيتنا لتاريخ الحقبة التى تناولها المؤلف فيه ، فإننا قد نجد أنفسنا نجيب بأنه أضاف القليل جدًا إلى معلوماتنا بالأحداث العامة ، ولكنه أضاف الكثير جدًا إلى معلوماتنا الخاصة بالتفصيلات الدقيقة . . وربما كان هذا هو السبب الذى دفع الفنان العظيم عبد الغنى أبو العينين إلى أن يقدم لنا هذا الغلاف الجميل الذى يعبر عن مضمون الكتاب أبلغ ما يكون التعبير ، فهو قد اختار درجتين تكادان تكونان متقاربتين من نفس اللون ، ثم اختار درجة أخرى من نفس اللون ليجعلها تقطع الدرجتين اللتين تمتدان من أعلى الغلاف لأسفله ، وتعمد أن يترك خطًا فاصلاً أبيض بين درجتى اللون ووضع فوق كل هذا صورة شخصية لخالد محيى الدين أبدع فى تفصيلاتها التى اعتمدت على الأبيض والأسود بدون أن يحس القارئ أنه استخدم النقاط فى رسمها وكأنه استخدم كتلاً من السواد فحسب ، وهو يظهر لنا شفتى خالد محيى الدين وهما تنفرجان عن ابتسامة وكأنه يقول إنه يتكلم الآن بالابتسامة ، ثم هو يضفى كل هذا البشر والاستبشار على ملامح هذا الرجل بكل ما فى الفن من قدرة على التعبير .

وعلى هذا النحو يمضى هذا الكتاب ليقدم لنا فروقًا دقيقة بين الدرجات المختلفة من اللون فى كثير من المواقف السياسية التى تناولها ، وفى كل هذا فإن روح خالد محيى الدين مسيطرة ، وشخصيته حاضرة ، وقلمه هو الذى يكتب ما نقرؤه .

(٥)

على الرغم من أن خالد محيى الدين كتب هذا الكتاب بروح الحب لعبد الناصر إلا أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من انتقاد عبد الناصر بشدة فى كثير من الجوانب المهمة فى شخصيته وخذ على سبيل المثال :

□□ قوله فى ص ١٦٩ : « وهكذا بدأت حسابات السلطة تتدخل فيما بيننا . . تلك الحسابات التى كان جمال عبد الناصر أول من مارسها وأكثر من أتقنها » .

□□ وهو فى صفحة ١٨٠ يصرح بأن عبد الناصر لم يكن يرغب فى إعطاء أى مساحة جديدة للأصدقاء وتحديدًا للضباط الأحرار وهذا هو نص كلمات خالد محيى الدين الذى يمضى إلى القول : « لكننى أود أن أتوقف هنا لأوضح مسألة هامة ، فقد كان عبد الناصر يرغب فى تطهير الجيش من الخصوم ، لكنه لم يكن يرغب فى إعطاء أى مساحة جديدة للأصدقاء ، وتحديدًا «للضباط الأحرار » . . ذلك أن عبد الناصر ومنذ البداية بدأ يستشعر حساسية خاصة إزاء « الضباط الأحرار » الذين يتدخلون فى كل شىء ، ويتحدثون بصفتهم أصحاب «الحركة» وصناعها ، وربما كان عبد الناصر يخشى من هؤلاء الضباط أكثر من غيرهم ، فقد تدربوا بشكل أو بآخر على العمل السرى المنظم ، وعلى القيام بانقلاب متقن إلى حد ما ، ومن ثم فإنه لم يحرص على تسليم أى منهم موقعًا قياديًا فى الجيش ، وإنما اختار القيادات الجديدة على أساس الكفاءة والوطنية ، ولم يكن الانتساب « للضباط الأحرار » واحدًا من المعايير المطلوبة عند الاختيار ، وبهذا نجح عبد الناصر فى تأمين الجيش من خصومه . . ومن أصدقائه معًا » .

□□ وفى ص ٢١٥ يقول خالد محيى الدين فى نهاية حديثه عن أزمة مارس ١٩٥٤ : « ولم يدرك عبد الناصر أن هناك فارقًا كبيرًا بين رضاء الشعب عن الحاكم وتأييده له ، وبين المشاركة الفاعلة للشعب فى اتخاذ القرار . . . . لقد فجرت قضية الديمقراطية أزمة مارس ١٩٥٤ وكان هناك طرفا صراع كان لابد لأحدهما أن ينتصر على الآخر وانتصر عبد الناصر ، لكنه لم يدرك أنه بانتصاره هذا حكم على مسيرته أن تظل أسيرة لهذا الانتصار » .

□□ وقبلها فى ص ٢١٤ يقول خالد محيى الدين بصراحة : « وانتصر عبد الناصر فى مارس ١٩٥٤ لكنه لم يدرك أن كسب جولة كهذه شىء ، وكسب المسار التاريخى شىء آخر » .

□□ وفى ص ٢٤٥ يقول صاحب هذه المذكرات فى موضع خامس : « ويبدو أن « جمال » كان متأثرًا بما حدث فى تركيا لكمال أتاتورك عندما استقال وخرجت الجماهير الشعبية لتعيده مرة أخرى للسلطة ، لكنه نسى أن الوضع كان مختلفًا» .

□□ كما يذكر خالد محيى الدين على لسان أحمد المصرى عبارة من أهم العبارات التى

تلخص رأى كثير من النقاد والمقيمين لدور ثورة يوليو وعبد الناصر فيقول فى أثناء روايته لوقائع اجتماع الميس الأخضر فى الفصل التاسع عشر ص ٢٧١ : « وحوصر جمال عبد الناصر بهذه الاتهامات المتتالية وحاول الخروج من المأزق بأن قال : أنا شخصيًا أتحدى أن ينسب إلىّ أى إنسان أى تصرف غير نزيه ، ورد أحمد المصرى : لكنك مسئول عن كل تصرف خاطئ يرتكبه أى واحد منهم » .

□□ وفى صفحة ٢٧٧ يروى خالد محيى الدين قصة ذهابه لمحمد نجيب فى أزمة مارس ومعه ثلاثة ضباط من ضباط رجال عبد الناصر فتكون عبارته بالنص : « والتى كان يرافقنى خلالها أو بالدقة يراقبنى خلالها ثلاثة ضباط من رجال عبد الناصر » .

□□ وفى صفحة ٢٨٢ يعطى روح المبادرة لصلاح سالم وليس لجمال عبد الناصر فى اتخاذ القرار بعودة نجيب وهو ما أدى إلى تهدئة الجماهير بينما واصل جمال الصمت . .

□□ وفى صفحة ٢٨٣ يحدثنا بأنه كان بدأ يحس باحتمالات الغدر ، فبدأ يبيت لعدة ليال خارج المنزل . . . وبعدها بفترة صارحنى عبد الناصر بأنه كان يفعل نفس الشىء .

□□ أما صفحة ٢٨٦ فإنها تتضمن واقعة فى غاية الخطورة عن ترحيب الغرب بعبد الناصر بديلاً عن نجيب ومساندته له ، ولكن خالد محيى الدين يلقيها فى طريقنا بلا تحليل ولا تعقيب(!!!)

□□ كما يتحدث بالتفصيل عن سياسة إما وإما . إما الثورة وإما الديمقراطية (٣٠٨ و٣٠٩) وعن إفراج عبد الناصر عن رشاد مهنا لتفجير مخاوف نجيب (٣٠٦) ، وعن يقينه بأن الدولة كانت وراء الحشود التى نظمت ضد الديمقراطية (٣١٢) .

□□ كما يصرح بأن عبد الناصر وضع خطا بينه وبين الزملاء ص ٣٢٠ حيث يقول : وعندما قال لى جمال عبد الناصر : اعتبر أن استقالتك مقبولة ، كان يضع خطا فاصلاً بينى وبين الزملاء ، فلو أنه دعانى لاجتماع مع المجلس وتناقشنا كنت سأتمسك بوجهة نظرى ، وسأحتفظ بها ، وأواصل النضال من أجلها فى صفوفهم كما اعتدنا من قبل ، لكن الزملاء كانوا قد حسموا أمرهم ، وقرروا إما أن أكون معهم فى كل ما يرون وكل ما يقولون . . وإما أن أبعد ، كانوا قد قرروا وبشكل حاسم التباعد عن لعبة الديمقراطية ، وأن ينفردوا بالحكم ، وبالتصرف ، وهو ما كانوا يعلمون أننى سأرفضه قطعًا » .

« وكان عبد الناصر هو أكثر من يعرف أننى لست ذلك الرجل الذى يتنازل عن مبادئه ومواقفه مقابل الاستمرار فى سلطة أو جاه أو منصب . صحيح أننى خضت معركة غير متكافئة ، فرد واحد فى مواجهة جهاز الدولة بأكمله ، فرد واحد لم يكن يريد أن يستقوى بأحد حتى لا يضر بموقف زملاء يحبهم ، وثورة عاش حياته يحلم بها . . لكنها كانت فى اعتقادى

معركة ضرورية ، فهل لإنسان أن يزهو أمام الناس بغير موقف ثابت لصالح الوطن والشعب والثورة ؟

□□ ولكن خالد محيى الدين نفسه يعطى عبد الناصر الكلمة ليتكلم فى آخر كتابه حيث يقول فى ص ٣٣٠ : « كنت دوما أقول له : ياجمال . أنا مختلف معكم ، أنا عايز انتخابات وديمقراطية وأنتم مش عايزين ، وأنا شايف أنكم متجهين نحو علاقة مع أمريكا وأنا أرفض ذلك ، فالأفضل أن أنسحب بدلا من تفاقم المشاكل . وكان دوما يرد : يا خالد أنت صاحب حق . . ابق معنا ، ودافع عن وجهة نظرك ، ثم يقول : فيه زملاء من المجلس يرغبون فى أن تخرج فلا « تعطيهم » هذه الفرصة . ولكن عندما حدثت أزمة مارس وعدت من الإسكندرية وقمت بزيارته فى بيته ، وبدأ التعاتب ، ذكّرته بأنه هو الذى ألح على فى أن أبقى وأن أدافع عن وجهة نظرى ، فقال : بس مش للدرجة دى » .

(٦)

هل لنا أن نتناول الآن بعض ما فى هذا الكتاب من الأمور التى ينبغى للقارئ أن يلتفت معنا إليها ، ولنبدأ مثلاً بعلاقة صاحب المذكرات بالقوى السياسية فها هو خالد محيى الدين لا يهادن الإخوان المسلمين على طول الخط فى هذا الكتاب ، وربما هادنهم خالد محيى الدين فى حياته السياسية فى مطلع الثورة نقول ربما وليس عندنا دليل ، ولكن التعاون مع الإخوان لم يكن على الإطلاق فى ذلك الوقت وذلك الجو بمثابة شىء ينفر منه خالد محيى الدين ، ولكن خالد محيى الدين فى هذا الكتاب كله لا يكاد يقترب منهم على الإطلاق ، بل هو حريص على أن ينبهنا تمامًا إلى كل ما يظن هو أنهم قد اقترفوه فى حق الديمقراطية ، هذا هو رأيه الآن ، ولكنه يكاد يتشبث بهذا الرأى حتى منذ صباه ، أإلى هذا الحد كان خالد محيى الدين واعيا بهذه المخاطر التى يحدثنا عنها اليوم ؟

□□ فهو يحدثنا فى صفحة ٤٤ وما بعدها على سبيل المثال عن حواره الأول مع محمود لبيب وحسن البنا فيقول ما نصه : « وبدأت ألح على محمود لبيب فى اجتماعاتنا : ما هو برنامج الجماعة ؟ فيجيب : الشريعة ، كنت أقول : كلنا مسلمون ، وكلنا نؤمن بالشريعة لكن تحديدًا ماذا سنفعل لتحرير الوطن ،هل سنخوض كفاحًا مسلحًا أم نقبل بالتفاوض ؟ وماذا سنقدم للشعب فى مختلف المجالات ، فى التعليم والإسكان والزراعة وغيرها من القضايا الاجتماعية ؟ وكان محمود لبيب يزوغ من الإجابة وأنا أطارده ، وانتهى الأمر بأن أحضر لنا الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان ، وللحقيقة كان حسن البنا يمتلك مقدرة فذة على الإقناع وعلى التسلل إلى نفوس مستمعيه ، وكان قوى الحجة ، واسع الاطلاع ، وفى اللقاء الأول معه بدأنا نحن بالحديث وطرحنا ـ أنا وعبد الناصر ـ آراءنا ، وعندما تكلم البنا أفهمنا

بهدوء وذكاء أن الجماعة تعاملنا معاملة خاصة ، ولا تتطلب منا نفس الولاء الكامل الذى تتطلبه من العضو العادى ، وقال : نحن الإخوان كبهو واسع الأرجاء يمكن لأى مسلم أن يدخله من أى مدخل لينهل منه ما يشاء ، فالذى يريد التصوف يجد لدينا تصوفا ، ومن يريد أن يتفقه فى دينه فنحن جاهزون ، ومن يريد رياضة وكشافة يجدها لدينا ، ومن يريد نضالا وكفاحًا مسلحا يجدهما ، وأنتم أتيتم إلينا بهدف القضية الوطنية ، فأهلاً وسهلاً . تناقشنا معه ، وكان رحب الصدر ، ألححت فى ضرورة إعلان برنامج ، قلت : لن نستطيع أن نكسب الشعب بدون برنامج واضح يقدم حلولاً عملية لمشاكل الناس ، وأجاب : لو وضعت برنامجًا لأرضيت البعض وأغضبت البعض ، سأكسب ناسًا وأخسر آخرين ، وأنا لا أريد ذلك » .

« وتكررت مقابلاتنا مع حسن البنا ، وقد كان يمتلك حججا كثيرة لكنها لم تكن كافية ولا مقنعة بالنسبة لأكثرنا ، وظل عبد الناصر مستريبا فى أن الجماعة تريد أن تستخدمنا كمجموعة ضباط لتحقيق أهدافها الخاصة ، وظللت أنا أوالى قراءة ما يزودنى به عثمان فوزى من كتب ، وأزداد إلحاحًا فى مناقشاتى على ضرورة وضع برنامج للجماعة يحدد أهدافها الوطنية وموقفها من مطالب الفئات المختلفة ، وبدأت فى هذه المناقشات أنحو منحى يساريًا ، وأصبحت نشازًا فى مجموعة من المفترض أنها تابعة للإخوان المسلمين . وأخيرًا حاول حسن البنا أن يشدنا إلى الجماعة برباط وثيق ، وتقرر ضمى أنا وجمال عبد الناصر إلى الجهاز السرى للجماعة . . ربما لأننا الأكثر فعالية وتأثيرًا فى المجموعة ، ومن ثم فإن كسبنا بشكل نهائى يعنى كسب المجموعة بأكملها ، وربما لأننا كنا نتحدث كثيرًا عن الوطن والقضية الوطنية ، ومن ثم فقد تصور حسن البنا أن ضمنا للجهاز السرى حيث التدريب على السلاح والعمل المسلح يمكنه أن يرضى اندفاعنا الوطنى ، ويكفل ارتباطًا وثيقًا بالجماعة » .

□□ ويعود خالد محيى الدين فى موضع آخر إلى الحديث عن علاقة مجموعته بالإخوان فيقول ما نصه : وأعود مرة أخرى إلى علاقتنا بجماعة الإخوان ، كانت الأحداث السياسية تتسارع ، وكشفت جماعة الإخوان عن وجهها السياسى ، وتصرفت كجماعة سياسية وتخلت عن دعاوى النقاء الدينى ، ولما كانت بحاجة إلى صحيفة يومية وورق صحف فى ظل أزمة شديدة فى الورق ، تقاربت من إسماعيل صدقى ، وحصلت فى مقابل تقاربها هذا على ما أرادت من دعم ، كذلك وقفت الجماعة ضد اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، وحاولت أن تشكل جماعة أخرى بالتعاون مع إسماعيل صدقى ، وبدأنا نحس أنهم مثل أى سياسيين آخرين يفضلون مصلحتهم ومصلحة جماعتهم على ما ينادون به من مبادئ ، وعلى مصلحة الوطن . . وتحادثت طويلاً مع جمال عبد الناصر حول علاقتنا بالجماعة ، وأفضى جمال لى بمخاوفه من أن الجماعة تستخدمنا كضباط لمصالحها الذاتية وليس لمصلحة الوطن ، وأفضيت له بمشاعرى واتفقنا أننا قد تورطنا أكثر مما يجب مع هذه الجماعة ، وأنه يجب أن ننسحب

منها، لكنه لا يمكن أن نقول إننا فى يوم كذا انسحبنا من الجماعة ، فقط أصبحت الشكوك تملؤنا وأصبحنا على غير وفاق ، وغير متحمسين ، وبدأنا نتباعد أنا وجمال ، وربما بدأت الجماعة هى أيضًا تستشعر أننا لا نمتلك الولاء الكافى فبدأت تتباعد عنا . وتدريجيا يأتى عام ١٩٤٧ ليجد علاقتنا ـ جمال وأنا ـ وقد أصبحت باهتة تمامًا مع جماعة الإخوان ، ولكننى كنت لم أزل على علاقتى الحميمة بعثمان فوزى ، وكان لم يزل يزودنى من حين لآخر بكتب لأقرأها ، وباليقين كان عثمان فوزى قد أصبح عضوًا فى جماعة ايسكرا » .

□□ وفيما بعد كثير من الفصول والفقرات وفى صفحة ١٨٣ بالضبط يتهم خالد محيى الدين الإخوان بالوقوف ضد عمال كفر الدوار المعذبين ، على الرغم من أن الثورة هى التى حكمت على هؤلاء بالإعدام ، وها هو يقول : « والحقيقة التى أود أن أسطرها هنا هى أن أحدا منا ـ نحن « أعضاء القيادة » ـ مؤيدين للإعدام أو معارضين له ، لم يكن قد تعرف بعد على مبادئ العلاقات الاجتماعية ، ولا على الحقوق العمالية فى الإضراب والاعتصام وما إلى ذلك ، أما المحيطون بنا من أمثال السنهورى وسليمان حافظ والبراوى فقد كانوا يتسمون بروح برجوازية محافظة بل ومعادية لحقوق العمال . وجماعة الإخوان بدأت فى شن حملة عاتية ضد عمال كفر الدوار المضربين وإتهمتهم بالخيانة . وحتى « حدتو » نظرت إلى الإضراب نظرة مسترِيبة ، وربطت بين الإضراب وبين حافظ عفيفى عضو مجلس الإدارة المنتدب فى شركة كفر الدوار » .

□□ وفى صفحتى ٢٠٤ ، ٢٠٥ يثبت لنا خالد محيى الدين عن قصد شديد موقف « الأخ سيد قطب » المعادى للحركة النقابية من أجل الثورة ويأتى هذا ضمن حديث خالد محيى الدين عن الأشهر الحاسمة فى الفصل الخامس عشر ، وهو يتحدث عن قرار منع انعقاد اتحاد العمال للحركة النقابية العمالية فيقول : « فإذ كانت الحركة النقابية تستعد لعقد مؤتمر لإعلان اتحادها العام ، صدر قرار بعدم عقد المؤتمر ، ومن ثم منع قيام اتحاد عام للعمال . وأذكر أن صاحب الاقتراح بمنع قيام اتحاد عام للعمال كان الأخ سيد قطب أحد قادة الإخوان ، وكان يعمل فى ذلك الوقت مستشارًا لعبد المنعم أمين الذى كان يشرف على وزارة الشئون الاجتماعية ، وهى الوزارة التى كانت تتبعها فى ذلك الحين مصلحة العمل ، وكانت حجة سيد قطب أن مثل هذا الاتحاد سيكون مناوئًا للثورة ، وأن الشيوعيين سوف يسيطرون عليه ، وكذلك أسهم سيد قطب فى إعداد مشروع قانون جديد لعقد العمل الفردى ، وقد تحمس عبد المنعم أمين لهذا المشروع حماسًا شديدًا رغم أنه كان مجحفا إجحافًا شديدًا بحقوق العمال ، فهو يجرّم الإضراب ويسمح بالفصل التعسفى ، وعندما نقل إلى أحد الضباط نص هذا المشروع ذهبت إلى عبد المنعم أمين فى وزارة الشئون ، وتناقشنا طويلاً فى الموضوع وأصرّ كل منا على رأيه ، وكان عبد المنعم أمين يقرر صراحة أننا بحاجة إلى دكتاتورية صناعية طالما أننا قررنا إقامة دكتاتورية عسكرية » .

(٧)

هذا عن القوى السياسية وبخاصة الإخوان المسلمين فماذا عن زملاء كفاح خالد محيى الدين فى سلاح الفرسان وفى الثورة ؟ فى ثنايا هذه المذكرات يعطى خالد محيى الدين لحسين الشافعى دورًا كبيرًا جدًا فى نجاح الثورة ليلة قيامها ، وهكذا فعل ثروت عكاشة من قبل فى مذكراته ، وفى كثير من المواضع لا يجد خالد محيى الدين أى غضاضة فى أن يشير بكل اعتزاز إلى دور الشافعى وفضله ، ولا يكاد خالد محيى الدين ينتقد حسين الشافعى . . ولكنه فى المقابل يبدأ بالثناء الجميل على ثروت عكاشة ومواقفه ، ثم نجده ينتقده ، ثم نجده يستنكر منه بعض المواقف . . وقد كنت منذ مرحلة مبكرة من الحريصين على الوصول إلى طبيعة وحقيقة أدوار هؤلاء الثلاثة ليلة الثورة وقبلها وبعدها لأنهم كانوا يمثلون أهم سلاح فى ذلك الوقت .

□□ وسأنقل للقارئ عن تقدير خالد محيى الدين لكل من حسين الشافعى وثروت عكاشة قوله فى ص ١٣٦ « كذلك حسين الشافعى وثروت عكاشة كان كل منهما ثابتًا دون أى اهتزاز ، وتحركا ببساطة وكأن الأمر عادى . وأذكر لحسين الشافعى وكان أعلى رتبة منا جميعا فى الفرسان ، أنه كان أحد أهم عوامل نجاحنا . . باحترام الضباط له ومقدرته القيادية الفائقة ، وأذكر كيف كان راسخ اليقين والوجدان ، هادئًا تمامًا ، قادرًا على أن يصدر القرار الحازم فى هدوء وثبات . وفى الساعات الأخيرة من عملية الاستعداد الختامى ذهبت لحسين الشافعى لأبلغه بأن كتيبتى ليس بها ذخيرة كافية ، فقد كانت تحت الإنشاء ، ولم يكن مع كل عسكرى سوى خمسين طلقة . ووعدنى حسين الشافعى بأن تصلنى ذخيرة كافية قبل تحرك قواتى ، وقد أنجز وعده » .

□□ ولكن بينما يذكر خالد محيى الدين فى ص ١٣٦ أن ثروت عكاشة هو الذى اعتقل اللواء حشمت فإنه فى ص ٣٣٦ ينسب هذا العمل المجيد إلى حسين الشافعى ، وها هو يقول فى ص ١٣٦ : « والتفت جمال ليسألنى أين سأكون فى المساء وقبل ساعة الصفر ، قلت : سأذهب أنا وحسين الشافعى إلى بيت ثروت ، قال : قد أمر عليكم . . وأضاف : ثروت عاطفى خلّيه يخلّى باله ، ربما كان جمال يلمح إلى تكرار ثروت لمخاوفه من تدخل الإنجليز ، لكن الحقيقة أن ثروت كان رجلاً شجاعًا ، وكانت مخاوفه مبنية على حقائق واقعية ، ولكن عندما قررنا التحرك نسى كل مخاوفه ، وكان حاسمًا وتصرف بشجاعة تستحق الإعجاب ، وعندما أتى اللواء حشمت إلى القشلاق قبل تحركنا أصبح كل شىء مهددًا لولا أن ثروت اندفع نحوه حاملاً مدفعًا رشاشًا وألقى القبض عليه . إنها ليست مسألة سهلة أن يقوم ضابط برتبة صاغ داخل القشلاق بالقبض على لواء . ولكن خالد محيى الدين نفسه بعدها بمائتى صفحة بالضبط وفى ص ٣٣٦ وبينما هو يتحدث عن حسين الشافعى يقول : « وفوق هذا

فهو رجل حاسم حازم أحس أن حسن حشمت قد يخيف البعض ويمنع تحركهم فاعتقله وهذه شجاعة لا شك فيها » . ويؤكد خالد محيى الدين هذا المعنى فى ص ١٤٨ وفى غيرها من الصفحات ، قد أكون مخطئًا فى فهم عبارات خالد محيى الدين حول هذه الواقعة ، ولكن هذا هو أقصى ما يقودنى إليه فهمى المتواضع .

□□ ويروى خالد محيى الدين فى ص ١٧٤ القصة الحقيقية لتحويل « لجنة القيادة » إلى مجلس قيادة الثورة ، وربما كان النص الذى أورده خالد محيى الدين حول هذا التشكيل من أهم النصوص ، وها هو يقول : « ثم عقدنا جلسة مغلقة حضرناها نحن التسعة أعضاء « لجنة القيادة » ، وطرح جمال فكرة ضم بعض الضباط إلى اللجنة ، كان هناك محمد نجيب ووجوده معنا ضرورى ، واقترح جمال ضم يوسف صديق ، فهو الذى لعب دورًا هامًا ليلة الثورة ، وأبدى شجاعة فائقة (وأود هنا أن أقرر أن يوسف صديق قد ضم إلى مجلس القيادة بسبب دوره الشخصى ، وليس لأسباب سياسية أو بسبب كونه شيوعيًا ، بل لعل « جمال » لم يكن يعرف حتى ذلك الحين أن يوسف صديق شيوعى) ، وكان جمال يقول : مش معقول الراجل عمل هذا العمل المجيد وكل يوم يشوفنا ندخل غرفة ونقفل علينا . . ولا ندعوه ، وكان هناك أيضًا زكريا محيى الدين ، وقد لعب دورًا هامًا هو الآخر ، وهناك أيضًا حسين الشافعى ، فقد كان صاحب دور هام فى تحريك سلاح الفرسان ، وكان وجوده خارج القيادة يسبب حرجًا شديدًا لى سواء من الناحية الشخصية أو على المستوى العسكرى ، ذلك أنه كان أعلى رتبة منى ، وكان هناك أيضًا عبد المنعم أمين ، وثروت عكاشة بدوره البارز فى التنظيم منذ قيامه ، وآخرون كانوا يتطلعون إلى مقعد فى القيادة بسبب ما أدوه من دور ليلة الثورة . ولم يكن واضحًا فى ذهن الكثيرين أن ثمة « قيادة » قديمة قامت بتشكيل التنظيم والتخطيط للحركة ، كانوا ينظرون إلى أدوار البعض ليلة الثورة وحسب . . ومن هؤلاء الذين لعبوا دورًا بارزًا ليلة الثورة : إبراهيم الطحاوى ومجدى حسنين وآخرون غيرهما ، ومن ثم طرحت أسماؤهم أيضًا ، وبلغ بنا الحرج مبلغه ، فنحن زملاء وأصدقاء ، كذلك كان هناك الكثيرون الذين قاموا بدور شجاع ليلة الثورة ولا يمكن ضمهم جميعًا . وكان وضع ثروت عكاشة يشكل حرجا بالغًا لنا ، ولى شخصيا ، فقد شاركنا منذ الأيام الأولى وأسهم فى بناء التنظيم بحماس وفعالية ، ولعب دورًا بارزًا ليلة الثورة ، وقال جمال : أنا سأعالج الأمر معه ، وبالفعل ناقشه جمال بطريقة ملتوية مؤكدًا أنه يستحق أن يكون فى القيادة ، وأنه واثق من إخلاصه للثورة ، وأن هذا الإخلاص يدفعه بالطبع إلى عدم التمسك بالمناصب ، وهكذا ظل جمال يحاوره حتى انتزع منه كلمة «اعتذار » عن عدم قبول موقع فى القيادة ، واكتفى جمال بالكلمة وتمسك بها ، بينما ندم عليها ثروت فيما بعد » .

□□ وفى صفحة ٢١١ يتحدث خالد محيى الدين عن إبعاد ثروت عكاشة عن مصر بهذه

الفقرة : « واستمر الأمر كذلك حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٣ عندما كتب ثروت مقالاً عن دوره فى الثورة ، وفيما يبدو أنه تحدث عن دوره كثيراً ، وقلل من دور حسين الشافعى وصلاح سالم ، وحدثت مشكلة ، إلى درجة أن البعض قرر مصادرة العدد ، وانتهى الأمر بأن أرسل المقال محل الخلاف إلى عبد الحكيم عامر الذى قرأه وقال إنه ليس فيه شىء يستحق المنع . وصدرت المجلة لتثير الكثير من الجدل والحساسيات ، وأصدر وزير الإرشاد بيانا أعلن فيه أن « مجلة التحرير » لم تعد تعبر عن القوات المسلحة ، ثم اجتمع مجلس الثورة ليقرر إخضاع المجلة كلية للرقابة . وبعدها تقرر إبعاد ثروت عن المجلة ، وعندما عرف بالخبر اصطحبنى إلى دار الهلال حيث كانت تطبع المجلة ، وأمرنا ـ نحن الاثنان ـ بتكسير كل الصفحات التى تم جمعها من المجلة ، وأحدث ذلك مشكلة أخرى ، وغضب الزملاء فى « مجلس القيادة » من تضامنى مع ثروت ومساندتى له . . . « وانتهت المسألة بأن أرسل ثروت ليعمل ملحقًا عسكريًا فى برن ، ولكن ورغبة من بعض الإخوة فى القيادة فى الانتقام منه أرسل إلى هناك ملحق جوى ـ هو عمر الجمال ـ وكان أرقى رتبة من ثروت ، وبهذا فقد ثروت كل دور هناك ، وظل يلح حتى نقل ملحقًا عسكريًا فى باريس ، وهناك انغمس فى مناخ الحياة الثقافية وأعد رسالة دكتوراه » .

□□ أما فى صفحة ٣٤١ فإنه يتحدث عن ثروت عكاشة بالنص الآتى : « وفى باريس كان هناك ثروت عكاشة ، وكان وقتها ملحقًا عسكريًا ، كان لم يزل غاضبًا على عبد الناصر وعلى الزملاء ، متألما من الطريقة التى عاملوه بها (لكنه بعد فترة نسى ذلك كله . .) استقبلنى ثروت بترحاب يليق بصداقتنا الطويلة الأمد واستضافنى فى بيته ، تحدثنا فى حرية ، ولكن بقدر من التحفظ » .

(٨)

وحين يحدثنا خالد محيى الدين عن بعض المواقف السياسية الحاسمة سواء أثناء المناقشات أو المفاوضات أو التداول فى الرأى فإنه يتعمد إمساك العصا من الوسط كأنه حريص على ألا يخطئ . . وهو فى هذا يبرز وجه السياسى ، ويؤخر دور الثائر . . ولست فى حاجة إلى أن أمضى مع القارئ لأشير إلى فقرات مهمة تحفل بهذا الخلق ، ولكنى سأكتفى بفقرة واحدة يتحدث فيها خالد محيى الدين بالنقيضين مرة واحدة ، ولا أظنها خطأ من أخطاء الطباعة ، يقول خالد محيى الدين فى صفحتى ٩٥ و ٩٦ ما نصه حرفيًا : « كان عبد الناصر يتمتع بالقدرة على النظر إلى المستقبل ، وقال بصراحة : عندما سنقوم بحركتنا فإن مثل هذه الوثيقة قد تدفع الإنجليز إلى التدخل ضدنا على أساس أنها تقف ضد مصالحهم ، وكذلك الأمريكان ، وقد توقف عبد الناصر طويلاً أمام بعض العبارات التى تترجم التوجهات الوطنية بصياغات يسارية ، لكنه فى الحقيقة لا هو ولا بقية الزملاء توقفوا طويلاً أمام هذه العبارات أو

الصياغات ، ويمكن القول بأنهم لم يدركوا أهميتها ، أو لم يريدوا أن يعطوها أهمية كبيرة . لكن أكثر العبارات التى لفتت نظر جمال عبد الناصر ودفعته إلى الاعتراض عليها هى عبارة «الاستعمار الأمريكى » . . وقال : الشعب لا يعرف سوى الاستعمار البريطانى ، فلماذا ندفعه إلى اللخبطة ونتحدث عن الأمريكان . ولما تحدثت عن أن الاستعمار البريطانى يتهاوى وأن الخطر الحقيقى هوالاستعمار الأمريكى ، قال : لكن هذا التعبير لا يستعمله إلا الشيوعيون ، فقلت : إن الكثير من الحركات الوطنية التحررية فى العالم أصبحت تستخدم هذا التعبير » .

فهل يستطيع القارئ بعدما قرأ فقرة خالد محيى الدين بنصها أن يدلنى الآن هل توقف عبد الناصر طويلاً أم أنه لم يتوقف طويلاً ؟ هذا السؤال فى الحقيقة موجه إلى الأستاذ خالد محيى الدين لا إلى القارئ وبخاصة أن النص « توقف طويلاً » جاء قبل النص « لم يتوقف طويلاً » بسطر واحد كما يرى القارئ فى نص الفقرة التى نقلناها لتونا .

(٩)

يقع خالد محيى الدين فى كثير من المآخذ التاريخية التى وقع فيها غيره من قبل ، والتى دفعتنى منذ أكثر من سبعة عشر عامًا أن أبدأ فى إعداد (ونشر) ما قد تسميه بالمراجع الأساسية لكتابة تاريخ الثورة ، وها هو خالد محيى الدين الذى هو عضو فى مجلس قيادة الثورة يخطئ فى الحديث عن ترتيب دخول الثوار إلى مجلس الوزراء وتوليهم الوزارات المختلفة ، وأظنه لو كان رجع إلى كتابى (التشكيلات الوزارية فى عهد الثورة) المنشور فى ١٩٨٦ ما وقع فى هذا الخطأ ، ومع هذا فإنى أكاد أشك فى نفسى حين تصدر المعلومة الخطأ عن شخصية بوزن وتاريخ خالد محيى الدين .

يقول خالد محيى الدين فى ص ٢٢٩ : « ونعود إلى موضوعنا الأساسى ، وما ترتب على اختيار الزملاء الثلاثة وهم عبد الناصر نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا للداخلية وبغدادى للحربية وصلاح سالم للإرشاد [كما أشار فى ص ٢٢٧] لمناصب وزارية هامة ، فقد أثار ذلك حساسية لدى بعض الزملاء فى مجلس الثورة ، فلماذا هؤلاء الثلاثة بالذات يصبحون وزراء ؟ وكان الأكثر حساسية كمال الدين حسين ، فقد تأثر جدًا من عدم اختياره وزيرًا ، ولهذا فقد كان هو أول من عُين وزيرًا فيما بعد ، حيث أصبح وزيرًا للشئون الاجتماعية ، وبعدها وزيرًا للتربية والتعليم . أما أنا ، فللحقيقة لم أشعر بأية غضاضة ، فقد كنت أعلم أن هذا طبيعى ، بعد كل الصدامات التى حدثت فيما بيننا .

والحقيقة ـ كما سجلتها فى كتابى « التشكيلات الوزارية فى عهد الثورة » أن هؤلاء الثلاثة [عبد الناصر وبغدادى وصلاح سالم] كانوا أول من دخل الوزارة فعلاً فى يونيو ١٩٥٣ ولكن تلاهم جمال سالم وزكريا محيى الدين فى أكتوبر ١٩٥٣ ثم كمال الدين حسين فى يناير ١٩٥٤ ،

وبذلك لم يكن كمال الدين حسين هو أول من دخل الوزارة بعدهم مباشرة فقد سبقه كل من جمال سالم وزكريا محيى الدين ، وقد تناول خالد محيى الدين نفسه قصة تعيينهما فى ص ٢٣٢ عند حديثه من تقديم موظف فى وزارة المواصلات لاستقالته خوفا من جمال سالم ، ولكن بدون أن يصحح الخطأ الذى وقعت فيه المذكرات (!!) .

وفى صفحة ٢٤١ يبدو أن خالد محيى الدين قد وقع فى خطأ يسهل نسبته إلى الطباعة أو إلى سرعة القلم فى الكتابة ، فهو يتحدث عن ٢٤ نوفمبر ١٩٥٤ فى الفقرة الثانية ، بينما يتواصل الحديث ليكون عن أوائل ١٩٥٤ ويبدو لى أنه يقصد نوفمبر ١٩٥٣ ، خصوصا أنه فى نهاية ٢٤٢ يتحدث عن حسن إبراهيم وحسين الشافعى قائلاً إنهما لم يكونا قد عينا وزيرين بعد ، وهذا بالفعل يتوافق مع نوفمبر وديسمبر ١٩٥٣ لا ١٩٥٤ لأنهما عينا كوزيرين فى إبريل ١٩٥٤ ، كما يتوافق مع النصوص التى فى كتابه فى صفحة ٢٢٤ عن الأحداث التالية فى فبراير ١٩٥٤ .

(١٠)

لا يعطى خالد محيى الدين الاهتمام الكافى بتعريف القارئ بكثير من الشخصيات التى ترد فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب القيم ، خذ مثلاً على ذلك زملاءه من ضباط الفرسان الذين كانوا أبطال أزمة مارس ١٩٥٤ ألم يكن فى وسع خالد محيى الدين الزعيم الوفى أن يتحدث عن كل منهم بأربعة سطور تعرفنا على الأقل بما وصلوا إليه اليوم فى الحياة العامة على نحو ما فعل مع واحد منهم وهو توفيق عبده إسماعيل ، أم إنه اكتفى بالحديث عمن نعرفه وهو الذى وصل وزيرًا ؟ كما أنى صعقت حين وجدت خالد محيى الدين يقول فى نفس الصفحة إنه يعتذر لهم فقد يكون قد نسى اسمًا أو أكثر ؟ ما هذا يا أستاذ خالد وأنت الذى حدثتنا فى أول هذا الفصل أنك رجعت إليهم ليذكروك بالأحداث ؟ ألم يكن فى وسع سيادتك أن تحصر أسماء مجموعة لا تزيد أعدادها عن أصابع اليدين ولا يستغرق الحديث عنها فقرة أو فقرتين ؟

يكاد قلمى أن ينطلق ليقول أما كفاهم أنك وأنت الزعيم نفيت فحسب ، بينما عانوا هم الأمرين هنا فى مصر على يد زملائهم من الثوار ؟ وبعد أربعين عامًا يتعرضون ـ أو يتعرض بعضهم لأن يهمل أخوهم الكبير ذكر اسمه (!!) .

وعلى كل الأحوال فهذه هى فقرة الأستاذ خالد محيى الدين التى لابد لنا أن نكرر ذكرها وفاء لهؤلاء الأبطال ، يقول خالد محيى الدين « ولست أستطيع ، لا الآن ولا فى المستقبل ، أن أفى هؤلاء الرجال حقهم : توفيق عبده إسماعيل ، أحمد المصرى ، أحمد حموده، بهاء الحينى ، محمود حجازى ، فاروق الأنصارى ، حسن الدمنهورى ، سامى ترك ، صبرى القاضى ، محمد إبراهيم عطية ، مصطفى حمزة ، سعد حمزة ، حسن إبراهيم حسانين . . وغيرهم

كثيرون ، وليعذرني إخوتي أبطال الفرسان الشرفاء إذا كانت الذاكرة قد تخلت عني فنسيت اسماً أو أكثر ، والحقيقة أن العلاقة بيني وبين رجال الفرسان تظل دومًا مكتسية برداء خاص ، ومهما اختلفت مواقفنا الآن ، فإننا نظل أقرب إلى بعضنا البعض من الآخرين ، فتوفيق عبده إسماعيل ضابط الفرسان الشجاع هو الآن عضو بمجلس الشعب عن الحزب الوطني ، ولكن عندما نجلس معا في مجلس الشعب يسرى بيننا من حب ومودة ما لا يسرى بين الآخرين . وبعد سفرى إلى الخارج ، تعرض رجال الفرسان لعنت شديد ، وحدث ما أسمى «بانقلاب الفرسان » حيث قبض على أحمد المصرى وعدد من ضباط الفرسان وحوكموا » .

(١١)

لابد أن نذكر لخالد محيى الدين موقفه النبيل من حسين عزت ، هذا الثائر الذى لم يجد دوره حظه من التقييم والتكريم سواء فى عهد عبد الناصر أو عهد السادات ، مع أنه كان قد اعتقل مع السادات فى ١٩٤٢ ، وبينما رحل السادات إلى ميس المدفعية بقى حسن عزت فى ميس الفرسان بألماظة تحت التحفظ ، وكلمات خالد محيى الدين فى حق حسن عزت لابد أن يقرأها كل إنسان ليعرف مدى تقدير خالد محيى الدين لهذا الرجل العظيم ، وها هو يقول : «جلست طويلاً فى إعجاب وشغف إلى هذا الضابط المعتقل والمتقد حماسًا ووطنية ، كان يتحدث عن مصر بمحبة دافقة تثير الحمية فى أى إنسان ، كان يحكى عن مصر كوطن عظيم وبإمكانه أن يكون قوة عظمى ، ويتحدث عن إنجازات محمد على فى الصناعة والزراعة والتعليم ، ويؤكد أن مصر يمكنها أن تنهض لتضارع كل الدول المتقدمة ، وكان يلح على واجبنا كشباب وكضباط فى فعل شىء من أجل مصر ، وأن التاريخ سوف يحاسبنا يوما . . ماذا فعلتم من أجل وطنكم ؟ كانت كلماته ملتهبة ومؤثرة وصادقة ، وكنت أجلس إليه لألتهم هذه الكلمات التى هزتنى بصورة حادة ، ومعه اقتنعت بضرورة أن أعمل من موقعى كضابط فى عمل سياسى من أجل مصر ، ومن أجل تحريرها من سيطرة الاستعمار ، ولقد كان تأثرى بكلمات حسن عزت الدافقة الوطنية كبيرًا إلى درجة أننى رتبت معه وسيلة لتهريبه من الميس فى حالة استدعائه للمحاكمة ، ولما كان باب الغرفة المتحفظ عليه فيها فى ميس الفرسان يغلق عليه من الخارج ، فقد قمنا بفك أكرة الباب بحيث يمكنه فتح الباب من الداخل ، كذلك كنت أتعاطف معه أنا وعدد من الضباط إلى درجة أننا كنا نصطحبه إلى خارج القشلاق لنسهر سويا ونعود مساء ، وأشهد أنه لم يخدعنا ولم يحاول الهرب منا » .

« ومرة أخرى أكرر أن تأثرى بحسن عزت كان حقيقيًا ، فإليه أرجع الفضل فى إقناعى بضرورة الاشتغال بالسياسة دفاعًا عن مصالح الوطن ، ولهذا فعندما طلب منى بعد الثورة أن أكتب مقدمة لكتابه قبلت بترحاب ، وقلت فى كلمتى صراحة « إن حسن عزت أستاذى فى

الوطنية » ، وقد أغضبت هذه العبارة جمال عبد الناصر غضبًا شديدًا . . وقال لى : كيف تقول عن حسن عزت إنه أستاذك فى الوطنية ، وهو مشكوك فى مواقفه منا ، فقلت له : هذه مسألة أخرى ، قد تختلف معه الآن ، وقد يختلف معنا ، لكنه فعلاً أول من أقنعنى بضرورة العمل السياسى ، وعاد عبد الناصر ليقول غاضبًا : لا يليق بعضو مجلس قيادة الثورة أن يعطى هذا التعظيم لواحد يختلف معنا ، وعدت لأقول : أنا أقرر حقيقة وأنا لا أنسى فضله على رغم اختلافنا معا الآن ، وإذ أذكر حسن عزت ولقاءاتى به فى ميس الفرسان ، تتهادى ذكريات أخرى ، فذات مرة طلب منى أن أنقل رسالة إلى ضابط آخر هو عبد اللطيف بغدادى ، والتقينا معًا أكثر من مرة فى مناقشات تلمست المسألة الوطنية ودورنا فيها ، وعن طريق بغدادى تعرفت بوجيه أباظة وانتظمت لقاءاتنا فيما يشبه محاولة للتجمع . . لكنها ما لبثت أن توقفت بعد إبعاد حسن عزت من القوات المسلحة » .

(١٢)

يتعمد خالد محيى الدين كذلك أن يهمل بعض الأسماء بدون داع فهو (على سبيل المثال) لا يحدثنا عن عضو الشيوخ الذى كان سيختاله فى ص ٦٥ رغم أنه ليس هناك غرض واضح من إهمال ذكر اسمه ، وهو كذلك لا يعرفنا بكثير من الأسماء كما ذكرنا فى الفقرة السابقة ، وكما نضيف إليهم المجموعة التى تحدث عنها من الشيوعيين الذى انضموا إلى حدتو (ص٦٨ و ص ٦٩) مع أن منهم د. محمود القويسنى وصلاح السحرتى وجمال علام وآمال المرصفى وأحمد قدرى . . إلخ . . كذلك فإنه لا يحدثنا فى صفحة ١٤٨ بشىء عن هذا الصاغ (معتز) الذى حاول تحريك قوات البوليس الحربى ضد الثورة وهو موقف مهم جدًا ، لابد أن يتناوله التاريخ بشىء من التفصيل .

أما الرفيق بدر الذى يدلنا خالد محيى الدين على أن عبد الناصر ظلمه حين لم يكن مقتنعًا بزعامته لخالد ، فيبدو أن خالد محيى الدين قد ظلمه هو الآخر لأنه لم يحدثنا عن نشاطه بأكثر من ذكر اسمه وأنه اجتهد حتى أصبح ما أصبح قيمة كبيرة : ثقافة وفكرا وسياسة وقيادة . . ولكن بأكثر من التعريف المقتضب فى ص ٧٠ يبخل علينا خالد محيى الدين بأن يروى لنا تاريخ هذا الرجل فى عهد الثورة ، وهل هو على قيد الحياة أم لا ؟ وهل دخل السجون والمعتقلات وكيف خرج منها . . . الخ .

(١٣)

يقع خالد محيى الدين فى بعض التعارض مع رواياته هو نفسه وخذ على سبيل المثال روايته عن مشاركته فى تدريب بعض العرب للمشاركة فى حرب فلسطين (بالتعاون مع الجامعة

العربية) ، فهو يروى لنا هذه الواقعة فى صفحة ٥٧ برواية وفى صفحة ٧٣ برواية أخرى تعطيه المبادرة والمبادأة ، ففى ص ٥٧ يقول : « ومع تصاعد الأحداث الفلسطينية بدأنا أيضًا فى تدريب عدد من المتطوعين العرب بناء على طلب من جامعة الدول العربية ، وكان عدد هؤلاء المتطوعين حوالى ٣٠٠٠ متطوع من مختلف البلدان العربية » .

أما فى ص ٧٣ فيقول : « وأنا كنت فى إدارة التدريب الجامعى ، وفى مناخ الحماس الدافق اتصلنا عن طريق قائدنا بالجامعة العربية التى تفاهمت مع قيادة الجيش ، وتم الاتفاق على إقامة مركز تدريب للمتطوعين العرب فى هايكستب ، وقد دربنا الكثيرين . . حوالى ثلاثة أو أربعة آلاف ،كانت هناك كتيبتان من السعوديين أى ألف فرد تقريبًا ، وحوالى كتيبة من السودانيين ، وفلسطينيين من النازحين تحت ضغط الإرهاب الصهيونى ، دربناهم وأعيدوا للقتال فى فلسطين ، كما كان هناك عدد من التونسيين . وأعددنا برنامج تدريب سريعًا يستغرق حوالى شهر ، وقد شاركنى فى هذه المهمة عدد من الضباط الوطنيين » .

(١٤)

يذكر للأستاذ خالد محيى الدين أنه اجتهد فى الفصل فى قضية الخلاف بين حدتو وبين عبد الناصر ورغم أنه اجتهد كقاض فإنه حكم فى النهاية كسياسى بخطأ الجانبين وإن كان فى السطر الأخير فى ص ١٠٠ قد لخص الموقف بقوله إن كليهما مخطئ « وربما تحمل الشيوعيون القسط الأكبر من المسئولية » وقد فعلوا يا أستاذ خالد !! ودفعوا الثمن بما فيه الكفاية ! وهذا التحليل للأستاذ خالد يعطينا فكرة (ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠) عن آرائه الوسطية فى العمل السياسى .

(١٥)

على الرغم من أن خالد محيى الدين لم يشر إلى مراجع فى كتابه فإنه نقل عن كثير من الكتابات التاريخية التى تناولت هذه الفترة وخذ على سبيل المثال صفحة ١٦٥ حين ينقل نص الانذار عن مصدر آخر لا يذكر اسمه فينسى أن يحذف منه عبارة « ويمضى الإنذار منددًا بتدخل الملك » . . . التى وضعها مؤلف آخر . . ولا تنتبه إدارة النشر فى مركز الأهرام للنشر إلى أن تحذف هذه العبارة وإنما تتركها كأنها من الإنذار وتجعلها من صلب الإنذار وبنفس بنطه . . إلخ . وليس هناك داع لأن أثبت هنا نص الفقرات التى يجدها القارئ فى ص ١٦٥ من كتاب خالد محيى الدين « والآن أتكلم » .

(١٦)

ولكن . . لعل أهم ما فى هذا الكتاب هو ذلك الضوء القوى الذى ألقاه خالد محيى الدين على موقف محمد نجيب قبل الثورة ، والذى حاول كثيرون تشويهه بمن فيهم من اطلعوا على حقيقة هذا الدور العظيم وحيويته وفضله فى قيام الثورة نفسها وها هو خالد محيى الدين يروى الحقائق فيقول : « ويمضى يوم ١٩ يوليو ونحن نحسب كل حساباتنا على أوائل شهر أغسطس ، ولكن حدثت واقعتان غيرتا من مجريات الأمور ، وقررنا البدء فورًا فى التنفيذ . كان محمد نجيب قد استُدعى لمقابلة الوزير محمد هاشم (وهو صهر حسين سرى رئيس الوزراء) وفى هذه المقابلة سأل هاشم عن أسباب تذمر الضباط وموقفهم العدائى من النظام ، وتحدث نجيب عن الحكم غير الديمقراطى وغير المعبر عن إرادة الشعب ، وعن الخضوع لإرادة الاحتلال ، وخلال الحديث فاجأه هاشم بسؤال لم يكن يتوقعه . . هل يكون تعيينك وزيرًا للحربية كافيًا لإزالة أسباب التذمر وخلق حالة من الرضاء لدى الضباط ؟ فوجئ نجيب بالسؤال لكنه وبلا تردد رفض المنصب ، وقال إنه يفضل أن يبقى فى موقعه بالجيش ، وأنه سبق أن عُرض عليه منصب وكيل وزارة الحربية ورفضه ، والحقيقة أن « نجيب » قد أدرك بوعى أن الهدف هو استقطابه بعيدًا عن حركة الضباط الشبان ، بهدف إجهاض هذه الحركة ، وبينما استمر النقاش بين الوزير محمد هاشم واللواء محمد نجيب ، أفلت هاشم عبارة بحيث تبدو وكأنها زلة لسان أو آتية عن غير قصد ، فقال : إن السراى لديها قائمة بأسماء ١٢ ضابطًا هم المسئولون عن تحريك وقيادة « الضباط الأحرار » ، لم يبد نجيب اهتمامًا بالأمر ، وقال إن موجة التذمر عامة ، وأن الكثيرين متذمرون بحيث لا يمكن حصرهم ، لكن « نجيب » لم ينم طوال الليل ، وكان يتعجل عودة النهار ليبلغنا بهذا الخبر ، وفى الصباح كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يطرقان باب بيت نجيب ، ولكن ليجدا هناك اثنين من الصحفيين من أخبار اليوم . . هما محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة ، وجلال ندا . أما كيف أمسكت أخبار اليوم بخيط محمد نجيب ، فقد عرفنا فيما بعد أن مصطفى أمين كان جالسا مع محمد هاشم أثناء مكالمته التليفونية مع نجيب ليدعوه إلى مقابلته ، فتوقع بحسه الصحفى أن يكون نجيب مفتاحا لبعض الأخبار ، فأرسل له « هيكل » الذى اصطحب معه جلال ندا ، وكان ضابطا بالجيش وأصيب وخرج من الخدمة وعمل كصحفى فى أخبار اليوم » .

« فوجئ هيكل بوافدين جديدين ، وتحركت شهيته الصحفية ليطلب إلى نجيب أن يقدم إليه زائريه ، لكن « نجيب » كان منشغلاً بشىء واحد . . أن يبلغ « جمال » قصة قائمة الضباط الأثنى عشر ، وانفرد نجيب بجمال ليهمس فى أذنه بالخبر الصاعق . وقبل أن أستطرد أود أن أسجل أننا بعد الثورة حاولنا كثيرًا البحث عن قائمة الأثنى عشر ضابطًا فلم نجدها ، وقيل إنها كانت مسجلة فى مفكرة صغيرة لدى حسين فريد ، وقيلت أشياء أخرى ، لكننا

وعلى أية حال لم تعثر على القائمة ، ولم نعرف على وجه اليقين إن كانت هذه القصة حقيقية أم كانت غير صحيحة ، وأن هاشم قد أوردها لتخويف نجيب والضباط ، لكن الشيء المؤكد أن هذه الرواية قد حفزتنا إلى شيئين غيرا مسار الحركة ومسار مصر كلها ، ففور سماع هذا الخبر دُعيت « لجنة القيادة » إلى اجتماع لتقرير التحرك الفورى . كما تقرر أن العملية التى سنقوم بها هى عملية « انقلاب » ، أى استيلاء على السلطة ، وليس مجرد سيطرة على المنطقة العسكرية لإملاء مطالبنا ، وعقد الاجتماع يوم ٢٠ يوليو » .

(١٧)

يحفل كتاب خالد محيى الدين بالهجوم الشديد على المدنيين القانونيين الذين أحاطوا برجال الثورة فى أول عهدها سواء فى ذلك السنهورى باشا أو سليمان حافظ أو السيد صبرى بل ويضم إليهم فتحى رضوان أيضًا ، بل ويضم إليهم من عرفوا بأنهم أميل إلى الاشتراكية كراشد البراوى . . وليس هذا الكتاب مجالاً للحديث عن الهجوم على أشخاص (وللقارئ أن يراجع مثلاً صفحتى ٢٠٨ و ٢٠٩ أو أن يرجع إلى موقف سليمان حافظ فى ص ١٩٦ و ص ١٩٧ وعن ألاعيب القانونيين فى ص ٢١٢ ، وعن آراء السنهورى فى ص ٢٩٤ ، ولكنه فى وسط هذا الحديث عن هؤلاء جميعا يثنى بشدة على عبد الجليل العمرى فى ص ١٩٥ فيقول : « وأذكر أن عبد الجليل العمرى كان رجلاً شجاعًا ، ومترفعًا ، ومعتدًا بنفسه ، وقد اشترط لقبول الوزارة أن يعوض أصحاب الأراضى الخاضعة لقانون الإصلاح الزراعى بسندات ، واشترط أن يكون سقف الملكية مائتى فدان وللأسرة مائة فدان ، وكان مشروع القانون يقترح مائتى فدان فقط . وكان العمرى أيضًا يتحدث بحدة مع الضباط حتى أعضاء « مجلس القيادة » قائلاً : لا تعطوا وعودا إلا بعد سؤالى حتى أدبر لكم ميزانية » .



الفصل الرابع

أرغمت "فاروق" على التنازل عن العرش
مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف

(١)

تحت عنوان « أرغمت فاروقا على التنازل عن العرش » أصدرت دار الزهراء للإعلام العربى ما سمى بمذكرات عبد المنعم عبد الرءوف فى ١٩٨٨ وقد رسم الغلاف الفنان عصمت داوستاشى وجعل محوره صورة عبد المنعم عبد الرءوف نفسه بملابسه العسكرية ، وبقامته العسكرية ، وبنظرته العسكرية أيضًا ، وكأنه أراد أن يقدمه لنا فى صورة العسكرى الملتزم على حين أن صورته فى أدبيات السياسة المصرية هى صورة الإخوانى المنظم . . ومع هذا فقد أعطى عصمت داوستاشى وجه عبد المنعم عبد الرءوف كل ما أمكنه أن يضفيه عليه فن البورتريه من صرامة وتصميم ، ويبدو أنه رسم هذا البورتريه من صورة مبكرة لعبد المنعم عبد الرءوف ، وقد أراد الفنان نفسه أن يدلنا على هذا حين جعل الرتبة التى على كتفى عبد المنعم عبد الرءوف مموهة مبهمة وكأنها ظل رتبة مع أنه كان من السهل عليه بالطبع أن يرسم ما شاء من النجوم أو النسور أو السيوف والعصىّ المتقاطعة . . ومع هذا فقد رصع الفنان صدر صاحب المذكرات بشىء كثير من النياشين ، مع أن التاريخ لم يتح لعبد المنعم عبد الرءوف الفرصة للحصول على مثل هذه النياشين ، وفى الجزء المقدم من غطاء الرأس أعطى داوستاشى بريشته ظلاً أسود وكأنه يرمز إلى اللون الأحمر الذى يكون فى هذا الجزء من غطاء الرأس الذى يرتديه الضباط الكبار والذى يدل على أن صاحب هذه الرتبة قد حصل على دورة أركان الحرب وأصبح من حاملى هذه الدرجة مع أنه لم يتح لعبد المنعم عبد الرءوف أن ينتظم فى هذه الكلية ، وإن كان عبد الناصر قد لوح له بها فى بداية الثورة حين كان لا يزال يفكر فى التقدير والترقى على أنه فى إطار القوات المسلحة فحسب لا فى إطار الدولة كلها .

قد أكون قد أطلت فى هذا الجزء الذى يتحدث عن الغلاف ، ولكننى ما زلت أود أن أذكر للقارئ بعضًا مما لابد منه عن هذا الكتاب الذى صدر عام ١٩٨٨ بينما توفى عبد المنعم عبد

الرءوف نفسه فى ٣١ يوليو ١٩٨٥ وفى صفحات الكتاب ما يدلنا على أن هذا الكتاب كان فيما يبدو سيصدر عن دار الطباعة والصحافة والنشر الإسلامية (بسوق التوفيقية بالقاهرة) وتؤكد هذا المعنى هذه الخاتمة التى تشغل الصفحات ٣٢١ ـ ٣٣١ ، وقد نسبت إلى « التحرير» فى هذه الدار ، وفيها حوار مهم جدًا مع السيدة زوج شقيق عبد المنعم عبد الرءوف ، وهذه الدار المشار إليها بهذا الاسم هى المعروفة الآن عند كل الجماهير بأنها دار الإخوان المسلمين ومقرهم ، ويبدو أنها كانت هى التى ستتولى نشر الكتاب ، ولكن يبدو أيضًا أن قرارات الإخوان المسلمين التى تمر بمستويات متعددة قد انتهت فى النهاية إلى عدم القيام بالنشر ! وهكذا انتقل الكتاب بالخاتمة التى أعدها « التحرير » فى دار الطباعة إلى دار الزهراء للإعلام العربى وكتب الأستاذ أحمد عيد موجه اللغة العربية بالمعاش مقدمة للكتاب ذكر فيها أن علاقته بالمذكرات بدأت منذ ١٩٧٩ وأن عبد المنعم عبد الرءوف حضر إليه فى سبتمبر ١٩٨١ وحمل ما عنده من المذكرات وأخفاها ثم هدأت الأحوال وعاودا الكتابة ثم توفى فى ١٩٨٥ إلى أن يقول الأستاذ عيد : « وقد كان لزاما أن تعود هذه المذكرات إلى ورثته ، فأعادتها إليهم دار الطباعة والنشر الإسلامية ، ليكون لهم فيها حق التصرف من جديد » .

وقد وقع الأستاذ أحمد عيد المقدمة فى ٢٣ يوليو ١٩٨٦ أى بعد وفاة صاحبها بعام وقبل نشر المذكرات بعامين ، وهو ما يعطينا فكرة أخرى عن مدى التردد أو التعطيل الذى تعرضت له هذه المذكرات التى كان من الممكن إنجازها فى شهر أو شهرين على الأكثر . ويبدو أن هذا الذى واجهته هذه المذكرات قبل نشرها قد استمر بعد نشرها ، فإن الصحافة [الإخوانية] التى عادة ما ترحب بمثل هذه المذكرات لم تعطها ما تعطيه عادة لما هو أقل منها سواء فى المحتويات أو فى أهمية كاتب هذه المذكرات .

(٢)

ولعل هذا كله يعكس نقطة غاية فى الأهمية وهى ما قد نتسرع بأن نطلق عليه خلاف عبد المنعم عبد الرءوف مع الإخوان ، رغم كل ما عاناه بسبب الانتماء إليهم . . . ولعل أبرز ما يزكى هذا الخلاف هو هذه المذكرات ، ولعل أبرز ما ترويه هذه المذكرات هو هذا الخلاف . . ولو كان التغيير فى عنوان المذكرات واردًا لكان عنوانها الحقيقى متعلقًا بهذا الاختلاف الصامت مع الإخوان ، وقد بدأ هذا الخلاف كما يدلنا عليه عبد المنعم عبد الرءوف بما يسمى فى العسكرية « تقدير الموقف » فى أزمة مارس ١٩٥٤ ، كان عبد المنعم يريد قرارًا حاسمًا بالتصدى لعبد الناصر وهو ما يزال فى أولياته ، بينما كان الإخوان فى ظل الشورى وتقليب الرأى يتباطئون ، وكان عبد المنعم يحذرهم من مصيرهم الذى حدث بعد ذلك ، وكانوا هم يفكرون بطريقة أخرى ، ولأنه لم تكن هناك قنوات ديمقراطية واضحة فى نظام الإخوان ، فقد

كان عبد المنعم عبد الرءوف يبحث عمن ينقل رأيه إلى أى مسئول فى الجماعة . . وهكذا ضاع الموقف من الإخوان ـ على حد تعبير عبد المنعم عبد الرءوف نفسه ، وضاع عبد المنعم هو الآخر لمجرد الانتماء إليهم .

وهكذا تتضح لنا صورة هذا الرجل العسكرى حقا الذى أقام حساباته فى كل المراحل على تقدير الموقف وتأثر بهذا التقدير إلى أبعد الحدود حتى لتكاد تقول إنه كان يتفوق فى عسكريته على عبد الناصر وعلى السادات ، ولكنه كان يأتى بعدهما بمراحل كثيرة فى آفاقه السياسية ، وقدراته على اتخاذ المواقف التى تتناسب مع تقدير الموقف الذى وصل إليه ، ولهذا فليس عجيبًا أن نرى فى هذا الكتاب كل هذه الملاحم المتواضعة التى خاضها عبد المنعم عبد الرءوف فى غربته ومنفاه فى بيروت والأردن وتركيا ، بل وفى محاولاته أن يزيد مواطن هذه الغربة باليمن وبالسودان وإفريقيا !

(٣)

وقد يخرج قارئ الكتاب بانطباع يقوده إلى أن يتخذ قرارًا بألا يترك بلاده أبدًا ، فقد عبر عبد المنعم عبد الرءوف وهو فى سن الشيخوخة عن كل المصاعب التى لاقاها وأفاض فى هذا التعبير من دون أن يعلن لنا عن نشوته بالهروب ، ولا عن سعادته بالحرية حين حصل عليها ولو فى المنفى ، ذلك أن هذا الرجل العظيم الذى ظلمه زمانه قد عاش حتى آخر حياته مهددًا تمامًا بكل ما نذر له نفسه .

ولكن المأساة الكبرى فى حياة عبد المنعم عبد الرءوف كانت تتمثل فى جو التعتيم الذى كان يحيط حياتنا السياسية كلها . . وقد أصاب هذا التعتيم شخص عبد المنعم عبد الرءوف فى الصميم ، وإذا كان لنا أن نصدق ما كتبه فى هذه المذكرات (ولو إلى حين) فها هى فصائل الإخوان المسلمين تستجيب بالتصديق لما استطاع عبد الناصر أن يشيعه من أن عبد المنعم عبد الرءوف قد أصبح عينًا له عليهم ، ولا يستطيع عبد المنعم عبد الرءوف بالطبع أن يقنع هؤلاء واحدًا واحدًا بأن هذا الذى يتداولونه هراء ، ولا يتفق مع المنطق ، ذلك أن تنظيم الجماعة والتعتيم الذى كانت ومازالت مضطرة إليه لم يسمحا لعبد المنعم عبد الرءوف بالوصول إلى الوسيلة التى تمكنه من الدفاع عن نفسه بعد كل هذا ، هذا بالإضافة إلى أن مصلحة كثيرين ممن كانوا فى مواقع مسئولة فى تنظيم الإخوان المسلمين كانت تقتضى إبعاد أمثال عبد المنعم عبد الرءوف عن صدارة الجماعة . . وللأسف الشديد فإن المراقبين من أمثالى قد يحزنون لمثل هذا الحظ السيىء الذى يلقى بظلاله من حين إلى آخر على ديناميكيات هذه الجماعة ، وللأسف الشديد مرة ثانية أن سيوف الاتهام تظل مسلطة على رقاب أمثال عبد المنعم عبد الرءوف حتى بعد وفاتهم ويكون من الصعب حتى أن تكتب كلمة تقدير لأمثاله فى الصحف

الناطقة باسم الإخوان ، وللأسف الشديد مرة ثالثة فإن مثل هذا الكلام الذى أكتبه الآن قد يجلب لكاتبه (الذى هو أنا) بعض الازدراء غير المعلن من كثير من المنتمين إلى هذه الجماعة . . وهكذا قُدر لهذه الجماعة ولاراد لقضاء الله أن تعانى منذ رحيل حسن البنا من اضطراب شديد فى تقييم أصحاب الجهود والنشاط فيها ، دون أن تكون هناك حقيقة معلنة أو متفق عليها ، وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأرجو القراء أن يتوجهوا معى بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يلهم إخواننا جميعًا الصواب والتوفيق . .

(٤)

بعد كل هذا يستطيع القارئ الآن أن يمضى معنا كى يقرأ مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف ليجد فيها أهم وثيقة سياسية تتناول السياستين الداخلية والعربية بدءًا من ١٩٥٤ ، فهذه لقطات صادقة إلى حد كبير ، ومعبرة إلى حد كبير ، وليس من الصعب على المؤرخين أن يتناولوا الأسماء التى رمز إليها عبد المنعم عبد الرءوف بالأحرف الأولى فيفكوا شفرتها ، وأن يربطوا الأحداث المتتالية بما هو معروف فيما حدث ، وأن يقدموا صورة جميلة ومعبرة فيها الظاهر (الذى هو مسجل فى كل صحفنا اليومية والأسبوعية فى تلك الأوقات) والباطن (الذى سجله عبد المنعم عبد الرءوف فى هذه المذكرات) وبهذين الوجهين من وجوه الحقيقة يمكن لنا أن نطلع على كثير من الأحداث برؤية أكثر عمقًا وشمولاً وإن لم تكن هى الحقيقة الكاملة .

(٥)

ولابد أن نبدأ بأن ننقل للقارئ صورة عن الالتزام التنظيمى عند عبد المنعم عبد الرءوف تجاه الإخوان المسلمين فها هو فى صفحة ١٥٠ يذكر كيف كان حريصا على استئذان المرشد (وهو هنا يعبر عنه بالوالد) عند تفكيره فى الهرب فيقول : « فى جميع المرات التى سمح لى حارسى بالذهاب لمقابلة زوجتى تمكنت من الذهاب إلى منزل الأخ الكريم الأستاذ محمود الجوهرى ، الذى كان يسكن فى حى السلخانة ووضحت له خطورة ترك الحكم الفردى يقوى ويمد جذوره فى أرض الوطن ، وبينت له أن الضربة القادمة سوف توجه ضد جماعة الإخوان ، وأشهدته على صحة تنبؤاتى حول سوء نية جمال عبد الناصر وعصابته ، وعدم اهتمام قادة الجماعة لتحذيراتى ونصائحى ، وطلبت منه إبلاغ الوالد (الإمام الهضيبى) أن محاكمتى ذريعة للزج بى وبجميع الشهود فيها فى السجن ؛ لحرمان الجماعة من العناصر العسكرية فى الجيش بعد أن حرموها من عناصرها من ضباط البوليس ، ثم بعد ذلك يطيحون بقادتها إما بالزج بهم فى غيابات السجون أو بقتلهم اغتيالاً أو بأى وسيلة أخرى ، وأخبرته أننى قررت الهرب سواء أقرر الإخوان القضاء على الحكم الدكتاتورى ورجاله أم لا ، لأننى أفضل أن أحيا حرًا شريدًا فى

أرضى الله من أن أسجن مظلومًا فى وطنى ، فإذا وافق الوالد على هربى فأرجو أن ترسل لى عن طريق زوجتى داخل حقيبة الطعام فوطة حمراء ، وإذا لم يوافق فترسل فوطة صفراء أو زرقاء ، وانصرفت فى انتظار إحدى الفوطتين ، رجعت إلى السجن وأنا متحرق شوقًا للفوطة الحمراء التى ستكون إيذانا بحياة الحرية الحقة والكفاح ، واستطعت رغم الحراسة الشديدة والتضييق الفظيع أن أنفرد بأخى فى الله الصاغ أركان حرب معروف الحضرى داخل دورة مياه السجن وأسررت إليه بموجز حديثى مع الأستاذ محمود الجوهرى ، وخاصة حكاية الفوطة الحمراء . وأكدت عليه ألا يبلغ أحدًا أيا كان بهذا الحديث ، وعرضت عليه الهروب فطلب مهلة ساعة للتفكير ، وجاءنى الرد منه كتابة موجزًا فى الشروط التالية :

١ ـ أن يصله مندوب خاص من الوالد (الإمام الهضيبى) يطلب منه استعداد الجماعة للعمل .

٢ ـ أن تضمن له الجماعة رعاية شئون أولاده أثناء غيابه .

٣ ـ أن يشمل الهرب جميع الإخوان الذين معنا .

وفى اليوم التالى وصلت لى حقيبة الطعام ووجدت بها الفوطة الحمراء فكانت بردًا وسلامًا على قلبى ، وتمكنت بعد وصولها من مقابلة أخى معروف الحضرى وأطلعته عليها وقلت له : اتصل أنت بطرقك الخاصة بالوالد ، أما أنا فلا أستطيع مع السجن صبرًا » .

وفيما بعد يذكر لنا قصة لقائه بواحد من زعماء الإخوان (ص ١٦٢ و ١٦٣) فيقول : «وبعد حوالى أسبوع زارتنى الشخصية الإخوانية المسئولة عقب تناول طعام الإفطار مباشرة وكانت هذه الشخصية هو الأخ (أ.أ.أ) وجلست بجواره ومعنا الأخ (م.م.ع) وبدأ الأخ (أ.أ.أ) حديثه بأن حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى وسلم على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه وتابعيه ، وتضرع إلى المولى أن يهدينا سواء السبيل وينصر دعوتنا وقال موجها كلامه لى : إنى أبلغك تحيات جميع إخوانك وقد كلفونى بأن استمع لكل آرائك وكل طلباتك لأنقلها إليهم لدراستها ، ثم أعود إليك بإجاباتهم وقراراتهم إزاءها ، وقبل أن أسرد ما قلته ردًا على حديث الأخ المسئول (أ.أ.أ) أقول إن معرفتى به وثيقة فقد عرفته منذ عام ١٩٤٥ عندما عرفنى به الأخ عبد الرحمن السندى ببلدة الرقة فى عزبة الأخ (ح.ع) عندما كنت أقوم بتدريب شباب النظام الخاص للإخوان هناك وتعددت مقابلاتى به بين الحين والآخر فى مراكز تدريب فى الشرقية والقليوبية ، والتقيت به فى المركز العام ، وكنت أشعر دائمًا بأهمية الدور الموكل إليه فى تأسيس النظام الخاص للإخوان ، لذلك عندما جلست إليه وسمعت منه ماقال اطمأننت إلى كونى أتحدث مع شخص من أركان النظام ، فقلت له : إننى أشهد الله ، وأشهدك ، وأشهد التاريخ على كل ما أقوله لك فى هذه الجلسة التاريخية ، اعلم يا أخى أن هربى سيفسر

لدى الحكومة بأن الإخوان هم الذين شجعونى وسهلوا لى السبيل ، وأنهم سيستعينون بى فى تدريبهم سرًا توطئة للقيام بانقلاب ، ولن تتوانى الحكومة لحظة واحدة فى مراقبتكم مراقبة دقيقة ، ثم تتحين الفرصة للزج بكم مرة ثانية فى غيابات السجون ، لهذا فإننى أرجوك أن تبلغ المسئولين من قادة الجماعة إذا كانوا ينوون تغيير النظام القائم فعليهم أن يضعوا نصب أعينهم عامل الوقت بأن يتفقوا فورًا على خطة عمل ويسعوا لتنفيذها بإخلاص وسرعة ودقة وإياكم والتأخير » .

وفى صفحة ١٦٨ يذكر رفقته لأحد أفراد الإخوان فى الطريق فيتطرق من روايته إلى الخطأ الذى وقع فيه الإخوان وذلك حيث يقول : « وفى العودة أخبرنى عبد اللطيف أنه التحق بالحرس الوطنى وكان مبرزًا فى إصابة الهدف ورقى لرتبة أومباشى ، ولكنه بناء على تعليمات الإخوان بعدم الاشتراك فى الحرس الوطنى تركه منذ شهور ، وهنا فكرت مليا فى هذا الخطأ الكبير الذى ارتكبته قيادة الإخوان عندما اتخذت هذا القرار الذى تسبب عنه أولاً حرمان شباب الإخوان من التدريب العسكرى فى وقت هم فيه أحوج إليه ، وثانيًا فقد عدد من الإخوان لهم تأثيرهم الأدبى والمعنوى والمادى بين غيرهم من شباب الوطن ، وثالثًا حرمان الإخوان من الأسلحة والذخائر المسلح بها الحرس الوطنى مما يزيد فى أعبائنا فى سبيل الحصول عليها ، ورابعًا إبعاد شباب الإخوان من صميم الحرس مما حرمنا من المعلومات التى تكشف نوايا الحكومة وصعوبة عملية استخدام الحرس ، والاستفادة به فى القيام بأى عمل نفكر فيه» .

(٦)

وفى صفحة ١٧٩ يجاهر عبد المنعم عبد الرءوف بانتقاده للحال التى وصل إليها النظام الخاص بعد شهرين من هربه فيقول فى صراحة : « مضى حوالى ثلاثة أسابيع منذ اجتماع قادة النظام ، كنت فيها نهبا للغيظ والانفعال لمرور هذا الوقت الضائع ، علاوة على شهر ونصف من قبل ، فيكون المجموع شهرين وأسبوعا دون أن نبدأ فى تجهيز شىء عملى ، بل على العكس كانت كل الظواهر تدل على مظاهر ضعف كثيرة ومتنوعة تتلخص فى الآتى :

١ ـ الفصائل غير كاملة التسليح والتدريب ، وبالكاد يمكن تسليح فصيلة واحدة على الوجه الأكمل ، علاوة على بعض الأفراد فى الفصائل .

٢ ـ لم تتوقف قيادة النظام عن طبع وتوزيع المنشورات رغم معارضتى الشديدة ، مما يدل على قصر نظر ، وعدم تنسيق بين تفكيرى وتفكيرهم .

٣ ـ يتركز وجود الفصائل فى القاهرة ، ويكاد الوجه القبلى يخلو منها تمامًا أما الإسكندرية

والقنال والوجه البحرى فضعاف مما يجعل عملية حرب العصابات مركزة فى العاصمة ، فيسهل القضاء عليها بعملية اعتقالات عشوائية واسعة النطاق .

٤ ـ إن العسكريين من رجال الجيش لم يلتقوا بى حتى الآن ، ولم تبد أية ظاهرة تدل على أنهم أعادوا تنظيم صفوفهم بعد الضربة التى وجهتها لهم الحكومة ، ونجم عنها محاكمتى ، وإحالة عدد من الضباط إلى التقاعد ورفت بعض الصولات » .

وفى صفحة ١٨٦ يعود عبد المنعم عبد الرءوف لينعى على النظام ضعف الضبط والربط بين بعض الطلبة وهو يدلنا على الظواهر التى تؤكد نظرته فيقول : « وقد بدا ذلك فى الرغبة فى الضحك والضعف البدنى مما حدا باثنين إلى الاستئذان والعودة لمنزليهما ورغبة آخرين فى الزوغان من الطوابير والعمل فى المطبخ » . وفى صفحة ٢٠٣ يتحدث عن اللجنة الخماسية التى تشكلت فى بيروت من الإخوان المسلمين ولا ندرى لماذا لم يذكر اسم العضو الخامس فى هذه اللجنة ، ولكنه يحدثنا فى كثير من المواضع عن عدم ارتياحه لهذه اللجنة التى كانت تضم أيضًا سعيد رمضان وكامل الشريف وسعد الوليلى ، ويذكر أنه استقال من هذه اللجنة بعد أن « لمست كثيرًا من التصرفات التى أرجو أن يعذرنى القارئ من عدم ذكرها » .

وفى صفحة ٢٢١ يتحدث بعدم ارتياح لما أشاعه عنه الإخوان من أنه أصبح جاسوسًا لعبد الناصر ؟ ومع هذا كله فإن هناك سطرين فى صفحة ٢٣١ يدينان عبد المنعم عبد الرءوف نفسه من وجهة نظر الإخوان ، ولا أدرى كيف بقيا فى هذه المذكرات حتى الآن : « وقال السفير : إن عبد المنعم لا يفيد السفارة بشىء ولا خطر منه الآن فهو على خلاف مع قادة الإخوان » . . كذلك فإن عبد المنعم يناقش مثل هذه الآراء فى صفحة ٢٣٢ حيث يقول : «قال الأخ . . . لن تمضى أيام إلا ونرى عبد المنعم معنا فى التنظيم ، فقال الأخ الزائر : إن الذى يريد الإصلاح يجب ألا يخرج من الصف ، وهناك مثل عبد المنعم !! ، قلت : مَن قال: إننى خرجت من الصف ؟! إننى حضرت إلى هذه البلاد عام (١٩٥٥) محكومًا علىّ بحكمين ، الأول : بالأشغال الشاقة المؤبدة بتهمة محاولة انقلاب ، والثانى : بالإعدام بسبب حوادث الإخوان ، وحين وصلت ، سئلت : هل أنت على استعداد للعمل؟ فأجبت بالقبول وتكونت اللجنة الخماسية لكننى شعرت بأنهم يتصرفون بعقول قديمة ، كالقائد الذى حضر معارك الحرب العالمية الأولى ، فعرضت عليهم اقتراحاتى من واقع تجاربى، فلم يتفاعلوا معى، وكنت أشد فيهم شدا دون جدوى ، أما عن العمل والجهاد فأنا مستعد الآن للذهاب فورًا بملابسى هذه دون أن أودع أولادى فما رأيك ؟ إننا منذ تعلمنا فرائض الإسلام مستعدون للاستشهاد فى سبيل الله ، وانفض الاجتماع من غير أن نتفق على شىء ، ومرت الأيام والشهور ولا أمل فى عودة المعاش ، والإخوان لم يقرروا أى شىء ، وكانت تأتينى مساعدات قليلة من

بعض الأصدقاء ، كانت تسد بعض الاحتياجات ، لأن زوجتى كانت فى بداية عملها ، وكان كثير من الإخوان يشكون فىّ ، حتى إن أحدهم صارحنى بأنى أتعامل مع المخابرات المصرية ، ودليله على ذلك حصولى على المعاش وجواز السفر ، وحضور عبد الناصر حفل زفاف ابنتى !! فقلت له هل هذا دليل كاف ؟ وأيهما أكثر شبهة . . أنا أم الذى يسمح له بالسفر إلى مصر ومعه أسرته ؟ » ولا يذكر عبد المنعم عبد الرءوف فى هذه الفقرة من هو المقصود بأنه يسافر مصر ومعه أسرته ؟

وفى صفحة ٢٢١ يناقش عبد المنعم عبد الرءوف نفس هذه الفكرة فيتحدث عن أيام منفاه ويذكر فى فقرتين متتاليتين وكأنه (أو كأن الناشر يقصد هذا المعنى) موقف كل من المخابرات المصرية والإخوان منه وهذه هى عباراته حيث يقول : « عاد الأخ نجيب وأخبرنى بأن صلاح نصر أمر بصرف مرتب لى لما بلغه من سوء حالتى المالية وهو مرتب لواء وأبلغنى بأن صلاح نصر يخشى من عودتى لعمل تنظيمات فى مصر ، فأجابه نجيب ، فليكن حضوره على مسئوليتى وإن فعل شيئًا فاضربونى بالرصاص ، ثم يقول مباشرة بلا فاصل إلا عنوانا جانبيا «اجتماعات مع الإخوان » : « اجتمعت مع بعض الإخوة وقال أحدهم : إن اجتماعات كثيرة لإخوان من عدة بلاد عربية عقدت وآخرها فى موسم الحج ، وتقرر إعادة التنظيم وتجنب أخطاء الماضى وهناك تقارب وتعاون كثير بينهم ، وسمعت أحاديث كثيرة عن شقاق وخلاف ، وضرورة إبعاد أشخاص عن العمل فى صفوف الجماعة حتى يستقيم الأمر وكان من ضمن ما سمعت أننى صرت جاسوسًا لعبد الناصر ، وتعجبت لذلك فكيف أكون جاسوسًا وأنا مشرد مرة فى الأردن وأخرى فى تركيا وحاليًا فى بيروت أعانى من الظروف المادية والإقامة والبطالة ، وأرجعت ذلك إلى أن هناك أشخاصًا يهمهم نشر هذه الشائعات لتغطية تصرفاتهم» .

(٧)

وعلى هذا النحو نستطيع أن نفهم بسهولة كثيرًا من الآراء التى لم يشأ عبد المنعم عبد الرءوف أن يصرح بها ، ولكنه اجتهد كثيرًا حتى جعلنا نقرؤها فى سهولة ، اجتهد الرجل كى يجعلنا نقرأ هذه الحقائق التى استنتجها هو من وقائع أوردها لنا متتابعة كى نستنتج نحن القراء ما استنجه هو ، ولكن بدون أن ندفع الثمن الغالى الذى دفعه من حريته واستقراره واطمئنانه وأمنه وأمانه ، ولنا أن نقرأ مثلاً فى صفحة ١٠٣ ما يقوله عبد المنعم عبد الرءوف بالنص : « وأستطيع أن أقرر هنا أن فضيلة المرشد حسن الهضيبى كان صريحا معى لأول مرة مما أثلج صدرى » ، ومن الواضح والذى لا يدع مجالا للشك أن عبد المنعم عبد الرءوف أراد بهذا الكتاب أو أن كاتبه أو ناشره أراد أن يعطينا فكرة عن أن الإخوان كانوا فى حالة من ضعف التنظيم وانفكاك

الإرادة . . ونحن حين نحلل النصوص لا نستطيع أن نفرض عليها رؤيتنا ، ولا أن نتجاوز لنقول مثلاً إن هذا الذى نفهمه من هذا الكتاب هو تكتيك إخوانى مثلا ، أو انتقام لعبد المنعم منهم ، إنما هذا هو النص الذى أمامنا وأمام القراء . . وسننقل للقارئ هنا ما ذكره عبد المنعم عبد الرءوف مثلاً فى صفحة ١٦٣ من أنه طلب منهم معلومات محددة حتى يمكن له أن يضع لهم خطة انقلاب إسلامى وهو يقول بالحرف الواحد : «فقال الأخ (أ. أ. أ): إن إخوانى المسئولين يطالبونك بوضع خطة لعمل انقلاب إسلامى . فقلت له : لكى أضع هذه الخطة فإنى أطالبكم بسرعة موافاتى بالمعلومات التالية والتى أرجو أن تكون مطابقة للواقع حتى نستطيع التنفيذ فى حدود إمكاناتنا :

١ ـ عدد أفراد النظام الخاص المدربين وغير المدربين على الأسلحة الصغيرة فى كل مديرية على حده خلاف العواصم .

٢ ـ عدد أفراد النظام الخاص المدربين وغير المدربين على الأسلحة الصغيرة فى القاهرة والإسكندرية والسويس وبورسعيد والإسماعيلية والمنيا وأسيوط وأسوان .

٣ ـ عدد أفراد النظام الخاص المدربين وغير المدربين على الأسلحة الصغيرة فى كل حى من أحياء القاهرة والإسكندرية .

٤ ـ كشف مفصل به جميع الأسلحة الصغيرة الصالحة للاستعمال : رشاشات ـ بنادق ـ طبنجات ـ قنابل يدوية ـ خناجر ـ ذخائر فى كل مديرية وعاصمة على حدة .

٥ ـ أسماء الضباط والصف ضباط الذين يمكن الاعتماد عليهم بالجيش ومدى المساعدات التى يستطيعون تقديمها .

٦ ـ أسماء الضباط والصف ضباط الذين يمكن الاعتماد عليهم بالبوليس ومدى المساعدات التى يستطيعون تقديمها .

٧ ـ عدد السيارات والدراجات البخارية والدراجات العادية الموجودة لدى أفراد النظام الخاص .

٨ ـ كشف مفصل به المهن الفنية وغير الفنية التى يعرفها كل فرد من أفراد النظام الخاص ودرجة إجادته القيادة لمختلف وسائل المواصلات ، والدرجة العلمية الحاصل عليها» .

(٨)

ولكن عبد المنعم عبد الرءوف مع هذا الذى لحظناه من خلافه التكتيكى مع الإخوان فى مراحل مختلفة ، حريص على أن يضفى على خلافه مع قادة الثورة من زملائه طابعًا وظيفيًا

بحتًا ، فهو يفيض فى رواية حديثه وأحاديثه ولقاءاته المتعلقة بحرصه على العودة إلى القوات الجوية وبحرصه على رتبته وأقدميته وميزاته و . . . إلخ ، وقد يعجب القارئ لمثل هذا الحديث اليوم حين كان أنداد عبد المنعم يتولون الوزارات لا قيادة الكتائب . . ولكننى لا أحب للقارئ أن يتورط فى هذا الشعور الذى قد يكون صادقًا فى نظره اليوم ، وإنما أحب أن أقول له إن عبد المنعم كان صادقًا فى هذا الحديث لأنه فى السنة الأولى للثورة التى شهدت حوارات عبد المنعم حول أقدميته ووظيفته العسكرية كانت الأمور ما تزال تدور فى هذا الفلك ، وليذكر القارئ ما أثبته فى كتابى « الوزراء » من أن أول ثلاثة من ضباط الثورة تولوا الوزارات وهم عبد الناصر وبغدادى وصلاح سالم لم يتولوا الوزارة إلا فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ أما فيما قبل ذلك فقد عمل عبد الناصر نفسه مديرًا لمكتب القائد العام للقوات المسلحة أى مديرًا لمكتب الرئيس نجيب ، كذلك فإن حسين الشافعى قد استكمل دراسته فى كلية أركان الحرب ، ولم يكن قد اجتاز هذه الكلية بعد مع أنه كان وصل إلى رتبة البكباشى ، وكان حسين الشافعى يومها قد أصبح مديرًا لسلاح الفرسان . . . ليس غريبًا إذن ما نقرؤه من أن عبد المنعم عبد الرءوف كان يطلب أن يكون قائدًا للكتيبة ١٧ بدلا من الكتيبة ١٩ . . . وهكذا ، ولكن هذا لا يمنعنا أيضًا أن نلتفت إلى ما كان تحت الرماد من نار ، ذلك أن عامل الثقة بين عبد الناصر ورفاقه من ناحية وبين عبد المنعم عبد الرءوف من ناحية أخرى لم يكن فى أحسن حالاته ، وعلى الرغم من كل المجادلات « والتماحيك » فى المناقشات بين عبد المنعم وبين بغدادى مثلاً فإن أنور السادات بقدرته الرهيبة على البلورة وبالثقة [التاريخية] التى كانت بينه وبين عبد المنعم عبد الرءوف قد بلور لعبد المنعم عبد الرءوف سر الخلاف من دون تصريح وكأنه يعفى نفسه من الطرفين ، ولكن عبد المنعم عبد الرءوف لم يكن فى الحقيقة راغبًا فى أن يثبت على نفسه أنه يمضى فى طريق آخر .

(٩)

أما موقف عبد المنعم عبد الرءوف من عبد الناصر فى هذه المذكرات فيتوقف على حالته النفسية التى كانت تتغير بالطبع من فقرة إلى أخرى ومن فصل إلى فصل ، ولا ننسى أن ما بينهما كان نوعا عميقًا من أنواع العواطف المشبوبة بالحب والإخاء ، وحتى حين يريد عبد المنعم أن يهاجم عبد الناصر بضراوة فإنه يقول فى شبه حب « وانظر إلى جمال السفاح . . . » وهى عبارة « شعبية » تحمل فى موسيقاها الداخلية الإعجاب والحنو على الصديق الذى يأخذ موقف الشرير ، وهذه هى بقية الفقرة التى يتحدث بها عبد المنعم عبد الرءوف عن جمال عبد الناصر فيقول : « كان لسوء معاملتنا أثر كبير فى نفوسنا خاصة بعد أن وصل إلى مسامعنا اعتقال زوجة القائمقام يوسف منصور صديق ؛ لأنها عاتبت زوجة جمال عبد الناصر تليفونيًا وتطور العتاب بينهما إلى تبادل الألفاظ النابية ، والمخجل فى تاريخ جمال السفاح ألا يتسع

صدره لامرأة مناضلة كانت توزع بنفسها منشورات الضباط الأحرار فى الطرقات والدور فيزج بها فى سجن محطة مصر الرجالى ، وبذلك فرق بين الزوجة وزوجها ، وبينها وبين أبنائها الصغار الذين لم يتعد سن أكبرهم اثنى عشر عامًا » .

□ وفى موضع آخر (ص ١٠٤) يذكر عبد المنعم عبد الرءوف أن عبد الحفيظ الصيفى سأله عن رأيه فى عبد الناصر فقال له (فى منتهى الاختصار) إن لجمال عبد الناصر مزايا وعيوبا ، أما عن مزاياه فهى طموحه وكرمه ، وأما عن عيوبه فهى حقده وخبثه وقسوته .

□ وفى موضع ثالث (ص ١٣٠) فى مذكرته لهيئة المحكمة للدفاع عن نفسه أنه كان يثق جدًا فى جمال لنشاطه وذكائه وكنت أعتبره ساعدى الأيمن ، وعرفته بكثير من الضباط وخاصة الضباط الطيارين وهم الذين ساعدوه فيما بعد فى انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

□ وفى موضع رابع يروى عبد المنعم عبد الرءوف لحظة علمه بوفاة عبد الناصر فلا يمنع نفسه من أن يصور الجو النفسى الكئيب الذى عاشه مع الجماهير حين علم بوفاة صديقه وعدوه عبد الناصر .

□ وفى موضع خامس (ص ١٣٢) يذكر أنه ما يزال يحتفظ بمصحف شريف أهداه له عبد الناصر وكتب عليه « إلى أخى عبد المنعم ذكرى نجاته من معركة العسلوج بحمد الله » .

(١٠)

وفى مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف صفحات مهمة ومضيئة وموحية عن حرب فلسطين فى ١٩٤٨ وعلى الرغم من أن صاحب المذكرات كان يقصد إلى إثبات دوره فحسب فى هذه الحرب إلا أن هذا الدور نفسه يلقى بكثير من الضوء على مسار الحرب نفسها وعلى الظروف الاجتماعية والاستراتيجية والسياسية والعربية التى أحاطت بها ، فقد كان عبد المنعم عبد الرءوف من الذين طلبوا أن يحالوا إلى الاستيداع حتى يتطوعوا بالمشاركة فى الحرب كما كان عبد المنعم عبد الرءوف من الذين شاركوا فى المعارك الأولى لهذه الحرب إلى جوار أحمد عبد العزيز ، كما يروى عبد المنعم عبد الرءوف عن معروف الحضرى وجمال عبد الناصر والاتهامات المتبادلة بين الزملاء الذين كانوا معا حتى المعاناة ، ويجد عبد المنعم عبد الرءوف الشجاعة فى قلمه إلى أن ينسب إلى عبد الناصر قوله إن الفلسطينيين خونة (اقرأ صفحة ٢٣٣) على الرغم من فى عبد الناصر غائب عن الساحة لا يستطيع الرد .

وفى كتاب عبد المنعم عبد الرءوف تمجيد خاص لرشاد مهنا وليوسف صديق ، وفيه حب شديد وإعجاب بخالد محيى الدين ، وفيه امتنان غير كامل لأنور السادات ، وفيه كما ذكرنا لتونا مزيج من الحب والكراهية لعبد الناصر ، وفيه أيضًا نظرة تعال وهجوم إلى كل من عبد الحكيم عامر وجمال سالم بصفة أخص .

أما رشاد مهنا فإنه يحظى بتقدير عميق وتمجيد خاص كما قلنا من عبد المنعم عبد الرءوف وفى صفحة ٢٩٢ يأبى عبد المنعم عبد الرءوف إلا أن يذكر بالنص هذه التفاصيل : « نصح محمد رشاد مهنا تنظيم الضباط الأحرار عام (١٩٥١) بدخول انتخابات نادى الجيش وذلك أثناء اجتماع دعى إليه فى بيت الصاغ مجدى حسنين ، وكان الحاضرون جمال عبد الناصر والبغدادى وحسن إبراهيم وزكريا محيى الدين ، وبنصيحته هذه حول تفكيرهم من عمل سيقضى عليهم تمامًا ، فقد كانوا يفكرون فى عمل مظاهرة احتجاج يسير فيها جميع الضباط الأحرار إلى إدارة الجيش ؛ للاحتجاج على تصريحات المستر (ايدن) فقال رشاد مهنا للمجتمعين : إنكم بعملكم العلنى هذا ستكشفون أنفسكم كحركة سرية ، فأخذوا بنصيحته ودخلوا انتخابات النادى ونجح رشاد مهنا فى انتخابات النادى بالإجماع إذ نال (٣٣١) صوتا وإن دل هذا النجاح الباهر على شىء ، فإنما يدل على تمتعه بتأييد قاعدة عريضة من الضباط فى سلاحه الأصلى وهو المدفعية ، أما اللواء محمد نجيب فقد نال (٢٧٨) صوتًا ، وقد أشاع الانتهازيون والوصوليون من مراكز القوى عن رشاد مهنا أنه هو الذى افتعل ودبر (مذبحة الضباط) قاصدين بذلك إيغار صدور الضباط المحالين على التقاعد وأقاربهم من الضباط العاملين ضده لينالوا من محبة القاعدة العريضة له ، وإثارة الرأى العام والتشنيع عليه ، والحقيقة أن الذى أمر بها هم فى الدرجة الأولى البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر والصاغ صلاح سالم ، وغيرهم من المتسلقين كى تقفز أقدميتهم للأمام ، ويتولوا مناصب قيادية قبل تكامل تدريبهم وإعدادهم لها ، والثلاثة الذين أداروا (مذبحة الضباط) هم أحمد حمدى عبيد ، ووحيد جودة رمضان ، وإبراهيم نظيم » .

أما يوسف منصور صديق فإن الكتاب حافل بتقدير خاص له وهو ما قد يستغربه القراء ولكن عبد المنعم عبد الرءوف حل لنا هذا التناقض بأن أورد على لسان يوسف صديق نفسه قوله : « أنا ماركسى فى الاقتصاد فقط ولكنى مؤمن وموحد بالله جل جلاله » ، وعبد المنعم عبد الرءوف حريص فى كتابه أن يروى لنا ـ بطريقته ـ قصة ليلة الثورة كما رواها له يوسف صديق حيث قال (ص ٢٩٣) « إنه قد وصل إلى معسكر هاكستيب مع مقدمة كتيبته وقبل الثورة بيومين زاره فى منزله جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وكان صدره ينزف دما وأبلغاه أنهما حضرا ليبلغاه دوره فى الانقلاب ، ولكن لا داعى لذلك لما لمساه من حالته المرضية ، فذكر

لهما أنها مسألة طارئة وقد أخذ العلاج وهى عادية جدًا وكثيرًا ما تحدث ، كانت المهمة أن يتحرك بعدد (١٢) لوريا من معسكر هاكستيب إلى مكان بالقرب من المستشفى العسكرى العام فى كوبرى القبة ، ليعمل كنقطة (تجمع للأسرى) والذى سيسلمه هذه اللوريات الضابط عبد القادر مهنا ، وسوف يحضر إليه ضابط آخر لتحديد ساعة التحرك بهذه اللوريات ، والتواجد عند المستشفى العسكرى العام ، وعندما ذهب إلى المعسكر صباح (٢٢) من يوليو وجد أن أحد الضباط النوبتجية لم ينم فى المعسكر فانتهزها فرصة وجمع الضباط وأبلغهم أنه تكفيرًا عن هذا الخطأ سوف ينام الجميع بالمعسكر الليلة ، وفى نفس اليوم حضر ضابطان مستجدان ليتسلما عملهما وحدثته نفسه بأن يعطيهما إجازة لمدة ٢٤ ساعة ولكنه لم يفعل ، وقال : لعلهما فيما بعد يفخران بأنهما فى أول يوم من خدمتهما اشتركا فى الانقلاب ، وفى المساء وصله خبر من الضابط عبد القادر مهنا بأن اللوريات جاهزة لكى يمر ليتسلمها ، ثم حضر الضابط زغلول عبد الرحمن حوالى التاسعة مساء وأبلغه أن ساعة (س) هى (١٢) مساء وأن كلمة السر هى (نصر) ، ولكنه حوالى ١١ مساء أبلغ بأن قائد الفرقة اللواء عبد الرحمن مكى طلب عربته وسوف يحضر إلى المعسكر لوجود حالة طوارئ ، فعجل بالخروج من المعسكر قبل مجيء قائد الفرقة وكان عدد الجنود ثلاثين جنديا كلهم شئون إدارية وزعهم على ثلاث عربات بكل منها عشرة جنود ، وأمر الضابط زغلول عبد الرحمن بالركوب مع الجنود فى اللورى الخلفى وطلب من الضابط عبد المجيد شديد الركوب معه فى العربة الأمامية ، وعند تحركه حوالى الساعة الثانية عشرة مساء إلا ربعا تقريبًا ، وأمام معسكر (هاكستيب) ظهر اللواء عبد الرحمن مكى وأراد إعادة العربات لكن سارع إليه ضابطان وشهرا فى وجهه السلاح فاستسلم وقال لهما : إنه سوف يزوج ابنته غدا وانضم إلى ركب السير معتقلاً، استأنفوا السير مارين بأماكن عسكرية حساسة ، فلم يعترضهم أحد ولم ينضم إليهم أحد مما جعل الشك فى الأمر يلازم القائمقام يوسف صديق ، وعند مشارف مصر الجديدة توقفت اللوريات ، وكان الذى أوقفهم قائد ثانى الفرقة العميد عبد الرءوف عابدين الذى سبق أن تلقى أوامر من السيد اللواء عبد الرحمن مكى بضرورة التوجه إلى معسكر هاكستيب لوجود حالة الطوارئ ، فلما وصل هاكستيب أبلغه أحد الجنود أن هناك حالة طوارئ وتحرك لذلك السيد قائد اللواء ، فأسرع العميد عبد الرءوف عابدين ليلحق بالعربات فلحقها ، وعند وصوله إلى جهة المقدمة ، ليكلم اللواء نادى عليه اللواء عبد الرحمن مكى وأمره بالانضمام بعربته ، وفجأة وجد نفسه محاطا بالمسدسات من كل جانب ولم يستطع المقاومة واتجهت العربات إلى وسط مصر الجديدة ، دون أن نشاهد أى تحركات مما أدخل الشك فى يوسف صديق مرة أخرى . فأمر السائق بالتزام طريق جانبى ليتصل هاتفيا بمنزل البكباشى جمال عبد الناصر ليستطلع جلية الأمر ، وما إن اصطفت العربات فى الطريق الجانبى حتى سمع

جلبة ونقاشا فنزل ليتبين ما حدث ، فإذا بالضباط والجنود يحيطون باثنين يرتديان الملابس المدنية ، كانا قد اقتربا من القول فى حركات مريبة ، وما إن اقترب منهما يوسف صديق حتى تبين أنهما البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر ، فأعلن لهما تعجبه من عدم تحرك أى قوات ، فأبلغاه أنهما كانا يريدان الذهاب إليه فى معسكر هاكستيب ليخبراه بإيقاف التحرك لما أعلنت حالة الطوارئ حيث علمت رئاسة الجيش بنية الضباط بعمل الانقلاب . وهنا سألهما يوسف صديق وماذا أفعل الآن وقد قبضت على اللواء عبد الرحمن مكى والعميد عبد الرءوف عابدين ؟ فأجابه جمال عبد الناصر بأنه أطلعه على ما حدث وانصرفا مما جعل يوسف صديق يقرر شيئًا واحدًا وهو التقدم بمن معه من جنود إلى رئاسة الجيش ، وأمر الجنود فى اللورى الأول بسد الطريق الموصل إلى العباسية فانبطحوا على الأرض وسدوا الطريق ، ثم سد طريق كوبرى السيوف وطريق مصر الجديدة بعشرة جنود آخرين ، وبدأ هجومه بالعشرة الباقين على رئاسة الجيش وتبادل مع حراسها النيران فاستسلموا فورًا واعتقلهم جميعًا لكنه لم يستطع الصعود ، وفجأة شاهد جنود شرطة عسكرية قادمين من اتجاه العباسية فاعترضهم الضابط عبد المجيد شديد بالجنود العشرة المنبطحين واستطاع القبض على الضباط أما الجنود فاستخدمهم يوسف صديق فى اقتحام مبنى رئاسة الجيش ، فتم له ذلك وصعد إلى الدور الثانى ، وفى غرفة رئاسة الجيش أبصر خلف الزجاج سعادة الفريق حسين فريد ، وهو يستعد للدفاع عن نفسه ، فأمره ومن معه بتسليم ما معهم من أسلحة ففعلوا » .

(١٢)

على أى الأحوال فإن هناك موقفًا آخر لا يقل شجاعة عن هذا الموقف ليوسف صديق وقد أورد عبد المنعم عبد الرءوف قصته فى صفحة ١٢٣ وهو يحكى عن أيام اعتقالهما فى أول الثورة فيقول : « فكر القائمقام يوسف صديق فى الإضراب عن الطعام ، ونفذ الإضراب وامتدت العدوى إلى البكباشى أركان حرب أبو المكارم عبد الحى ، والصاغ أركان حرب معروف الحضرى ، والصاغ أركان حرب حسين حمودة ، واليوزباشى عبد الكريم عطية وإلىّ أنا أيضًا ، فحضر قائد السجن الحربى يرجونى العدول عن الإضراب مقسمًا لى بأن المرشد الأستاذ حسن الهضيبى سبق فى محنة مارس السابقة أن زجر الإخوان المضربين عن الطعام لمخالفة ذلك للدين الإسلامى ، فصدقته وأوقفت إضرابى فورًا » .

من المهم أيضًا أن يستجلى التاريخ لنا موقف عبد المنعم عبد الرءوف من زميله أبو المكارم عبد الحى الذى عين قائدًا للإخوان الضباط عقب وفاة محمود لبيب فى ١٩٤٩ وهو يثنى عليه عند ذكر توليه هذا المنصب فى صفحة ٦٧ ولكن دور أبو المكارم يصبح هامشيا فى هذه المذكرات على الرغم من أنه اعتقل مع عبد المنعم عبد الرءوف وأوذى . . . إلخ . ولكن لابد

أن ننقل أيضًا هذه الفقرة [في ص ٢٥١] التي توضح حقيقة العلاقات بينهما حيث يقول عبد المنعم عبد الرءوف : « أول مرة التقيت فيها بأبي المكارم كانت في بيته عام (١٩٤٩) وعندئذ صرح بأنه عين مسئولاً عن حركة الإخوان الضباط فقلت له : إن ذلك أمر شاذ لأنك لم تشترك ولم تحضر أي اجتماع وتكتل للإخوان منذ بدأنا عام (١٩٤٣) فأنا أول من عرض الفكرة على حسن البنا واستمررت بها واشتركت في حرب فلسطين والقناة علاوة على تاريخي وسني ، وعرض الموضوع على عبد الرحمن السندي ، فأراد تعييني مسئولاً عن الحركة السرية للضباط ، بينما يكون أبو المكارم مسئولا عن الحركة العامة ، فرفضت هذا ، ومنذ ذلك التاريخ وعلاقتنا غير طيبة ، إنه يعمل باختياره مع المخابرات المصرية » . ويستطرد عبد المنعم عبد الرءوف ليحكي كيف حضر أبو المكارم لبيروت ؟ فيقول إنه جاء لزيارة زوجته الفلسطينية بعد أن استطعت الهروب من المحاكمة ، وكنت أنا المتهم الأول فلم تجد المحكمة بعد هروبي مدعاة لمحاكمة الباقين ، فسافر أبو المكارم إلى لبنان وما زال بها حتى الآن » .

(١٣)

ومن المهم أيضًا أن نشير إلى أن عبد المنعم عبد الرءوف لا يشير إلى خالد محيي الدين إلا مسبوقًا بلقب البطل فهو عنده في صفحة ١١٥ « الصاغ البطل » وهو صاحب الموقف الخالد الجرئ (ص ١١٤) وهكذا . . . ومن المهم ثالثًا أن نذكر أن عبد المنعم عبد الرءوف لا يكف عن تذكيرنا بأن أنور السادات لا يزال مدينا له بمبلغ تسعين جنيها (اقرأ مثلا صفحة ١٣٠) ، ولهذا فإني أعتقد أن أسرة الرئيس السادات وفي مقدمتها السيدة جيهان السادات لابد أن تفي بهذا المبلغ لورثة عبد المنعم عبد الرءوف .

(١٤)

وعلى حين يذكر عبد المنعم عبد الرءوف زوجته الأولى بكل الحب والتقدير طيلة أيامه الأولى وحتى هروبه من مصر فإنه لا يذكر لنا شيئًا عنها بعد هروبه ، ماذا فعل بها ؟ وماذا فعلت بها الأيام ؟ كل ما يذكره لنا من هذه الفترة جاء عرضا في الصفحات الأولى وقبل موعده الزمني حين ذكر أن أنور السادات كان ممتنا لكرم عبد المنعم وزوجته ، وانتهز الفرصة ليرد الجميل لها بأن حضر مع عبد الناصر زواج ابنتها (ابنة عبد المنعم) وشهدا على العقد [ص ٦١] . . ولكن فيما عدا ذلك لا نجد لهذه الزوجة ذكرا بعد ذلك .

أما زوجته الثانية فإننا نفاجأ بها وسط الأحداث التي تجرى في بيروت ، وبأبناء عمومتها في تركيا ، ويغفل عبد المنعم الحديث عن الجانب الإنساني أو الشخصي الذي دفعه إلى الزواج مرة ثانية ، كما يغفل الحديث عن زوجته الأولى تمامًا ولولا أنه يشير إلى زوجته الأولى بوصفها

بالأولى، لكان قد ضاع على القارئ تمييز الزوجتين من بعضهما . . ومع هذا فيبدو أن عبد المنعم عبد الرءوف قد نسى أن يعطى زوجته الثانية حقها من التقدير لوقوفها بجانبه فى بيروت وتركيا .

ومن المهم أن نذكر للقارئ أن خاتمة هذا الكتاب قد احتوت سؤالا وجهته إدارة التحرير لدار الصحافة والنشر الإسلامية الواقعة إلى زوج شقيق عبد المنعم عن صحة الواقعة الخاصة بقيام عبد الناصر بتهريب عبد المنعم عبد الرءوف ، وقد ألقت إدارة التحرير السؤال بطريقة محايدة ولكن هذه السيدة نفت بكثير من المنطق المرتب هذه الواقعة تمامًا : وكأنما أرادت الدار أن تثبت هذه الواقعة التى وردت فى مقال فتحى رضوان الشهير فى مجلة الهلال ومقال إسماعيل النقيب فى الأخبار ، بينما أهملها عبد المنعم عبد الرءوف تمامًا .

وهذا هو نص ما ورد فى ملحق المذكرات بقلم التحرير فى دار الطباعة والنشر الإسلامية بدءًا من ص ٣٢٤ : « وكان لزاما أمام ما نشر أن نتحرى الحقيقة لنعلنها على الناس أولاً ثم نثبتها فى ملف الفريق عبد المنعم عبد الرءوف الموجود لدينا ثانيا ، فقامت دار الطباعة والصحافة والنشر الإسلامية بإيفاد الأستاذ جابر رزق الكاتب والصحفى ، والأستاذ أحمد عيد موجه اللغة العربية بالمعاش إلى الأستاذ محمد شديد المقيم حاليا ببلدته بهناى منوفية ، وأطلعاه على ما جاء على لسان الأستاذ إسماعيل النقيب ، فذكر لهما أن المرحوم الفريق عبد المنعم عبد الرءوف لم يدخل بيته إطلاقًا ، وبالتالى يكون كل ما ذكر بخصوص المسدس ليس صحيحا على الإطلاق ، أما فيما يختص بواقعة لقائه مع المرحوم الرئيس عبد الناصر بالهند ، فقد قاما بسؤال السيدة حرمه فذكرت أنه لم يعين سفيرًا للأردن بالهند ، كما أنه لم يكن سفيرًا لها أبدًا ، وذكرت كذلك أنه لم يعين فى أى وظيفة بالأردن لا فى الحرس الوطنى ولا فى غيره ، وإنما طرد من الأردن ، لأنه رفض ما طلب إليه وهو أن يقوم بحملة ضد عبد الناصر بالإذاعة والتليفزيون الأردنى ، والقارئ لهذه المذكرات يتأكد تمامًا مما كتبه سيادته عن فترة وجوده بالأردن ، ويتأكد كذلك من صدق ما ذكرناه وأنه لم يسافر إلى سويسرا أيضًا . أما فيما يختص بواقعة التهريب خارج القطر فقد قام الأستاذ جابر رزق بإجراء حديث صحفى مع السيدة حرم المرحوم اللواء عبد القادر عبد الرءوف نورده فيما يلى :

س : اذكرى لى متى التقى بك المرحوم الفريق عبد المنعم عبد الرءوف أثناء فترة هروبه ؟

ج : هذا الكلام من سنين طويلة وليس من المعقول أن أتذكر اليوم أو الشهر إنما السنة ممكنة وأظن ذلك كان عام (١٩٥٤) . فقد اتصل بى بعد اتفاق سابق مع أخيه ولم أكن أعرفه من قبل فاتصل بى تليفونيًا ، وكان الاتفاق أن يقول لى أنا من غير ذكر اسمه ، فأخبرته أننى سأنزل وأقابله وذهبنا إلى المكان الذى تقابلنا فيه مع أخيه ، حيث كان أخوه يمتلك قطعة أرض على ترعة المنصورية والذهاب إليها يكون من قبيل التمويه ، وعاد والتقينا فى منطقة كلية

طب الأسنان وتوجهنا إلى منزل بشارع التلول ، ووجدنا أن هناك صندلة فوق الباب ليست مطروقة فمكث فيها إلى الصباح ، وكان هذا المنزل مملوكا لنسايب المرحوم اللواء عبد القادر ، وفى اليوم التالى ذهبنا بسيارة المرحوم اللواء عبد القادر إلى منزل ابنته بالدقى وكان لابسا جلبابا بلديا وفوقه بالطو ورأسه عارٍ ، ومكثنا بعض الوقت وعند خروج المرحوم الفريق عبد المنعم من منزل ابنة أخيه ، هوجم المنزل بحثا عنه بقيادة الملازم حسن أبو باشا وزير الداخلية فيما بعد ، وكان وقتها يقيم فى منزل خالة زوجها المجاور لمنزل ابنة شقيقته ، وذهبت به إلى منزل قريب لى فى مصر الجديدة وهو رجل كبير فى السن ، وكان يقيم فى عمارة بآخر دور ولا يصعد إلى الشقة إلا الساكن فقط ، وكنا موفقين فى ذلك ، وذكرت لقريبى أنه ضابط فى الجيش ومن المنشقين وضد الثورة وأنه لا يريد الظهور ، ومن حسن الحظ كان قريبى هذا رجلاً مثقفًا ومتفتحًا ، لكنه بعيد عن السياسة والإخوان المسلمين ، لذلك أخذ كلامى ثقة على أنه ضابط منشق وليس له صلة بالإخوان المسلمين لأن الحكومة كانت قد بدأت تتصرف ضد الإخوان » .

(١٥)

وفى هذه المذكرات فقرات مهمة تشير إلى نقاط حيوية فى تاريخنا المعاصر لابد لنا أن نشير إلى مواضعها كى يستأنس بها القراء والباحثون :

١ ـ تذكر هذه المذكرات الدور الإيجابى للفنان أحمد مظهر فى المحاولة التى قام بها عبد المنعم عبد الرءوف لتهريب عزيز المصرى (ص ٢٩) .

٢ ـ تعرفنا هذه المذكرات بجوانب مهمة من شخصية ونشاط عزيز المصرى (ص ٢٧ ، ٢٨ وما بعد ذلك) .

٣ ـ تقدم لنا هذه المذكرات أكثر التعريفات تفصيلاً حتى الآن فيما يتعلق بشخصية الصاغ محمود لبيب .

٤ ـ تروى لنا هذه المذكرات تكوين الخلية الأولى « للضباط » الإخوان المسلمين من سبعة هم : عبد المنعم ، وعبد الناصر ، وحسين حمودة ، وكمال الدين حسين ، وسعد توفيق شقيق زوجة حسين حمودة ، وصلاح الدين خليفة ـ صديق حسين حمودة ، وخالد محيى الدين صديق صلاح الدين خليفة (ص ٤٣) ، ويكرر هذه الأسماء بشىء من التفصيل فى ص ٤٥ و ص ٤٦ .

٥ ـ تقدم المذكرات تفصيلات مهمة عن تدريب متطوعى الإخوان بدءًا من ص ٤٧ ، وعن جهدهم فى حرب فلسطين .

٦ ـ تضرب هذه المذكرات أروع الأمثلة للوحدة الوطنية حين تتحدث عن مشاركة حارس

عبد المنعم عبد الرءوف له فى حرب فلسطين ، وهو الجندى المتطوع ألفونس جيد فانوس (ص ٥١) ويتكرر هذا مع الأمباشى ميخائيل فرنسيس فى ص ٧٥ فى اليوم الخالد ٢٦/ ٧/ ١٩٥٢ .

٧ ـ هذه أول مذكرات فيما قرأت تروى أن محمود رياض (أمين جامعة الدول العربية فيما بعد) شارك فى حرب فلسطين بالمرور مع قائد سلاح الحدود أحمد سالم باشا (ص ٥٤) .

٨ ـ فى هذه المذكرات فقرة مهمة عن طبائع الجنود العرب المشاركين فى حرب فلسطين والفروق بين المتطوعين الجزائرين والليبيين (ص ٥٥) .

٩ ـ فى هذه المذكرات إشارات مهمة إلى أدوار مهمة قام بها صلاح نصر قبيل الثورة وبعد قيامها بما يعطيه حقه ، واقرأ صفحة على سبيل المثال صفحة ٧٠ وما بعدها .

١٠ ـ هل هناك خلط بين الصاغ إسماعيل السيد عبد الوهاب (ص ٧٤) والصاغ عبد الوهاب جمال الدين (ص ٧٣) طبعًا الاسمان مختلفان ولكن لابد بالتعريف بالشخصتين حتى لا يختلط دوراهما فى أحداث ٢٦ يوليو ١٩٥٢ .

١١ ـ تذكر هذه المذكرات موقفًا نبيلاً للملك فاروق على لسان العقيد عبد الله رفعت قائد الحرس الملكى يوم محاصرة رأس التين حين يروى أن فاروقًا قال « أنا أضحى بألف عرش ولا أسمح لكلب إنجليزى أن يضع قدمه على أرض مصر ثانية » . وقد روى عبد الله رفعت هذا الموقف فى أول سبتمبر ١٩٧٥ !!

١٢ ـ يروى صاحب المذكرات بصراحة رأيا ينسبه إلى يوسف صديق بمسئولية الإخوان المسلمين عن استمرار الحكم القائم وعن شجاعته الفائقة واستعداده للتضحية بنفسه (ص١١٥) وتتكرر الإشارة مع تكرار المواقف البطولية ليوسف صديق (ص ١٢٣) .

١٣ ـ يشير عبد المنعم عبد الرءوف إلى روح يوسف السباعى النبيلة حين صافحه وتمنى له الخير على الرغم من أنه كان طعن فيه كعضو فى المجلس العسكرى الذى سيتولى محاكمته (ص١١٨ وص ١١٩) .

١٤ ـ يشير عبد المنعم عبد الرءوف إلى انضمام سيد سابق إلى عبد الناصر فى التشكيك فى صلاحية الأستاذ الهضيبى لمنصب المرشد (ص ١١٩) .

١٥ ـ فى هذا الكتاب تحليل جيد لشخصية هنداوى دوير ، وفى صفحتى ١٦٦ و ١٦٧ يشير إلى اللقاء به ويبدى رأيه فيه بأن هنداوى «طيب القلب ، وكثير التدخين ، ضعيف الإرادة وعصبى المزاج وثرثار ، قوى التحمل نوعا ما ، سريع اليأس » .

١٦ ـ يتحدث فى صفحة ٢٠٩ بإبهام عن ضغط الحكومة الأردنية للعمل معها ضد عبد

الناصر تارة بالتلميح وتارة بالتصريح ، كما يتحدث عن عرض إنجليزى بمنصب عسكرى رفيع فى كينيا ص ٢١١ .

١٧ ـ يشير إلى قيام الأخ الأستاذ نجيب جويفل بالتوسط بينه وبين السلطات المصرية دون أن يعرفنا به أو بعلاقته به (ص ٢١٤) .

١٨ ـ يذكر لنا أن مظاهرة من عشرة آلاف شخص قامت فى الخرطوم تأييدًا لعبد الناصر فى قرار إعدام سيد قطب ورفاقه (٢٣٩) .

١٩ ـ يشير إلى لقاء مهم (لم يُشر إليه كثيرًا) بين ثروت عكاشة والملك فيصل فى روما قبل حرب ٦٧ (ص ٢٤٦) .

٢٠ ـ يشير إلى إشاعات غير موثقة عن أن عبد الحكيم كان ينوى القبض على جمال عبد الناصر بعد حرب ٦٧ ، ولكن صلاح نصر أبلغ الخبر إلى عبد الناصر ، وذهبت قوة من الفدائيين للقبض على عبد الحكيم عامر ومرتجى ، وأن عامر أصيب بسبع رصاصات فى جانبه الأيسر كما تعرض مرتجى للقتل .

٢١ ـ فى صفحة ٢٥٤ يذكر عصام العطار بأنه سبب نكبة الإخوان فى سوريا وأن له ميولا بعثية عفلقية ، وكان عضوًا فى حزب البعث .

٢٢ ـ على حين أنه يرى أن صدقى محمود وجمال عفيفى ضابطان ممتازان فإنه يجاهر بأن عبد الحميد الدغيدى وشقيقه عبد الحكيم الدغيدى سيئان . . . . (ص ٢٦١) .

(١٦)

وهذه بعض الملاحظات المهمة على هذه المذكرات لابد أن يؤشر بها القارئ على هذه المذكرات قبل أن ينقل عنها أو منها حتى تصبح أقرب إلى الدقة ، وللأسف الشديد فإن صاحب المذكرات قد انتقل إلى رحمة الله فلم يعد فى مقدوره تبين وجه الصواب فيها :

١ ـ فى الفقرة الثانية من صفحة ٢١ يتحدث عن المدرسة الإسماعيلية ويبدو أنه يتحدث عن السعيدية ، أو ربما كان قد نقل إلى مدرسة أخرى ولكنه لم يحدثنا عن هذه المدرسة من قبل .

٢ ـ فى الفقرة الأولى من صفحة ٢٤ تأتى جملة : « وكان يكتفى مدرب الكرة بكتابة اسم الأسد دون ذكر اسمى » وهو بالطبع يقصد « وكان مدرب الكرة يكتفى » ولا أعرف هل لهذا التقديم والتأخير مقصد أم أنه مجرد خطأ . . . أو سوء صياغة . . لا أريد أن أذكر للقارئ أن مذكرات شهيرة لأحد وزراء الثورة [نقدتها فى كتابى : مذكرات وزراء الثورة] كانت دائمًا ما تصوغ الجمل هذه الصياغة الركيكة ، وربما أكون أنا العاجز عن إدراك سر البلاغة فى مثل هذه الصياغات .

٣ ـ فى صفحة ٢٦ يذكر اسم زميل دفعته : عبد المنعم رياض على أنه محمد عبد المنعم رياض بينما هو عبد المنعم محمد رياض ، ويتكرر إضافة محمد أمام قبل كل اسم كما يحدث مع محمد أمين هويدى فى ص ٤٤ ومحمد إبراهيم عطا الله فى ص ٤٠ ومحمد مذكور أبو العز فى ص ٣٣ .

٤ ـ فى صفحة ٢٦ يذكر أن رشاد مهنا لم يفرج عنه فى المرة الأولى إلا فى ٢٧/ ٤/ ١٩٥٦ (اعتقل فى ٢٣/ ٧/ ١٩٥٣) بينما يرد فى نص هذه المذكرات نفسها أن عبد الناصر أفرج عنه قبل ذلك ، كذلك فإن المذكرات لم تشر إلى فترة اعتقاله الأولى قبل الثورة حين اتهامه فى قضية المنشورات فى عام ١٩٤٦ فهل لم يعتقل مع أنه كان المتهم الأول ؟ الجواب أنه اعتقل ومعه عبد المنعم نفسه (راجع ص ٦٢ من المذكرات نفسها) .

٥ ـ فى الفصل الخامس يبدأ الحديث بالتحديد من ٢٥/ ٤/ ١٩٤٨ ولكنه أثناء الحديث يعطف عليه « وفى منتصف شهر مارس ١٩٤٨ . . . » وكأن هذا الفصل يحتاج إلى إعادة الترتيب ليمضى الزمن مستقيماً .

٦ ـ لا أعرف هل المقصود فى الفقرة الثالثة من ص ٥٢ أن هذا البدوى كان يجيد اللغة العربية أم إن الصواب « العبرية » لأنه استطاع فك الشفرة . . . . إلخ .

٧ ـ يؤسفنى أن المذكرات تقع فى الخطأ الشائع الذى يقع فيه كثيرون ولكنى وقد كنت أظن الأستاذ أحمد عيد موجه اللغة العربية لا يترك هذا الخطأ يمضى من دون تصحيح بإدخال الباء على الأمر الجديد لا على المتروك مما يعكس المعنى (راجع السطر الأول من صفحة ٦٤) .

٨ ـ فى صفحة ٧٦ وفى الأمر الموجه من القائمقام أحمد شوقى قائد قسم القاهرة خطأ ظاهر فى تاريخ الأمر المقيد على أنه ١٨/ ٧/ ١٩٥٢ (!!!) أى قبل قيام الثورة بخمسة أيام أم إن هذا من باب « الإجراءات العسكرية » . . لست أدرى .

٩ ـ تبدو الفقرة الثانية فى ص ١١٥ غير مترابطة ويبدو أن حذفًا قد حدث فى وسطها بحيث أصبح ضمير المثنى حائرًا وهو يبحث عمن يعود عليه .

١٠ ـ فى صفحتى ١٤٩ و ١٥٠ يبدو أن عبد المنعم عبد الرءوف يدفع وجهة نظر ما بوجهة نظر أخرى فيما يتعلق بعلم عبد القادر عودة بهربه . . ولا أدرى على مَنْ يرد بهذه الفقرة فالسياق غامض ، وفى حاجة إلى توضيح لأن معلوماتى التاريخية عن هذه الفترة تحول بينى وبين الفهم الكامل لها .

١١ ـ فى صفحة ١٦٥ يبدو السياق منقطعا بينما هو متصل ويبدو أنه خطأ من المونتاج بعد حذف ثلاثة سطور أو فقرة قصيرة .

١٢ ـ فى صفحة ٢٥٢ تأتى الفقرتان الخامسة والسادسة بمثابة إجابة على سؤال غير موجود ، وليس للإجابة علاقة بالموضوع السابق .



الفصل الخامس

فى الثورة والدبلوماسية

مذكرات جمال منصور

(١)

هذه مذكرات من نوع خاص كتبها واحد من الضباط الأحرار عاش حياته مرتين ، وهو يعيش حياته الآن للمرة الثالثة ، فقد كان واحدًا من الذين بدأت بهم تنظيمات الضباط من أجل الخلاص قبل ثورة ١٩٥٢ ، ثم بدأ حياة أخرى بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حيث كان قد تخرج فى قسم العلوم السياسية من كلية التجارة بجامعة القاهرة والتحق بالسلك الدبلوماسى من بدايته وتدرج فى وظائف هذا السلك حتى أصبح وكيلاً أول لوزارة الخارجية المصرية عند بلوغه سن التقاعد ، وعلى هذا النحو سنقرأ فى هذه المذكرات وفى هذه الحياة تاريخًا ممتدًا لصورتين من صور الحياة المصرية المعاصرة ، صورة الحياة فى سلاح الفرسان وما حفلت به هذه الحياة من ثورة بدأت كامنة ، ثم اضطربت وقادت إلى الثورة ، ثم ثارت على الثورة نفسها فيما عرف بأزمة مارس ١٩٥٤ ، بل وقبلها حين كانت هناك مقدمات للاعتراض الواضح والاختلاف المعلن بين مجموعة متميزة من سلاح الفرسان وبين قيادة الثورة متمثلة فى مجلس القيادة الشهير.

ومع هذا فإن هذا الكتاب لا يتجاوز فى حجمه الكتب المتوسطة ، ولكنه كتب بطريقة جميلة ودقيقة فى نفس الوقت ، وقد كان أبرز تكنيكات الكتابة فى الجزء الثانى المتعلق بالدبلوماسية حيث كُتب هذا الجزء على طريقة اللقطات المتتالية غير المترابطة ، فوفر المؤلف على نفسه الجهد الذى كان مطلوبًا منه أن يبذله لو أنه اضطر إلى تعقب الأحداث كلها وروايتها فى خيط واحد متواصل ، أما الجزء الأول من هذا الكتاب فإنه على النقيض من الجزء الثانى جاء متواصلاً ومتصلاً وكأنما كتبه المؤلف مرة واحدة . . ولا ريب أن هذا الكتاب قد أفاد من هذين الأسلوبين فى كتابة كل من الجزأين ، فقد كان كل جزء منه بحاجة إلى الأسلوب الذى كتب به .

(٢)

فى الباب الأول من هذه المذكرات يقدم لنا جمال منصور بعدًا اجتماعيًا ونفسيًا جديدًا فى فهم العوامل التى قادت إلى الاقتناع بالثورة ، أو قل الاقتناع بالتغيير فلم تكن كلمة الثورة قد تمكنت يومها من الواقع ولا من الخيال ، هذا البعد الذى ينبهنا إليه جمال منصور فى رفق شديد هو ذلك الإحساس المتأرجح بين المكانة والمهانة الذى يجابه الشبان « الأطهار » حين يبدءون العمل فى جو أقل طهرًا أو أكثر مدعاة إلى الفساد أو الإهمال أو الضياع ، ونحن جميعًا نعرف أن العوامل النفسية تلعب دورها الأقوى حين ينتقل الإنسان من مقاعد الدرس إلى مقاعد العمل ، وحين يتحول من طالب علم إلى موظف مسئول ، فما بالنا بهذه المجموعة وهم يلحقون بعد تخرجهم من الكلية الحربية مباشرة بسلاح الفرسان ، ولن نلخص للقارئ موقف جمال منصور وزملائه يومها ولن نستعرض هذا الموقف ، وإنما سننقل للقارئ هذه الفقرات الجميلة التى يروى بها هذا الموقف حيث يقول : « كان نصيب سلاح الفرسان فى دفعة (٣٠ يونية ١٩٤٤) اثنى عشر ضابطًا من أوائل الدفعة من بين أبناء الطبقة المتوسطة ، وذلك لأول مرة فى تاريخ هذا السلاح الذى كان وقفا على أبناء طبقة لا علاقة لها بباقى الطبقات ، وبعد مقابلة مع أركان حرب سلاح الفرسان ، توجه الضباط الجدد إلى آلاى الخيالة للبدء فى تلقى « فن الفروسية » فى فرقة كانت تسمى فرقة «الركبدارية » ، دخلنا إلى مكتب أركان حرب آلاى الخيالة، ولم يكن بمفرده فى المكتب، بل كان معه عدد من قدامى الضباط الفرسان . وتصورت لأول وهلة أننى أخطأت الطريق ، فقد رأيت وجوها لم آلفها ولغة لم أسمعها ، كلمة بالعربية وأخرى بالفرنسية ، وضحك واستهزاء بكل قادم جديد ـ أعنى بكل ضابط مستجد ، ووجد أركان حرب الآلاى ومَنْ معه من قدامى الضباط الفرسان أن الفرصة سانحة لمزيد من التسلية بهذه المجموعة من مواطنى الدرجة الثانية ، وأمعن فى طرح الأسئلة المحرجة قاصدًا من ورائها إشعارنا بأن انضمامنا إلى سلاح الفرسان يعتبر شرفا لا نستحقه ، وتقبلنا كل هذا على مضض ، فقد عودتنا العسكرية على احترام «الأقدمية » ، وكان علينا أن نذعن للأوامر ، وجاء موعد الطابور الأول ، وكان فى السادسة صباحًا ، وحضر إلينا أركان حرب الآلاى ممتطيًا صهوة جواده كأنه فارس من « العصور الوسطى » ، وأراد أن يظهر أهميته أمام هذا الجمع الجديد ، فجعل جواده يرتفع به إلى أعلى ثم يهبط ، ويجرى أمامنا ويميل يمينا ويسارًا فى حركات أشبه بحركات رعاة البقر ، لكننا عرفنا فيما بعد أن هذا هو ما كان يسمى « بفن الفروسية » ، وبدأ الشاويش فى إلقاء الدرس الأول فى فرقة « الركبدارية » ، فشرح لنا التكوين الجسمى للحيوان الذى كان أمامنا ، وانتهى بقوله « كل ده اسمه حصان » ، فلم نتمالك أنفسنا من الضحك ، وهنا ثار أركان حرب الآلاى واعتبر أن هذه إهانة أصابت فن الفروسية فى الصميم ، كان نصيبنا « داخلية » عنيفة أظهر فيها « الركبدار » مقدرته على التعبير بلغة لم نألفها .

وسارت الأيام متثاقلة فى بطء ونحن فى دوامة اليأس بين شرح « التعليمجية » من صف الضباط من جهة ، وسخافات أبناء الطبقة المميزة من قدامى ضباط الفرسان من جهة أخرى ، وكنا نراهم فى كل صباح وقد ارتدى كل منهم ملابس الفروسية وامتطى صهوة جواده ممسكا بعصا طويلة « الأمشة » ، وكان المفروض أن يستخدم هذه العصا لتسيير حصانه ـ ولكنه كان فى أغلب الأحوال يستخدمها ليبطش ويضرب وينزل غضبه على « المراسلة » إذا تأخر فى «شد» الحصان ، أو تلكأ فى خلع حذاء سيده (!) بعد عودته من طابور الصباح . وكان لنا أن نمر بهذه التجربة الجديدة مع هذه المجموعة من فرسان العصور الوسطى فى بداية عهدنا بالجيش ، ولعلنا نقول إن الصورة قد اهتزت أمامنا ، وأدركنا أن عملنا الجديد فى الجيش لا يتعدى إعدادنا للخروج إلى الشوارع فى الاحتفالات السعيدة والحزينة ، لنساهم فى الزخرفة التى تتطلبها مثل هذه المناسبات . . وكنا نلتقى للإفطار فى ميس الفرسان بعد الطابور الأول . وكان من بين « الدفعة » أربعة من الضباط الشبان أحسوا معا بالواقع الأليم الذى يعيشون فيه ، وشعروا معا بخيبة الأمل تملأ قلوبهم ، كان هؤلاء الأربعة هم : سعد عبد الحفيظ ، مصطفى نصير ، عبد الحميد كفافى ، جمال الدين منصور ، ولعل خيبة الأمل هى التى جعلتنا نقترب من بعضنا ونتحدث بعض الوقت . . ثم دفعتنا غيرتنا على وطننا وجيشنا إلى حديث أكثر تفصيلاً وأدق تعبيراً . وانتهت فرقة « الركبدارية » ، وشعرنا بأننا قد تخلصنا من هذا العبء الذى كان جاسما على أنفاسنا مدة ستة شهور ، وذهبنا إلى رئاسة سلاح الفرسان لكى يتم توزيعنا على الآلايات المختلفة ـ وكان نصيب الآى الدبابات اثنين منا (سعد عبد الحفيظ ، وجمال منصور) وآلاى السيارات اثنين (مصطفى نصير ، وعبد الحميد كفافى) . والتقينا يوما فى أرض الطابور ، وكان حديثًا صريحا يجمع أربعة ضباط من دفعة ١٩٤٤ وواحداً من دفعة قبلنا ، وتحدثنا طويلاً ولم يكن حديث الغرباء ، بل كان كل منا منسجما مع الآخرين كأن كلا منا يقرأ ما فى قلب أخيه ، وكانت الفكرة التى سادت عقولنا جميعا هى رفض الأوضاع السائدة فى الجيش والبلد ، والعمل على تغييرها ، وأن التغيير لن يأتى إلا بالقوة ، والجيش هو صاحب هذه القوة . واتفقنا على أن نلتقى معا لنبحث الأمر من كافة جوانبه ونضع بأنفسنا خطة العمل ، كنا خمسة من سلاح الفرسان : عبد الحميد ، جمال ، مصطفى ، سعد ، حلمى ، واجتمعنا فى بداية الأمر فى منزل مصطفى بالسيدة زينب فى شارع الكومى وكان منزلا فسيحا ، ورغم كونه فى قلب الزحام إلا أنه لم يكن موضع مراقبة أو شك ، وبدأنا الحديث ـ وكانت الفكرة التى تدور فى ذهن كل منا واحدة هى « الثورة » ، أما طريق الإعداد لها ، فقد أخذ منا الكثير من اللقاءات ، وفى كل مرة نلتقى كنا نجد أن آراء جديدة قد قفزت إلى أذهاننا ، ولكن الحماس كان يدفعنا جميعا إلى بداية العمل الجدى ، وكان ما توصلنا إليه هو أن نبدأ أولا بتكتيل الضباط حول حركة واحدة لا تبغى سوى صالح هذا الوطن » .

(٣)

ومن أهم الفقرات فى هذا الكتاب تلك التى يعبر بها المؤلف عن النشاط المبكر لتنظيمهم ، وليس فى وسعنا أن ننقل كل هذه الفقرات للقارئ هنا ، ولكن القارئ يستطيع أن يعود إلى هذه المذكرات ليقرأ هذه الملحمة وسنكتفى بأن نورد إحدى الفقرات التى تحتاج شيئًا من التأمل فى طبيعة المجموعات الصغيرة حين تنذر نفسها لهدف نبيل :

« انطلقت المجموعة الأولى بأفرادها الخمسة تسعى إلى الجيش بأسلحته المختلفة ، بادئين بسلاح الفرسان وأود أن أعترف هنا أن ضم بعض الضباط إلى الحركة كان أشبه بعبور حقل من الألغام أو سد منيع فى علو الجبال ، ولكن على الجانب الآخر ، كان هناك البعض الآخر الذى يقتنع بالفكرة بمجرد الحديث إليه ويدخل ضمن المجموعة ويواظب على اجتماعاتها ويقدس مواقيتها ولقاءاتها » .

وفى وسع القارئ أن يعود إلى كتاب جمال منصور ليقرأ تفصيلات مهمة فى حركة زملائه ، وكيف بدأت هذه المجموعة تكتل زملاء من أسلحة الجيش المختلفة ، وقد أصدقنا جمال منصور القول فى الفقرة السابقة بأن الأمر كان يتراوح بين أن يكون شبيها بعبور حقل الألغام فى حالة بعض الزملاء وبين أن يقتنع البعض الآخر بالفكرة بمجرد الحديث إليه عنها ، ويروى لنا المؤلف كيف أمكن لهذه المجموعة أن تشترى آلة الرونيو وأن توفق إلى من يتولى كتابة المنشورات على الآلة الكاتبة ، وكان أحد الشبان المتحمسين وكان يعمل فى مكتب القطان للمحاسبة (محمد شوقى عزيز) ، كما يروى لنا بعد ذلك المصاعب التى واجهت توزيع هذه المنشورات وإرسالها بالبريد . ويحدثنا عن النجاح الكبير الذى حققته المنشورات ، كما يحدثنا عن الالتقاء بضباط المدفعية ، وأن محسن عبد الخالق كان أول هؤلاء ، وقد تبعه بعد ذلك فتح الله رفعت ، وأبو الفضل الجيزاوى ، وأمين مظهر ، وأبو اليسر الأنصارى . . إلخ . ويروى لنا المؤلف قصة زيارة مصطفى كمال صدقى وبصحبته رشاد مهنا (ص ٢٢) لأحد اجتماعات الجماعة فى منزل عبد الفتاح أبو الفضل ، وكيف كان مصطفى كمال صدقى يعتقد فى ضرورة ضم بعض الصولات وصف الضباط (بل أكبر عدد منهم) نظرًا لأنهم كانوا يمثلون عصب بعض الأسلحة ، فضلاً عن أن بعضهم من أنصاف المتعلمين الذين يشعرون بمرارة كبيرة وعقد نفسية تجاه القيادات المختلفة ، ويصرح جمال منصور برأيه فى مصطفى كمال صدقى وأنه كان متهورًا إلى حد عدم التقدير ، ويضرب على ذلك مثلاً بقصة الصول جمال الذى ضمه إلى الحركة فذهب إلى النقراشى باشا رئيس الوزراء وصار جاسوسًا على الحركة مما أدى إلى القبض على مجموعة من الضباط وإحالتهم للنائب العام ، وها هو جمال منصور يحدثنا عن موقفه وموقف زملائه من هذه المحنة فيقول : « وبدأ النائب العام فى مهمته فى استجواب الزملاء

واحدًا بعد الآخر ، وكان الصول جلال يتعرف على كل شخص منهم ليؤكد علاقته بالحركة ، وأنه الشخص الذى تعرف عليه فى منزل مصطفى صدقى فى المعادى ، واستمرت الأسئلة والاستجوابات أيامًا طويلة وليالى ، ولم يكن هناك بالقطع ما يدين هؤلاء الضباط ، فأخذ النائب العام فى التحقيق من زاوية أخرى ، وبدأ فى إعطاء حصة إملاء لكل ضابط لكى يتعرف على خطه ، لكى يقارن خبير الخطوط فى وزارة الداخلية ما كتبه الزملاء فى حصة الإملاء بما جاء بالخطوط الموضوعة على ظروف الخطابات التى كانت تحمل المنشورات إلى ضباط الجيش ، وقد كانت المقارنة فيها بعض التشابه ، ولكنها ليست بالدليل القاطع على أن منهم من قام بكتابة العناوين التى وردت على ظروف المنشورات ، ومع ذلك اجتهد النائب العام كثيرًا لكى يظهر للسراى أن هناك شيئًا ما يربط بين هؤلاء الضباط وبين ما جاء فى المنشورات ، وكان عطا الله باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش يسعى لتأكيد هذه الرابطة ، أملا فى أن يقضى على الحركة التى ظهرت فى الجيش وأظهرته أمام الملك بمظهر القائد الضعيف الذى لا يعرف شيئًا عن الجيش وعن خباياه وحركاته السرية التى تهدد كيان الجيش وتهدد الملك ونظام حكمه ، وكان عطا الله باشا يسأل فى كل يوم عن نتيجة التحقيق ، وعما إذا كانت الرابطة قد ظهرت بين هؤلاء الضباط والحركة التى كانت قائمة فى الجيش » .

« علمت فى نفس الليلة بأمر القبض على العزيزين مصطفى نصير وعبد الحميد كفافى . وكنت فى ذلك الوقت قد تم نقلى أنا ومصطفى نصير من سلاح الفرسان إلى سلاح الحدود ، وذلك بأمر قائد سلاح الفرسان اللواء سعد الدين صبور الذى كان غير سعيد بوجودنا فى السلاح ، أو وجود أى ضابط له رأى من قريب أو بعيد ، وقد سبق أن تناولته المنشورات بكثير من التهكم والهجوم عليه ، وقال لى مرة باللغة الإنجليزية « سوف أنقلك إلى سلاح الحدود » ، وتم نقل نصير إلى مرسى مطروح ، أما أنا فتم نقلى إلى محطة الجبل الأصفر تمهيدًا للنقل إلى الصحراء (الكونتلا) فى غضون شهرين بعد ذلك . وركبت قطار « المطرية » فى طريقى إلى مكان عملى الجديد ، فالتقيت بالملازم أول السيد جاد ، واقترب منى وقال لى بكثير من القلق إن الزملاء قد تم القبض عليهم فأجبته بأننى أعلم بذلك . فقال لى : يجب أن تكون حريصًا لأن البوليس السياسى يعمل جاهدًا على إلقاء القبض على كل من تحوم حوله الشبهة من الضباط ، فقلت له : إن القبض على مصطفى نصير وعبد الحميد كفافى يعنى فى نظرى توقف نشاط الجماعة مؤقتا إلى أن تتضح الأمور . ومرت عدة أيام وأنا أترقب أن يتم القبض علىّ فى أى لحظة نتيجة للتحقيق مع الضباط المقبوض عليهم ، أو لأى قرينة قد يجدها المحقق لكى يلقى القبض علىّ أو على غيرى من زملاء الحركة ، ومرت أيام قليلة وكأنها الدهر بأكمله ، ونحن لا نعلم أى جديد عن الزملاء المقبوض عليهم ، وفى مقدمتهم مصطفى نصير وعبد الحميد كفافى . وكان علىّ أن أجتمع بباقى الجماعة المؤسسة ـ سعد وحلمى ـ بأى شكل

لكى نتصرف إزاء ما حدث ولنتدارس ما يمكن أن نقوم به لمساعدة الزملاء المقبوض عليهم .
والتقيت مع الأخ سعد ، واتفقت معه على أن نقوم بكتابة منشور جديد باسم ضباط الجيش ، أى بنفس الاسم الذى كانت تُذيل به المنشورات منذ أن نشأت الحركة وإلى حين القبض على الزملاء ، واتفقت معه على نقاط المنشور ، وكانت تنصب على إحداث الفرقة بين الملك ورجله الأول فى الجيش « عطا الله باشا » الذى كان متحمسا كما سبق أن قلت لأن يظهر بمظهر البطل القادر على ردع أى حركة فى جيش مولاه ، فضلاً عن أن كتابة المنشور أثناء وجود الزملاء وراء القضبان سوف تجعل النائب العام فى حيرة من أمره ، لأن القبض على هؤلاء الضباط كان يعنى إيقاف أى نشاط للحركة الذى كان يتمثل بصفة خاصة فى المنشورات ، فإذا ظهر أى منشور فى هذا الوقت ، فإن ذلك سيجعل النائب العام يعتقد أن هناك أفرادًا آخرين ما زالوا خارج القضبان ويجب القبض عليهم حتى يأخذ التحقيق دوره كاملاً ، وحتى تضيق الدائرة على كل من ساهم فى هذه الحركة ، ونشط البوليس السياسى نشاطًا خطيرًا ، وكنا نجد أثناء ذهابنا أو عودتنا الكثير من المخبرين بجانب صناديق البريد وفقًا لتعليمات النقراشى فى ذلك الوقت ، لكى يلقوا القبض على كل مَنْ يشتبه فيه حينما يقترب من صندوق البريد ، فضلاً عن ازدياد التعاون بين البوليس السياسى ، ومخابرات الجيش بحثا وراء البقية الهاربة من يد العدالة » .

« وفى تلك الظروف القاسية ، وفى ظل حركة الإرهاب التى كان يقودها البوليس السياسى بالتعاون مع عطا الله والمخابرات الحربية ، كان لابد لنا أن نتحرك مهما كانت النتائج ، آخذين فى الاعتبار أن أى نشاط من باقى أفراد « الجماعة » سوف يأتى بنتيجة ما ، وإذا ساءت الأمور وجاوزت مداها فإن نهاية المطاف هى أن ننضم إلى زملائنا وراء القضبان ، وهذا ما كان يجول بخاطرنا فى بعض حالات اليأس ، وفى يوم خميس كنت فيه ضابطا نوبتجيا لسلاح الحدود فى محطة الجبل الأصفر ، دخلت إلى مكتبى وبدأت فى كتابة المنشور على النحو الذى اتفقت عليه مع الزميل « سعد » . وانتهيت من كتابته فى الثالثة من صباح الجمعة بعد أن أودعت فيه ما كان لى أن أودعه دفاعًا عن أصدقاء العمر وشباب الصحبة من الجماعة المؤسسة ، وركزت فى المنشور على الظهور بمظهر الولاء « للملك » كما جاء فى المنشور « لقد أقسمنا يمين الولاء . . » وأظهرت أن القبض على الضباط ما هو إلا محاولة من « عطا الله » لكى يكسب حظوة جديدة عند مولاه على حساب مجموعة أمينة من ضباط الجيش ، وكان الاتفاق بينى وبين سعد أن يحضر إلى منزلى بحدائق القبة ، لكى نراجع المنشور ، وأخذ « سعد » المنشور معه ، وذهب إلى محمد شوقى عزيز ـ فقد أصبح محل ثقتنا جميعا ـ وأعطاه المنشور الذى قام بكتابته على الآلة الكاتبة . وذهب الاثنان بعد ذلك إلى سطوح محطة مصر ، حيث تم طبع المنشور من ٥٠٠ نسخة ، حملها سعد فى تاكسى وجاء لى فى اليوم التالى فى منزلى ، وجلسنا معا ساعات عديدة لإجراء التجهيز المعهود لإرسال المنشورات ، كانت لدينا كل العناوين ، وأضفنا إليها أسماء

أعضاء مجلس النواب ، وكافة رجال الصحافة والوزراء ، وكل ما تمكنا من معرفة مكان أو عنوان له ، وبعد ساعات تعب طويلة ، استعد كل منا لكى يقوم بالعملية الأكثر خطورة ، وهى توزيع المنشورات على صناديق البريد المختلفة ، وخرجنا ليلاً نهيم على وجوهنا ، وقطعنا القاهرة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . واخترنا صناديق البريد التى لا تقع على الشوارع الرئيسية ، بل الصغيرة منها فى الأحياء الشعبية والتى كانت بعيدة عن أعين رجال الأمن والمخبرين ، كنا نمتنع عن الاقتراب من أى صندوق بريد يقف بجانبه أو بالقرب منه أى شخص ، فقد كان للمخبرين فى ذلك الوقت علامات نستطيع أن نميزها وأن نكشف صفتهم . وانتهينا من هذه المأمورية الصعبة فى فجر اليوم التالى ، وأوصلت سعدا إلى منزله فى العباسية ، وعدت إلى منزلى بالقبة ، وانتظرت الساعات الأولى من الصباح لأذهب إلى مكان عملى فى الجبل الأصفر ».

« ومر يوم ومر الثانى ، وإذا بالمنشورات تصل إلى أصحابها من الضباط وغيرهم ، وإذا بالجميع فى حالة من الدهشة والتعجب . وانقلبت حالة الخوف التى كانت تملأ القلوب إلى حالة من الشجاعة والإقدام ، والحديث عن مئات آخرين لابد أن يكونوا خارج القضبان طالما أنه لم تمض أيام على القبض على الزملاء وإذا بمنشور جديد يأتى بنفس نطاقه ونفس قوته ، وأخذت الصحف تعلق على هذا الموضوع بكثير من الاهتمام لم نشهده من قبل ، وكان للمنشور وقعه الكبير على النائب العام حيث إننا أرسلنا إليه منشوراً باسمه على سكنه ، وكان مندهشا من ذلك غاية الدهشة ، وقرأ المنشور وذهب به إلى « النقراشى » الذى كان قد وصله هو الآخر نفس المنشور ، وكان تعليق النائب العام ، أنه لا يستطيع أن يستمر فى التحقيق مع الضباط المحتجزين فقط ، بل لابد له من القبض على أربعمائة ضابط آخرين حتى تستكمل حلقات التحقيق ويعرف أبعاد ومدى الحركة ويصل للنتيجة السليمة ويرفعها إلى المسئولين . وكان للمنشور أثره البالغ على « الملك » نفسه ، لما جاء فيه من تمسك الضباط بملكهم وولائهم له ، وكان من مستشارى الملك من انتهى به الأمر بعد اطلاعه على المنشور إلى أن يرفع تقريره إلى مليكه قائلاً له بطريقة دبلوماسية : « إما الجيش وضباطه وإما عطا الله ، ولك وحدك ياصاحب الجلاله أن تقدر وتعطى الأمر بما تنتهى إليه حكمتك . . . » .

وخرجت الصحافة بعد أيام لتقول إن عطا الله قد اعتكف بعض الوقت لأنه يشكو من الكلى . وكتبت بعض الجرائد فى قالب ساخر أن الأمر الحادث لعطا الله باشا « مش كله » أى بمعنى مشكلة كبيرة وليس الأمر يتعلق بتعب فى كلى سعادته » .

« وهكذا ، كما قلت فى بداية حديثى ، فإن الأقدار كانت تحتجز بعض الصحابة خارج القضبان لكى يقوموا بعمل ما ينفع الآخرين وراء القضبان ، فيغير من اتجاه التحقيق ويغير من فكر الملك ، وسارت الأمور بسرعة مذهلة ، وكأن المائدة قد انقلبت على رجل الملك « عطا

الله » ، وجاء قرار الملك بالاستغناء عن عطا الله لأنه لم يكن أمامه حل آخر ، فقد كان الملك بين أمرين أحلاهما مر : فإما أن يستغنى عن الجيش بضباطه ، وإما أن يعفى رجله الأول «عطا الله» رغم ما كان يكنه له من محبة . وهكذا نجحت الخطة وأتى المنشور بثماره ، وفرق بين الملك وعطا الله ، وانتهى الأمر بالنائب العام بعد عدة شهور من احتجاز الضباط إلى أن يصدر الأمر بحفظ التحقيق وحفظ القضية ، وعودة الضباط إلى أسلحتهم من جديد ، وخروج الزملاء من وراء القضبان إلى الحرية والأمل ، واتفقنا على أن تنقضى فترة من الهدوء دون نشاط ، إلى أن نضع ملامح الخطوة التالية على طريق الثورة .

وكان النائب العام فى ذلك الوقت هو السيد حافظ سابق ، يعاونه السيد أنور حبيب ، وقاضى المرافعات عيسوى دبوس ، واستمر أمر النائب العام بحفظ القضية طيلة السنين منذ عام ١٩٤٧ إلى أن صدر القانون رقم ٢٤١ بتاريخ ١٦/ ١٠/ ١٩٥٢ ، بشأن العفو الشامل عن الجنايات والجنح والشروع فيها التى ارتكبت لسبب أو غرض سياسى وتكون متعلقة بالشئون الداخلية للبلاد فى المدة من ٢٦/ ٨/ ١٩٣٦ إلى ٢٣/ ٧/ ١٩٥٢ » .

(٤)

ويمضى بنا جمال منصور فى مذكراته ليؤكد لنا ما نعرفه جميعا عن الأثر الشديد الذى تركته حرب فلسطين فى نفوس الضباط ودفعتهم يوما بعد آخر إلى التفكير فى طريق الخلاص ، ويروى لنا كيف طلب منه خالد محيى الدين أن يقوم بتعريفه أو تقديمه إلى « حركة ضباط الجيش » لرغبته فى الالتقاء بأى منهم ، وحين عرض جمال منصور الأمر على الزملاء كان رأيهم أن يأتى خالد محيى الدين للاجتماع بهم ليتعرفوا عليه وعلى مجموعته ، وهكذا تم اللقاء بين المجموعتين (ص ٣٤) ويحرص جمال منصور فى هذه المذكرات التى نشرها فى ١٩٨٩ على أن يذكر لنا أن مجموعة خالد محيى الدين وجمال عبد الناصر كانت تضم خمسة أعضاء فقط (هم عبد الناصر ، وخالد ، وعبد الحكيم عامر ، وكمال الدين حسين ، وحسن إبراهيم) وأن اثنين آخرين قد انضما إليهم وهما عبد اللطيف بغدادى وصلاح سالم وأن جمال سالم قد انضم لهذه المجموعة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ حين حضر أحد الاجتماعات مع البغدادى بلا دعوة ، وأن أنور السادات انضم إليهم بترشيح من جمال عبد الناصر . . . يقول جمال منصور (ص ٣٦) بعد أن يروى هذا كله « ويتضح من ذلك أن أنور السادات لم ينضم إلى الحركة إلا قبل الثورة بشهور معدودة » ص ٣٦ ، وهى عبارة لا لزوم لها على الإطلاق . . . وبعد ثلاث سنوات (١٩٩٢) نشر خالد محيى الدين مذكراته « والآن أتكلم» وقد جاءت متفقة على هذه الأسماء التسعة أيضًا ومتفقة على الأسماء الخمسة التى انضمت فيما بعد الثورة إلى مجلس القيادة وهم : محمد نجيب ويوسف منصور صديق وزكريا محيى الدين وعبد المنعم أمين وحسين الشافعى .

إن ما يعنينا فى هذا المقام أن نؤكد على أن الحقائق ثابتة وأن طريقة عرضها تختلف من كتاب إلى كتاب ومن راو إلى آخر .

(٥)

ويحتفظ جمال منصور فى كل ما يرويه لنفسه ولزملائه بالأسبقة إلى التنظيم والعمل ، وهاهو يؤكد على هذا المعنى يقول : « ويتضح من ذلك ، أن مجموعة جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين ، لم تبدأ فى التشكيل إلا فى نهاية صيف ١٩٤٩ ، فى حين أن مجموعة الفرسان . كما تدعمها الأحداث والمنشورات والتواريخ ، قد قامت فى عام ١٩٤٥ ، وبدأت منذ ذلك التاريخ بتوعية الضباط وإلقاء الضوء على ما هو حادث فى الجيش والبلاد ودعوتهم إلى التكتل من أجل مصر ، وذلك عن طريق المنشورات واللقاءات الشخصية ، ولعل حادث عام ١٩٤٧ الذى سمى بـ « قضية المؤامرة الكبرى » والتى تم فيها القبض على ضابطين من أعضاء الخلية الرئيسية للفرسان وهما عبد الحميد كفافى ومصطفى نصير ، يؤكد أن مجموعة سلاح الفرسان كانت قائمة قبل هذا التاريخ ، وقد جاء « خالد » إلينا فى أواخر عام ١٩٤٩ وأبلغنا أنه من بين مجموعة من الضباط من ذوى الرتب الكبيرة التى ترغب فى نوع من الاتحاد معنا ، وقد رحبنا بذلك لإعطاء الحركة قوة دفع جديدة من الرتب الكبيرة ، خاصة وأن الأفكار والأهداف كانت واحدة وعلى ذلك تم إعادة تشكيل الخلية الرئيسية لسلاح الفرسان على النحو التالى : مصطفى نصير، عبد الحميد كفافى ، جمال منصور ، سعد عبد الحفيظ ، عثمان فوزى، خالد محيى الدين . واعتبرنا خالد محيى الدين ضابط اتصال لمجموعة الفرسان مع المجموعة التى ينتمى إليها من الضباط ذوى الرتب الأكبر . وقد ظل خالد كضابط اتصال بين مجموعتنا والمجموعة الأخرى ، التى أكد لنا أنها من خيرة الضباط ، وأن أفكارها مماثلة لأفكارنا تمامًا ، وأن كل ما تريده هو أن تخلق رابطة فيما بيننا فى سبيل تكتيل أكبر عدد من الضباط حول هذه الأفكار . واكتفينا من خالد بهذا الحديث ، وعملنا من جانبنا بكل إخلاص للتعاون مع المجموعة التى ينتمى إليها ، دون كثير من الإلحاح لمعرفة أسماء الضباط الذين ينتمون إلى هذه المجموعة » .

(٦)

ويؤكد لنا جمال منصور فى مذكراته ما ذهب إليه زملاؤه الضباط من قبل ومن بعد فى علاقتهم بالإخوان المسلمين وها هو يقول : « وكان الصاغ محمود لبيب ، المتقاعد منذ عام ١٩٢٤ ، هو الذى يتولى تكوين مجموعات من ضباط الجيش تنضوى تحت أهداف وفكر الإخوان المسلمين ، وكان هو الذى يدير الجلسات بحثًا فى الدين ، وحثًا على الخلق الكريم ،

وشرح القرآن بآياته ، وتم الاتصال بين الصاغ محمود لبيب من جانب ، ومصطفى نصير وعبد الحميد كفافى من جانب آخر ، وأراد محمود لبيب ضم مصطفى نصير وكفافى إلى جماعة الإخوان المسلمين ، وتمت لقاءات أخرى مع الشيخ حسن البنا ، ولكن هذه اللقاءات أوضحت معالم الطريق الذى كان يسعى إليه الإخوان تحت مظلة الدين والإسلام إلى أن تصل إلى الحكم ، وعندما سقطت وزارة النقراشى فى أوائل عام ١٩٤٦ بعد حادث كوبرى عباس وقام إسماعيل صدقى بتشكيل الوزارة ، اتخذت جماعة الإخوان المسلمين خطا سياسيًا تؤيد فيه إسماعيل صدقى وتساند مشروع صدقى - بيفن ، وتم التفاهم على تشكيل بوليس الإخوان لمحاولة تهدئة المظاهرات الطلابية والعمالية ، وخرج الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان ، فى عربة حكمدار بوليس مصر المكشوفة أملاً فى تهدئة المتظاهرين ، وحدث اشتباك بين المتظاهرين والجنود الإنجليز الرابضين وراء أسلاك وأسوار قشلاقات قصر النيل ، وسقط الكثير من الجرحى والقتلى ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ، وهو موعد الدرس الدينى الذى يلقيه المرشد العام ، فوقف الشيخ حسن البنا فى دار الإرشاد بالحلمية الجديدة ليعطى درسه الدينى فى ذاك المساء الحزين عن « غسل الميت »، وقامت مجموعة الفرسان بحل مجموعات الضباط التى كان قد كونها الصاغ المتقاعد محمود لبيب ، وتم ضم هذه المجموعات إلى تنظيم ضباط الجيش » ، ومن حق القارئ أن يسأل جمال منصور عن مجموعات الضباط التى كونها محمود لبيب وعن أعضائها وعن المصير الذى لقيته ؟

(٧)

كذلك يحدثنا جمال منصور عن علاقة مجموعته بحركة حدتو (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) وبحزب مصر القناة ، ويروى أن زميليه عبد الحميد كفافى ومصطفى نصير التقيا مع أحمد حسين الذى اصطحبهما إلى أرض الغفير لكى يستعرض شباب الحزب ، وكان هناك ما يقرب من ثلاثة آلاف شاب يأتمرون بأمره . . . . ويروى جمال منصور أن كفافى قال لأحمد حسين إنه من الأفضل تدريب جماعات صغيرة على أن يكون التدريب أكثر جدية وحيوية ، وإن عشرات من المدربين خير من الآلاف غير المدربين ، ويروى لنا جمال منصور كيف تولى كفافى وزملاؤه تدريب مجموعات من أعضاء مصر القناة وكيف جرى التعاون مع إبراهيم شكرى (ص ٤٧) الذى وافق على تخزين المفرقعات والقنابل فى عزبته فى أبى زعبل .

وفى صفحة ٤٧ وما بعدها قصة ملحمة وطنية فى التدريب على تفجير لغم بحرى فى قناة السويس ، والتدريب على هذه العملية فى الحوامدية ، وكيف لم يكتب النجاح لهذه التجربة ، وقصة السفر بقطار الدلتا إلى المنزلة وعبور بحيرتها (ص ٥٤) . . . . إلى آخر هذه المغامرة المحسوبة من أجل تحقيق الهدف القومى الكبير الذى كانت كل النفوس تبذل من أجله .

كما يروى لنا قصة الهجوم على معسكر التل الكبير وكيف قام عبد الحميد كفافى الذى يصفه جمال منصور (ص ٥٧) بأنه كان أكثرهم جرأة بتجميع بعض الأفراد الذين كانوا يقومون بالتدريب وقادهم إلى منطقة القتال وهاجم معسكر التل الكبير ونسف السكة الحديد أمام بوابة المعسكر مما أدى إلى انقلاب أحد القطارات . .

(٨)

وفى الفصل الثالث من الجزء الأول من كتابه يناقش جمال منصور ادعاءات حركة حدتو حول المنشور الوحيد الذى أصدرته تحت عنوان « أهداف الضباط الأحرار » وأنه قد جاء ببرنامج صيغت منه الأهداف الستة للضباط الأحرار ، ويجهر جمال منصور بالقول بأن هذا المنشور قد صيغت منه المبادئ الستة للثورة جاء بعيدًا عن الحقيقة (ص ٦١). أما واقع الأمر فى نظره فهو أن الخلية الرئيسية لسلاح الفرسان كانت قد وضعت بعض المبادى التى تنير الطريق أمام الثورة بعد نجاحها ، واتجهت إلى تبنى استراتيجية للثورة القادمة ، وذلك لربط التنظيم فى وقت السرية ، وبعد قيام الثورة بمبادئ ثابتة تكون الإطار السليم لنشاط الثورة فى تحقيق أمانى ورفاهية الشعب ، وقد تم وضع هذه المبادئ الرئيسية فى نقاط محددة ، وفى كلمات مختصرة وقد أعدها عبد الحميد كفافى ومصطفى نصير وجمال منصور ، وتمت دراستها وبلورتها وصياغتها بعد مناقشات مع باقى أعضاء الخلية الرئيسية للفرسان ، وكان ذلك فى منزل الصاغ عثمان فوزى ، وكانت هذه المبادئ التى وضعتها اللجنة الرئيسية للفرسان هى نفسها مبادئ الثورة الستة ، والتى جاءت فيما بعد فى كتاب « فلسفة الثورة » ، وهذه المبادئ الستة هى :

١ ـ القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة .
٢ ـ القضاء على الاقطاع .
٣ ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .
٤ ـ إقامة عدالة اجتماعية .
٥ ـ إقامة جيش وطنى قوى .
٦ ـ إقامة ديمقراطية سليمة .

وقد قامت الجماعة التأسيسية لسلاح الفرسان بمطالبة « القيادة الجديدة » بأن يتم إعلان مبادئ الثورة الستة ، ونشرها على أوسع نطاق وذلك للالتزام بكل ما جاء فيها وحتى تكون دستورًا لهذه « القيادة الجديدة » لتسير عليه فى كل خطواتها .

كما يروى جمال منصور أن الضباط أرادوا الالتقاء بالنحاس باشا عقب حريق القاهرة وأنهم

أوفدوا إليه اليوزباشي محمد محمد النحاس ابن شقيقه ، ولكن النحاس باشا لم يكن قد تفاعل مع الأحداث ولم يكن لديه الاستعداد للقيام بأى عمل حتى بتأييد من الجيش .

وفى صفحة ٦٤ وما بعدها يروى جمال منصور وقائع مهمة منها أن زملاء خالد محيى الدين قد خلوا به فى توزيع المنشورات وأنه أعادها إلى جمال منصور لكى يتولى هو ومجموعته توزيعها ، ويروى لنا التوتر الشديد الذى حفلت به الأيام التى سبقت قيام الثورة واتصالاتهم بمجموعة عبد الناصر واستدعاء اللواء عبد المنصف محمود وكيل وزارة الداخلية لمصطفى نصير مع والده اللواء عبد المجيد نصير (مفتش عام بوليس الوجه البحرى وصديق عبد المنصف محمود) وقد أدار عبد المنصف الحديث بطريقة هادئة وقال لمصطفى : « إن نشاطك معروف ويحتمل القبض عليك فى أى لحظة والأفضل أن تبتعد عن أى نشاط فى هذه الفترة » .

(٩)

ويروى جمال منصور واقعة مهمة لم يتعرض لها خالد محيى الدين فى كتابه الذى صدر بعد كتاب جمال منصور بثلاث سنوات ، بل على العكس فإن خالد محيى الدين يذكر بكل تأكيد أنهم لم يطلعوا على هذا الكشف أبدًا . وهذه هى رواية جمال منصور : « وقد تبين بعد قيام الثورة ، أن معلومات خالد محيى الدين كانت سليمة ، إذ كان هناك كشف بأسماء ١٣ ضابط جيش من الضباط الأحرار مطلوب اعتقالهم ، وقد وجد هذا الكشف اليوزباشى محمد عبد العزيز صادق (مدير عام مجلة أكتوبر حاليًا) عندما ذهب مندوبا عن القيادة الجديدة فى وزارة الداخلية فى درج مكتب اللواء محمد إبراهيم إمام ، رئيس البوليس السياسى ، وحسب رواية عبد العزيز صادق كان هذا الكشف يحتوى فى مقدمته على أسماء مجموعة الفرسان : كفافى ـ نصير ـ جمال منصور ـ سعد عبد الحفيظ ، ثم تسعة أسماء أخرى من بينهم اسم جمال عبد الناصر ، وقد قام عبد العزيز صادق بتسليم هذا الكشف إلى جمال عبد الناصر فيما بعد ، ويتضح أن أخبار هذا الكشف قد وصلت إلى مجموعة خالد وعبد الناصر مما أدى إلى الإسراع بالحركة وتقديم موعدها فقامت فى يوم ٢٣ يولية ١٩٥٢ بدلا من نوفمبر ١٩٥٢ ، وتصورت ماذا كان يمكن أن يحدث لو تأخرت الثورة بضعة أيام وتمكنت السلطات من القبض على الضباط الوارد أسماؤهم فى القائمة ، إن القبض على تلك المجموعة كان يعنى عدم قيام الثورة أو تأخير قيامها سنين طويلة إلى أن تأتى موجة أخرى من الأحرار تدفع أمامها كل تيار حتى يتحقق لها النجاح على طريق الحرية ، أما الضباط الثلاثة عشر الذين وردت أسماؤهم على القائمة ، فلم يكن أمامهم سوى أحد مصيرين : إما الإعدام رميًا بالرصاص ، أو قضاء سنوات طويلة سوداء بين الأغلال وراء القضبان ، وأذكر هنا أنه بعد قيام الثورة بعدة أيام ، اتصل بى اليوزباشى محمد عبد العزيز صادق وقال لى : « لقد كان لك فى نفسى تقدير كبير ،

ولكن عندما عثرت على الكشف الذى كان موجودًا فى درج مكتب اللواء محمد إبراهيم إمام ووجدت اسمك بين مقدمة الضباط الأحرار المطلوب القبض عليهم فإن تقديرى لك زاد كثيرًا» .

هنا ينبغى لنا أن نشير إلى أن خالد محيى الدين لا يذكر فى مذكراته شيئًا عن هذه الأسماء ويؤثر أن يقفز على هذا الموضوع حتى ليبدو أن الأسماء كانت هى أسماء ما عرف بعد ذلك بمجلس قيادة الثورة ، ولكن رواية جمال منصور تحمل من القوة ما تحمله كل دعوى يبذل صاحبها جهدًا فى إقامة الدليل عليها خصوصًا أنه نشر هذا الموضوع قبل خالد الذى لم يتعرض له بالتكذيب الصريح وإن كان قد أكد أنه لم يتم العثور على ورقة الأسماء ، ويبلور جمال منصور سر الخلاف بين مجموعته وبين مجموعة عبد الناصر بما حدث فى أحد اجتماعات سلاح الفرسان حين قال : « إن الثورة قامت من أجل الشعب ومن أجل إرساء القواعد الديمقراطية سليمة إعمالاً لأحد مبادئها الستة ، ونحن نرفض أى نظام سوى النظام الديمقراطى ، وإننا لم نخلع « فاروق » لكى نأتى فى مكانه بـ « ١٣ فاروق » (وكان عدد أعضاء مجلس الثورة ١٣ عضوا فى ذاك الحين) ، وقرب انتهاء الاجتماع فى المساء ، خرج أحد الضباط متوجها إلى مجلس قيادة الثورة (وكان على بعد خطوات من سلاح الفرسان) وطلب مقابلة عاجلة مع البكباشى جمال عبد الناصر لأمر هام جدا ، وبعد مشاورات مع الضابط النوبتجى المسئول فى القيادة ، سُمح لضابط سلاح الفرسان بالدخول لمقابلة جمال عبد الناصر ، وقص عليه تفاصيل ما حدث فى الاجتماع (وقد علمنا فيما بعد أن ضابط سلاح الفرسان الذى نقل ما حدث ليلة الاجتماع هو الصاغ صلاح عيداروس) . ودعا جمال عبد الناصر إلى اجتماع عاجل لمجلس الثورة فى نفس الليلة وتحدث عما أبلغه به الصاغ عيداروس ، وقال عبد الناصر لأعضاء المجلس : « لقد سبق أن حذرتكم من « الصف الثانى» وضرورة التخلص منه ، لأن أى عمل مضاد للثورة لن يأتى إلا على يد هذه الجماعة وها أنا أحذركم مرة أخرى من هؤلاء الضباط ، وإلا كانت العواقب وخيمة . . فلا أريد أن تهتز الكراسى من تحتكم » ، وبعد مناقشات انتهت مع حلول الفجر اتخذ مجلس الثورة قرارا بشأن اللجنة الأساسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان ، وفى اليوم التالى ذهبت إلى مكتبى فى رئاسة سلاح الفرسان، وجاء خالد محيى الدين وقد ظهرت عليه علامات الإعياء والتعب الشديدين ، فسألته : ما بالك يا خالد ؟ فأجابنى قائلاً : « لقد اجتمع مجلس الثورة بالأمس لساعات طويلة انتهت مع الفجر » فقلت له : لعله يكون خيرًا ، هل هناك أحداث بالبلد أدت إلى هذا الاجتماع المطول ؟ فأجابنى خالد بكل الوضوح : « لقد اتخذ مجلس الثورة قرارًا بإبعادك عن سلاح الفرسان ، وهذا كان أمرًا ضروريًا لأنك تتولى مركزًا هامًا فى السلاح ، أما عن باقى الزملاء فقد تقرر نقلهم إلى وحدات إدارية داخل السلاح ، فتم نقل عبد الحميد كفافى إلى الأساس ، ومصطفى نصير إلى مركز

التدريب الفنى . وأضاف خالد : إن ما حدث فى جلسة الأمس أوضح بجلاء أنه لم يعد هناك تفاهم بين القيادة وبينكم . فقلت له : إننى أنا الذى قلت إننا لم نخلع « فاروق » لكى نأتى فى مكانه بـ « ١٣ فاروق » ، وإننى إذا كنت قد قلت هذا الكلام وما زلت مصمماً عليه استناداً إلى أحد المبادئ الستة التى وضعناها قبل الثورة ، وقد رأى مجلس الثورة إبعادى عن السلاح ، فلماذا ينقل باقى الزملاء ؟! وقلت لخالد : « إنكم تناقشون فى مجلسكم كل شئون البلاد ، وفى مقدمتها إقامة حياة ديمقراطية سليمة ، وكان طبيعيًا أن تسمعوا صدى ذلك بين الضباط الأحرار الذين عاشوا كل فكر الثورة منذ فجر التمهيد لها ، وكان عليكم أن تتعرفوا على ما يأتى بخاطر هؤلاء الضباط الذين هم الأبناء المخلصون لهذه الثورة منذ مرحلة التمهيد لها إلى أن نجحت بعد كفاح طويل على مدى السنين» ، وأضفت قائلاً : « إن ما قام به مجلس الثورة لا أجد له ترجمة إلا رغبة سافرة من المجلس للتخلص من كل من كان له دور أساسى فى الإعداد للثورة ، وإن « الخط الثانى » ـ كما تلقبونه ـ والذى رأى المجلس التخلص منه ، قد بدأ فعلاً بإبعاد الجماعة التأسيسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان ، وكان لهذا القرار صدى قوى داخل السلاح وبين ضباطه . وما زلت أذكر ما قاله « كفافى » فى ذاك الوقت : « إننى أشعر بقوتى ، وما على إلا أن أدير المدافع فى آلاى السيارات المدرعة الذى أقوده وأقذف بقنابلها مجلس الثورة وأحطم جدرانه على رؤوس أعضائه » .

« وفى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٢ صدرت الأوامر إلى كل من عبد الحميد كفافى ومصطفى نصير بالتوجه إلى مكتب البكباشى حسين الشافعى مدير السلاح الذى أبلغهما أن الاتجاه فى مجلس الثورة كان هو صدور أحكام ضدهما تتراوح بين الإعدام والسجن المؤبد والفصل من الخدمة إلا أن بعض أعضاء المجلس رأوا تخفيف هذه الأحكام ، وانتهى الأمر بالإبعاد عن الوحدات القتالية ، وذلك بنقل عبد الحميد كفافى إلى أساس الفرسان ، ومصطفى نصير إلى مركز التدريب الفنى ، وهى وحدات « إدارية » فى السلاح . وطلب حسين الشافعى من الزميلين كفافى ونصير ألا ينقلا هذا الخبر إلى أى من الضباط فى السلاح ، ولكن الزميلين رفضا وطلبا ترتيب لقاء مواجهة بينهما وبين أعضاء مجلس الثورة لمعرفة نوع الاتهام الموجه إليهما وشهود هذا الاتهام ، ووعد حسين الشافعى بأن يحاول إتمام هذا اللقاء ، ولكن بشرط أن يتم تنفيذ النقل» .

ويتطرق جمال منصور بعد ذلك إلى اللقاء الذى عقد بحضور حسين الشافعى الذى قال فى نهايته : إننى لم أكن أعرف كل هذا التاريخ لأنى حديث العهد فى تنظيم الضباط الأحرار » ويعقب جمال منصور بأن حسين الشافعى كان أمينًا فى قوله . . . . إلى أن يصل إلى القول بأن أحدًا لا يستطيع أن ينكر الدور الذى قام به ليلة ٢٣ يوليو ، هذا الدور الذى جاء به إلى عضوية مجلس الثورة .

(١٠)

وفى الصفحات ٧٢ ـ ٩٠ تفصيلات مهمة عن الخلافات المبكرة التى حدثت بين الضباط بعد قيام الثورة ، وفيها يعرض جمال منصور وجهة نظره بكل تفصيل وفى استطاعة القارئ أن يرجع إلى هذه الصفحات التى لا يجدى التلخيص فى التعبير عن روحها ومغزاها ، وخصوصا ما رواه جمال منصور عن لقائه بعبد الناصر بعد بضعة شهور من تعيينه فى الخارجية وما نقله من حديث عبد الناصر له عن نية الإخوان المسلمين إجراء عمل مضاد للثورة بقيادة معروف الحضرى وعبد المنعم عبد الرءوف ، وعن نيته هو شخصيًا ـ أى عبد الناصر ـ الإفراج عن ضباط سلاح المدفعية .

على أن المؤسف جدًا أن جمال منصور روى لنا وفاة زميلهم اليوزباشى محمد وصفى فى السجن ومرّ على هذا الحدث مرورًا عابرًا ضمن حديث زميله سعد عبد الحفيظ له .

(١١)

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد نشر فى عام ١٩٨٩ حين خفت أو تلاشت حدة الانتقاد الشديد والهجوم الضارى على سياسات على صبرى ومَنْ وسموا بأنهم مجموعة الانحياز للاتحاد السوفيتى كسامى شرف ، إلا أن جمال منصور يجاهر باتهام هؤلاء بالمسئولية الكاملة عن الإساءة إلى علاقة مصر بألمانيا الغربية ، وهو لا ينشئ هذا الاتهام من فراغ بل إنه لا يصرح به فى البداية ، وإنما هو يروى التسلسل الذى مرت به الأحداث ثم يلقى بالتبعة على هؤلاء الذين يسميهم بالجناح الخفى ، وهو يخصص الفصل السادس من كتابه لتناول هذا الموضوع ويروى فى بدايته أنه ذهب للقاء وزير الخارجية الألمانى عقب الإعلان عن صفقة السلاح بين برلين وإسرائيل ، وأن الوزير أجابه بأن مصر قد افتتحت مكتبا تجاريا لها فى برلين الشرقية وهو ما يمثل سابقة جديدة فى عالم العلاقات الدولية ومثلاً تحتذى به دول العالم الثالث ، ومع هذا فإن وكيل الخارجية لشئون الشرق الأوسط اصطحب جمال منصور إلى مكتبه وقال له هذه ورقة وقلم . . اكتب طلبات السلاح التى تريدها مصر من بلادى ونحن على استعداد للاستجابة لها فورًا .

ويمضى جمال منصور إلى سرد كثير من الوقائع الهامة فيقول : « وفى صيف ١٩٦٤ ، مرت مصر بأزمة اقتصادية خطيرة ، مما أدى بالسيد على صبرى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت إلى إصدار تعليماته بإغلاق القنصليات والمكاتب الفنية فى الخارج ، وذلك لضغط المصروفات ، وأدركت حكومة بون الأزمة الاقتصادية التى كانت تعانى منها مصر ، فاستدعانى « شولز » وكيل الخارجية الألمانية للشئون الاقتصادية وقال لى : « إن بلادى تقدر الظروف التى تمر بها

مصر ، وإنها حرصا منها على صداقتها معكم فإنها تريد أن تقدم لها مساعدات اقتصادية ، وهى على استعداد لتنفيذ الخطة الخمسية الثانية » . واستأذنت فى السفر إلى القاهرة وقابلت رئيس الوزراء على صبرى ، وعرضت عليه ما قاله لى وكيل الخارجية الألمانى واستعداد بلاده لتنفيذ الخطة الخمسية الثانية . فرد على صبرى قائلاً : « لسنا فى حاجة إليهم ولا إلى الأمريكان . . نحن نسير وفق خطة يدعمها الاتحاد السوفيتى والدول الشرقية » . ثم ذهبت للقاء د. عزيز صدقى وزير الصناعة وتحدثت معه عن العرض الألمانى ، فلم تكن إجابته أفضل من إجابة على صبرى ، وردد ما قاله رئيس الوزراء . ثم تحدد لى موعد مع الرئيس عبد الناصر ، وتحدثت معه مستفسرًا عما إذا كان الاقتصاد المصرى يسير فى مجال الكتلة الشرقية على طول الخط ! فأجابنى : « هذا غير صحيح ، ويجب أن تضع فى اعتبارك أن سياسة مصر الاقتصادية هى التعاون مع الغرب بنسبة ٥١٪ ، ومع الشرق بنسبة ٤٩٪ » فلخّصت للرئيس مادار بينى وبين كل من السيد على صبرى والدكتور عزيز صدقى ، فلم يهتم الرئيس عبد الناصر بالاستماع إلى رأى أى منهما أو التعليق عليه ، ثم سألنى فى حزم : « متى تسافر إلى مقر عملك فى بون ؟ » فقلت له : « غدًا إن شاء الله » فرد علّى قائلاً : « لا تسافر إلا ومعك الخطة الخمسية الثانية بكل المشاريع التى تتضمنها ، وإنى أوافق على أن تقوم ألمانيا الاتحادية بتنفيذ مشاريع الخطة بكاملها . . » . وعدت بالخطة إلى بون وبدأت اتصالاتى مع المسئولين الألمان الذين رحبوا كثيرًا بتنفيذها ، إلا أن الأحداث تدفقت بسرعة وسدت طرق التفاهم بين البلدين ، فقد أعلنت القاهرة عن زيارة « أولبرخت » رئيس دولة ألمانيا الديمقراطية .

ويروى كاتب هذه المذكرات قصة الإعلان عن زيارة أولبرخت رئيس ألمانيا الديمقراطية لمصر ، وأن رئيس البوندستاج رجاه أن يطلب من مصر تأجيل هذه الزيارة أو إلغاءها فلما حضر وقابل على صبرى رئيس الوزراء ضحك وقال له : « إن تأجيل الزيارة له ثمن وإلغاءها له ثمن آخر » فأجاب جمال منصور : إن بون على استعداد لدفع أى من الثمنين ، هنا أجاب على صبرى بأن هذه الزيارة لابد أن تتم ولا مجال للتراجع عنها إنها ليست موجهة لألمانيا فقط ، ولكنها موجهة ضد أمريكا فى المقام الأول . . هذه الزيارة هتخلى الأمريكان يركعوا على ركبهم» (ص ١٥٤) .

ويأخذ جمال منصور هذه العبارة لعلى صبرى ويجعلها عنوانا للفصل كله .

على أن جمال منصور بعد أن يناقش فى كتابه كل التفصيلات يضعنا أمام السؤال الذى أشرنا إليه عن هذا الجناح الخفى فيقول : « وأتساءل هنا إذا كان جمال عبد الناصر رئيس الدولة قد وافق على أن تقوم حكومة بون بتنفيذ مشروعات الخطة الخمسية الثانية فى مصر ، بل طلب منى ألا أغادر القاهرة إلا ومعى مشروعات الخطة لعرضها بكاملها على الجانب الألمانى لتنفيذ ما بها من مشروعات فى مصر ، فمن المسئول عن تعطيل هذا القرار والوقوف ضد هذا الاتجاه؟

إننى لا أجد أمامى إجابة على تساؤلى إلا أن أشير إلى الجناح الخفى الذى كان قريبا من قمة الرئاسة والقادر على التأثير على سياسة مصر الخارجية حينذاك ، هذا الجناح الذى اعتبر ما عرضته حكومة « بون » لتنفيذ الخطة الخمسية الثانية وما تضمنته من مشروعات ذات أهمية بالغة أساسها البنية الأساسية فى مصر ما هو إلا رشوة حتى لا نعترف بألمانيا الديمقراطية على حد قوله . . !! هذا الجناح الذى شجع على دعوة « أولبرخت » لزيارة مصر زيارة رسمية بدلا من أن تكون زيارة شخصية كما كان مقررًا لها فى البداية ، وتخيل هذا الجناح الخفى أن هذه الزيارة سوف تجعل الأمريكيين يجثون على ركبهم . . أمام مصر ، هذا الجناح الذى تصور أن ألمانيا الديمقراطية تستطيع أن تحل محل ألمانيا الاتحادية ، وتجلب معها المساعدات من كل نوع ، وتنقذ مصر من كبوتها الاقتصادية التى كانت تعيشها فى ذاك الوقت ، فمهد كل الطرق لاعتراف مصر بألمانيا الديمقراطية إلى أن تحقق له ذلك فى ١٩٦٩/٧/١٠ . هذا الجناح الذى صوّر لعبد الناصر أن ألمانيا الاتحادية سوف تكون الخاسرة إذا قطعت العلاقات معها ، فوضع أمامه تقريرًا فحواه أن التجارة الخارجية بين « بون » والدول العربية تمثل ٢٨٪ من مجموع تجارة ألمانيا الاتحادية ، وقد جاء هذا فى أكثر من خطاب للرئيس عبد الناصر أثناء جولته فى المحافظات إبان الأزمة الألمانية العربية ، وقد تعجب الألمان بل العالم العربى أن يذكر عبد الناصر هذه الإحصائية البعيدة عن الواقع تمامًا ، إذ إن تجارة ألمانيا الاتحادية مع الدول العربية فى ذاك الوقت لم تكن تتعدى ٣,٠٪ . وأذكر أننى حينما عدت إلى القاهرة بعد سحب السفراء العرب من بون ، كلفنى السفير أحمد حسن الفقى وكيل وزارة الخارجية فى ذاك الوقت ، بأن ألقى محاضرة على أعضاء السلك الدبلوماسى المصرى عن الأزمة العربية الألمانية وتوضيح أبعادها وأثرها على مستقبل العلاقات بيننا وبين ألمانيا الاتحادية ، وقد تطرقت فى المحاضرة إلى العلاقات التجارية بين بون والدول العربية وأوضحت أنها لا تتعدى ٣,٠٪ وتقدمت بإحصائية وافية تؤكد ما قلت . ولم يسكت هذا الجناح الخفى عند هذا الحد بعد قطع العلاقات ، بل قام بتحطيم كل الروابط بين القاهرة وبون حتى الروابط الثقافية والمهنية . فقد كان الآلاف من طلبة الجامعات المصرية والمهنيين ، وخاصة طلبة كليتى الهندسة والعلوم يذهبون إلى المصانع الألمانية للتدريب هناك فى مصانع « كروب » وغيرها ، وخاصة فى فترة الصيف . وقد وصل عددهم أثناء وجودى سفيرًا لمصر فى بون ، إلى أربعة آلاف طالب ومهنى . لكن هذا الجناح لم يوافق على استمرار ذهاب الطلبة والمهنيين إلى ألمانيا الاتحادية ، ومنع أى بعثات على المستوى الفردى أو الجماعى من الذهاب إلى بون ، ولكن فتح الطريق أمامهم إلى دول المعسكر الشرقى ، وبلغ التحدى لأى مظهر من مظاهر الوجود الغربى فى مصر بعد هزيمة ١٩٦٧ إلى حد أن قامت وحدة عسكرية مصرية ، باحتلال أحد المستشفيات الواقعة على النيل فى أسوان والذى تديره راهبات مسيحيات من ألمانيا الاتحادية ،

وقامت الوحدة العسكرية بطرد الراهبات والمسئولين فى المستشفى وأوجدت حالة من الذعر داخله ، ولم يمض يومان حتى جاءنى فى وزارة الخارجية مندوب مجلس الكنائس العالمى فى بون ومعه القائم بالأعمال الألمانى فى القاهرة ، وعبّرا لى عن انزعاج المجلس لاحتلال الجنود المصريين للمستشفى الألمانى وطرد الراهبات المسيحيات ، والمسئولين عن المستشفى الذى يعمل لخدمة الإنسانية ، وما إن انتهت المقابلة حتى ذهبت إلى الوزير محمود رياض ، وأوضحت له أبعاد هذا الإجراء وأثره على مصر دوليًا مما يسبب إثارة مجلس الكنائس العالمى والدول المسيحية ضدنا فى الوقت الذى كنّا نسعى فيه لكسب صداقة أى دولة بعد هزيمة ١٩٦٧ . وتحدث الوزير تليفونيًا مع الفريق محمد فوزى وشرح له الآثار السلبية التى تؤثر علينا دوليًا نتيجة لهذا الإجراء، فأعطى الفريق فوزى أوامره إلى قائد الوحدة التى احتلت المستشفى بالجلاء فورًا عنه . وعادت الراهبات الألمانيات إلى المستشفى ، وجاءنى مندوب مجلس الكنائس العالمى والقائم بالأعمال الألمانى للتعبير عن ارتياحهما لما قامت به الخارجية المصرية » .

كذلك ينبغى لنا أن نشير إلى موقف مماثل لهذه المذكرات حين روى جمال منصور قصة «العبث » السياسى فى نهاية عهد الرئيس السادات تجاه العلاقات المصرية السوفيتية وتصوير بعض أجهزة الأمن للموقف بصورة بعيدة عن الحقيقة ، واضطرار الخارجية المصرية (كمال حسن على وبطرس غالى وجمال منصور) للبحث عن حل للخروج من مأزق الحاجة إلى إعادة الخبراء السوفييت لتشغيل المصانع التى تعطلت بعد ترحيلهم فى ذروة التصعيد السياسى لأزمة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، ويعطينا جمال منصور بروايته لهذه القصة درسا فى غاية الأهمية فيما يتعلق بمصالح الدول وكيف تدار هذه المصالح والعلاقات ، ولولا أنى أوردت النص الكامل لهذه القصة فى كتاب آخر من كتبى لأوردتها هنا .

(١٢)

أما فترة عمله سفيرًا فى سوريا فقد شهدت آخر زيارة للرئيس السادات إلى سوريا وهى التى سبقت زيارته لإسرائيل ساعات أو أياما قليلة وفى الصفحات التى يخصصها المؤلف لرواية ذكرياته عن هذه الأحداث بدءًا من صفحة ١٩٩ يطلعنا جمال منصور على كثير من الأسرار والملابسات التى واكبت هذه الزيارة ، وهو يتحدث عن غياب إسماعيل فهمى عن مرافقة الرئيس بهذه الرواية التى تستحق الإشارة إلى تفصيلاتها حيث يقول : « تقدم إلى مدير المراسم برئاسة الجمهورية السورية وطلب منى أن أركب فى العربة رقم (٢) خلف عربة الرئيس مباشرة ، والتى تقل الرئيسين المصرى والسورى . ثم علق مدير المراسم قائلاً : ستركب سيادتك العربة رقم (٢) لأنه على ما يبدو أن السيد إسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير

الخارجية لم يحضر إلى دمشق مع الرئيس السادات ، ولقد كانت العربة رقم (٢) مخصصة له فأرجو أن تحل محله فى هذه العربة . وكان يقف معنا السفير حسن أحمد كامل رئيس ديوان رئيس الجمهورية ، وسألته عما حدث ، فانتحى بى جانبًا وأفادنى بأن السيد إسماعيل فهمى لم يعلن عن اعتذاره عن عدم الحضور فى صحبة الرئيس السادات إلا صباح هذا اليوم ، وأفاد بأنه مريض لا يستطيع السفر فقام السيد حسن كامل بإبلاغ الرئيس السادات باعتذار السيد إسماعيل فهمى فرد الرئيس : «أحسن أنه ما جاش ، عمل طيب . . » .

كما يحدثنا جمال منصور عن لقائه السريع بالرئيس السادات فى ذلك اليوم قبل توجهه إلى المؤتمر الصحفى وهو حديث يحمل كثيرًا من الآراء المهمة ننقلها على مسئولية جمال منصور «وصعدت إلى الدور العلوى وكان الرئيس السادات قد قارب على الانتهاء من ارتداء ملابسه ، وتقابلنا فى الصالة المجاورة لغرفته وصافحنى ، وسأل عن المؤتمر الصحفى فأبلغته بأن عددًا كبيرًا من الصحفيين العرب والأجانب موجودون حاليا فى الدور الأول ولكن السيد أحمد إسكندر وزير الإعلام أبلغنى بأن « الرئيس الأسد » لن يحضر المؤتمر ، وظهرت علامات عدم الارتياح على وجه الرئيس السادات ، وقال إنه رغم أن الأسد قد اتفق معه على حضور المؤتمر الصحفى إلا أنه كان لديه انطباع بأنه لن يحضر هذا المؤتمر ، ودار الحديث بين السادات وبينى ، وسألنى عن الأوضاع الداخلية فى سوريا وعن ردود الفعل المحتملة بشأن زيارته المقبلة لإسرائيل ، فشرحت له سياسة حزب البعث ، وأضفت أننا لابد أن نتوقع حملة إعلامية وانتقادات عنيفة من بعض الدول العربية لأن مثل هذه الخطوة لن يتقبلها بسهولة بعض القادة العرب الذين عاصروا قضية فلسطين وعاشوا فيها . فأجابنى : « أنا رميت طوبة العرب ونفضت إيدى منهم ، ولهم أن يفعلوا ما يشاءون » ، وأضاف قائلاً : « لقد عشنا سنين طويلة نحاول أن نجد حلاً للمشكلة الفلسطينية ، ومرت السنون دون أن ننجز شيئًا لا لصالح الفلسطينيين ولا لصالح قضية الشرق الأوسط . . ولقد فكرت فى بادئ الأمر أن أدعو إلى لقاء قمة بين الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن ، أى بين الزعماء الخمسة الكبار . . أدعوهم للمناقشة الواضحة والأمينة ، وأطالبهم بوضع نهاية لمآسى الفلسطينيين وإيجاد حل عادل لقضية الشرق الأوسط ، وكان هناك رأى آخر بالدعوة إلى مؤتمر دولى للسلام فى المنطقة ، ولكننى لم أوافق على ذلك لأن مثل هذه المؤتمرات لن تؤدى إلى أى نتيجة وربما عاشت القضية عشرات السنين دون حل ، شأنها فى ذلك شأن مؤتمر نزع السلاح والمفاوضات الجارية بشأنه والتى بدأت منذ عشرين عامًا ولم تجد طريقها الصحيح حتى الآن . . إننى سوف أذهب إلى آخر الدنيا فى سبيل السلام ، وفى سبيل إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية ، وإنهاء الحرب فى المنطقة والتوجه بقدرات الشعب المصرى فى سبيل التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة لهذا الشعب الذى قاسى كثيرًا وتحمل كثيرًا ودخل حروبًا طاحنة دمرت اقتصادياته وأتت على

أخضره ويابسه . كفانا حروبًا أفقرتنا . . كفانا نزاعا على الحلول من أجل القضية الفلسطينية . إن من حق بلادنا أن تعيش فى سلام من أجل التنمية والتقدم الاقتصادى » .

(١٣)

وفى هذه المذكرات فقرة مهمة جدًا حرص السفير جمال منصور على أن ينقل لنا فيها مشاعر الوزراء السوريين تجاه القذافى حيث يقول ضمن حديثه عن زيارة الرئيس السادات لسوريا : «ثم نزل الرئيس السادات إلى الدور الأول فى قصر الضيافة ، وكان فى انتظاره بعض الوزراء السوريين وفى مقدمتهم وزير الإعلام د. أحمد إسكندر ود. الفحام وزير التربية ، ووزراء الاقتصاد والصحة وغيرهم ، وصافحهم الرئيس السادات . وبدءوا فى الحديث عن مشاكل العالم العربى ، واستفسر بعض الوزراء من السوريين عن علاقات مصر بليبيا ، وتساءلوا عن عدم مواصلة القوات المصرية تقدمها فى الأراضى الليبية لاحتلالها ، وأضافوا أنه كان من الأفضل للعالم العربى كله أن تحتل القوات المصرية الأراضى الليبية لوضع حد للشغب الذى يحدثه « القذافى » فى هذا الجزء من العالم ، ولكى تصبح مصر أكثر قوة فى المجال الاقتصادى بفضل الثروة البترولية الضخمة التى تمتلكها ليبيا » .

فأجاب السادات : « إن الغرض من التدخل العسكرى المصرى فى ليبيا كان لإعطاء القذافى درسا لا ينساه ، وليعلم أننا قمنا بهذا العمل العسكرى بعد ما استنفدنا كل السبل السلمية معه وبعد أن نفد صبرنا ، وإن مصر ليست دولة غازية ، لا تريد أن تضرب ابنا عربيًا ، ولكنها اضطرت إلى ذلك للإصلاح والتهذيب ولكى يعلم « القذافى » أن مصر شوكتها قاسية ومؤلمة ، ولكن الوزراء السوريين عبروا مرة ثانية عن أملهم فى أن تضع مصر يدها على ليبيا ، وسوف تجد كل التأييد من داخل ليبيا ومن العالم العربى بأكمله وسوريا فى المقدمة » .

(١٤)

ويحفل الجزء الثانى من كتاب جمال منصور بكثير من الفقرات المهمة لتاريخنا السياسى المعاصر فضلاً عما فيه من طرائف تستهوى كل القراء ، وقد تعمد جمال منصور أن يضع لنا فى أول الفصل الرابع خلاصة آراء فرنسى متقاعد (قابله بالصدفة وهو فى طريقه لتسلم عمله الدبلوماسى) فى الدبلوماسية والعمل الدبلوماسى .

ولكننا نلاحظ فى هذا الجزء الثانى من الكتاب مرارة شديدة من جمال منصور تجاه النصابين فى ثلاثة مواضع ، وكلها تتعلق بالمال الذى كان يضيع عليه بسبب ما يرويه عن نفسه من حسن نيته أو أخلاقه :

١ ـ فها هى أميرة عربية وزوجة سفير تطلب منه قرضًا على أن ترده له بشيك ، وتمر سنوات

فلا ترد له شيئًا منه ، ويقابلها مع زوجها مرة بعد أخرى فلا يكادان يصافحانه أو يشكرانه (ص ١٢١ ـ ١٢٣) .

٢ ـ وهذا هو صديقه رئيس المحكمة الوطنية فى الكونجو يدفع سدس ثمن السيارة ثم يهرب حتى لا يدفع بقية أقساطها (ص ١٨٠) .

٣ ـ وهذا مسئول زائيرى كبير يلجأ إليه مقترضا مبلغًا ثم لا يعيده (ص ١٨١) .

(١٥)

وعلى الرغم من القدر العظيم من الدقة فى تناول الوقائع فى هذا الكتاب فإن هناك بعض الملاحظات التاريخية وهى لحسن الحظ ملاحظات فى الشكل ولا تفقد المضمون صدقه .

١ ـ لا أدرى لماذا لم يذكر لنا اسم الطيار شقيق زوجة الذى استشهد فى حرب ١٩٥٦ عندما تحدث عنه فى صفحة ١٢٦ فإنى اعتقد أننا لابد أن نذكر أسماء شهدائنا ونترحم عليهم ونعطى نبذة عنهم وعن بطولاتهم كلما سنحت الفرصة لهذا ، فما بالنا وهذا الشهيد هو خال بناته !!

٢ ـ فى صفحة ١٢١ يتحدث فى أول سطر من الفقرة الثالثة على أنه لم يكد يمضى على تسلمه العمل قنصلاً فى مارسليا سوى ٣ شهور (وكنا فى ديسمبر ١٩٥٤ حسبما كتب فى السطر السابق) بينما هو يروى منذ ثلاث صفحات أنه كان قد عين منذ إبريل ١٩٥٤ . . فهل قضى خمسة شهور دون أن يتسلم العمل ؟ ولماذا ؟ أم أن هناك خطأ آخر ؟

٣ ـ فى صفحة ١٤٧ يتحدث عن الشيخ الفحام فى سنة ١٩٦٣ على أنه شيخ للأزهر بينما لم يكن كذلك إلا بعد سنوات ، وربما يقصد أنه ذلك الذى أصبح شيخًا للأزهر فيما بعد أى أنه أعطاه اللقب فى ذلك التاريخ لأنه حصل عليه بعد ذلك .

٤ ـ وفى صفحة ١٦٤ نجد نفس الشخص نائبا للوزير ووزيرًا فى نفس الفقرة .

٥ ـ وفى صفحة ٢١٧ نجد العنوان ٢٧ أكتوبر متعارضا مع التاريخ المذكور فى الصفحة التالية ١٧ أكتوبر ١٩٨٠ .

٦ ـ فى صفحة ٢٢١ [وما بعدها ٢٢٦ ، ٢٢٧] يتحدث المؤلف عن الدكتور فؤاد محيى الدين على أنه رئيس للوزراء بينما هو نائب رئيس الوزراء فى ذلك الوقت .

وهناك أيضا عدة ملاحظات لغوية بسيطة ولكنها مهمة جدا من حيث المعنى أرجو أن يأخذ الناشر فى تصحيحها فى الطبعة القادمة من هذا الكتاب :

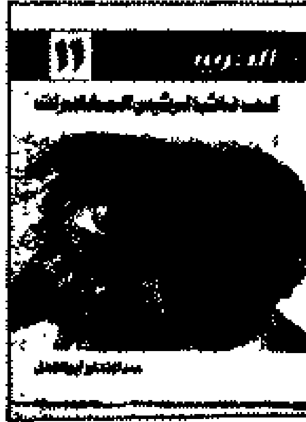
١ ـ فى آخر سطر من صفحة ١٣٢ نجد اسم كان وصفته وقد نصبا !

٢ ـ فى صفحة ١٢٥ نجد عبارة « ونشأت علاقة صداقة بيننا ودعيانا إلى منزلها الريفى » ، وأظنه يريد أن يقول : « ودعوانا » .

٣ ـ فى صفحة ١٩٣ المحلق يقصد الملحق .

٤ ـ فى صفحة ٢١٨ السطر الخامس نجد الفاعل منصوبًا .

□□ وبالإضافة إلى ذلك كله فإن هناك عدة ملحوظات دبلوماسية [إن جاز هذا التعبير]، اعتقد أن هذا الكتاب الجميل فى حاجة إلى الأخذ بها فى الاعتبار ، فما كان أغنى هذا الكتاب عن أن يقص علينا قصة السيدة التى أصبحت زوجة مرموقة لأحد كبار سفرائنا فى الخارج (ص ١٤٠) وقصة العروس الحامل (ص ١٣١) وقصة زميله الضابط والسفير المصرى الجديد فى باريس وكيف أن دولتين عربيتين رفضتا ترشيحه (ص ١٤٥ و ص ١٤٦) وبخاصة أنه بقى سفيرًا هناك خمس سنوات كاملة !! كذلك قصة زميله السفير العربى الذى عين سفيرًا فى تايلاند فأخل بالبروتوكول ص ١٦٢ وبخاصة أن العنوان الجميل لهذه القصة يغفر للسفير كل ما فعل ويفعل ، وطبعا لم يكن السفير جمال منصور يقصد هذا . . . . كذلك فإن خاتمة قصة قارئ شهر رمضان (ص ١٧٠) لم تكن هى الخاتمة التى تعودنا عليها من السفير جمال منصور برقته ولطفه . . . . . أما قصة زوجة السفير (ص ١٩٢) التى أصرت على أن يقبلها الرئيس فلا معنى لها من دون ذكر البلد الذى كانت تمثله لأن السفير جمال منصور هو خير من يعرف مدى الاختلافات البروتوكولية فى هذا المجال هذا فضلاً عن اختلاف التقاليد والعادات .



الفصل السادس

كنتُ نائبًا لرئيس المخابرات

مذكرات عبد الفتاح أبو الفضل

(١)

لم يكن اسم عبد الفتاح أبو الفضل من الأسماء المعروفة للجمهور المصرى قبل نشره لهذه المذكرات ، هل نقول على الرغم من أنه كان نائبًا لرئيس المخابرات ؟ أم إن الأولى أن نقول : لأنه كان نائبًا لرئيس المخابرات ، ربما يتمتع السببان بالقبول لدى القارئ الذى قرأ مذكرات أبو الفضل فى وقت كان اسم رئيس المخابرات العامة فيه بعيدًا عن التناول وهو النهج الذى لجأت إليه الدولة منذ بدايات عهد الرئيس السادات خلافًا لما كان سائرا فى عهد جمال عبد الناصر حين كان الناس جميعًا يتداولون اسم صلاح نصر . . وقد كان أبو الفضل نائبا لصلاح نصر ، ولكنه حين نشر مذكراته (١٩٨٥) لم يكن الناس متعودين على أن يلموا بأسماء أصحاب المناصب الكبيرة فى المخابرات العامة .

فيما قبل المخابرات العامة لم يُعرف أبو الفضل للجمهور المصرى أيضًا ، وقد كان هذا شأن كثير من الضباط الأحرار ، بل كان هذا هو شأنهم المعتاد باستثناء أعضاء مجلس قيادة الثورة ثم قطبى هيئة التحرير (الطحاوى وطعيمة) وقطب الشئون العامة (وجيه أباظة) ثم ضحايا ما عرف بمؤامرة سلاح المدفعية فى ١٩٥٣ وضحايا ما أطلق عليه تمرد سلاح الفرسان فى ١٩٥٤ ثم أولئك الذين رشحوا أنفسهم لعضوية مجلس الأمة فى ١٩٥٧ ثم الذين تولوا مناصب بارزة فى الدولة سواء كوزراء أو محافظين أو سفراء ، ولم يكن عبد الفتاح أبو الفضل بين هؤلاء جميعًا .

ولم يكن القارئ العادى من جيلنا يتوقع أن نائب رئيس المخابرات هذا الذى ينشر مذكراته واحد من الضباط الأحرار إلا بعدما بدأ فى قراءة هذه المذكرات ، وإذن فقد كان عنوان الكتاب نفسه بمثابة اللقطة الصحفية شأن عنوان مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف « أجبرت « فاروق» على التنازل عن العرش » .

على أن هذا الكتاب القيم قد لقى رغم كل ذلك نوعًا من سوء الحظ غير المقصود إن جاز هذا التعبير ، فقد ظهر هذا الكتاب فى أعقاب ضوضاء كثيرة أحدثها حسن التهامى بتصريحات متكررة عن بطولاته وعن قدرته على توجيه (بل وتكتيف) جمال عبد الناصر نفسه ، وحين ظهر كتاب أبو الفضل فى الأعقاب التالية لتصريحات التهامى تعمد معظم الصحفيين والكتاب الذين كانوا يهاجمون التهامى أن يأخذوا بعض فقرات من هذا الكتاب هاجم فيها أبو الفضل التهامى وألقى على تصرفاته كثيرًا من الشكوك ، وهكذا أصبح القراء الذين لم يقرءوا الكتاب وقرءوا عنه فى الصحف أسرى انطباع خاطئ (وهذا هو ما سميناه سوء الحظ غير المقصود) أن هذا الكتاب لم يصدر إلا للهجوم والرد على حسن التهامى . . . ولعل القارئ الذى يقرأ كتابى هذا الآن يتعجب من أن يضم الكتاب فصلاً عن هذا الكتاب الذى يظنه القارئ مجرد فصل فى محاورات التهامى . . وهذا هو سوء حظ الكتاب غير المقصود.

(٢)

أما إن هذا الكتاب واحد من أهم الكتب التى كتبت فى تاريخ مقدمات ثورة يوليو ١٩٥٢ وخطط ضباطها قبل قيامها فأمر لاشك فيه ، وبخاصة إذا عرف القارئ أن بيت مؤلفه عبد الفتاح أبو الفضل كان فى كثير من الأحيان مقرًا للاجتماعات السرية التى مهدت لقيام الثورة . . ومع هذا فإن هذا الكتاب يحفل بما حفلت به شخصية صاحبه من العمل المنظم والمنتظم فى هدوء وأناة وصبر وإنكار للذات ، ولولا أنه نشر فى سلسلة شهرية هى سلسلة كتاب الحرية لما أتيح له هذا القدر من الانتشار ، وليس هذا بالعجيب فى مجتمعنا الثقافى الذى يعانى مما لا نريد أن نخوض فيه لأننا لو خضنا لما كفانا كتابنا هذا كله .

فى هذا الكتاب نجح عبد الفتاح أبو الفضل أن يقدم رؤية متوازنة للخطوات التى مهدت لقيام الثورة ، فهو رجل مخلص لم يسبغ الطموح على بصيرته أى غطاء ، وهو لهذا بعيد كل البعد عن الإدعاء والغرور ، وبعيد أيضًا عن الندم أو السرور ، وبعيد ثالثًا عن اجترار الشرور!

وقد خصص عبد الفتاح أبو الفضل جزءًا كبيرًا من كتابه للحديث عن دوره فى جهاز المخابرات العامة ، ودوره كضابط مخابرات فى المواجهة المبكرة للاستعمار الإنجليزى فيما عرف بحركة الفدائيين فى القناة ، وهى صفحات مشرقة بلا شك كما أنها تعطينا بعض الضوء عن أهمية الذكاء وحسن التصرف وحسن التدبير والقدرة على التنبؤ ومواجهة الخصوم بنفس أسلحتهم ، والتغلب على الصعاب الطارئة وما إلى ذلك كله من المؤهلات الأساسية لضابط المخابرات والتى بدونها يستحيل النجاح على مَنْ يقوم بهذا العمل ، وفى الحقيقة فإن عبد الفتاح أبو الفضل كان يهدف من كتابه إلى مثل هذا الذى كتبه عن الدور الوطنى والمضئ للمخابرات ، وبخاصة أنه عانى من الحرب الشعواء التى وجهت إلى هذا الجهاز والتى وصلت

إلى حد المطالبة بإلغائه ، وهو يعترف بهذا فى المقدمة ، وهو يجهر فى عنوان الكتاب باعتزازه بهذه الوظيفة الوطنية المهمة ، وهو فى المواضع الثلاث يستحق الشكر على العنوان وعلى ما أشار إليه فى المقدمة وعلى ما كتب فى صلب الكتاب .

(٣)

فى هذه المذكرات يروى عبد الفتاح أبو الفضل سببًا مرسبا (كما نقول فى الطب) لتشكيل تنظيم الضباط الأحرار وهو إحساسه هو وزملائه بالمهانة عندما كانوا مكلفين باستقبال الإمبراطورة فوزية شقيقة الملك عند عودتها من إيران وهو يورد ذلك تحت عنوان «السخط والتبرم يولد التجمع» ويقول بالنص : «عادت الإمبراطورة فوزية شقيقة الملك فاروق وزوجة شاه إيران إلى البلاد ، تصحبها شائعة الخلاف مع الشاه ، كانت ستصل بالطائرة إلى مصيف الأسرة بالإسكندرية ، لتهبط بها فى مطار النزهة فى أحد أيام شهر يونيو شديدة الحرارة ، وخرجت كتائب من حامية الإسكندرية ومن ضمنها كتيبتى الرابعة لتصطف على جانبى الطريق من مطار النزهة حتى القصر ، وطال انتظارنا للموكب ، ثم أبلغنا أن الطائرة ستتأخر عدة ساعات أخرى ، وعلينا أن ننتظر وقوفًا ، أثارنا انتظارنا الطويل المهين كضباط ، حتى يحين موعد وصول الطائرة ، وتجمع لفيف من الضباط الشبان ، وكنت معهم وأخذ كل منا يعبر عن سخطه على هذه المهانة وكان تعليقنا أن الجيش لم يشكل لمثل هذه المهام المهينة ، وإنما عليه أن يقوم بواجبه الأول من تدريب ومناورات واستعداد ليوم الذود عن الوطن ، وعندما طال الانتظار امتد الحديث وتناول ما نقاسيه ويقاسيه الشعب من المستعمر ومن الحكام ، وكان معى من الكتيبة زميلى ودفعتى سيد جاد عبد الله سالم ولفيف آخر من مختلف الوحدات ، لم ينته هذا الاجتماع الواقف إلا ونحن على ميعاد آخر للحديث فى مثل هذه الأمور، تم الاتفاق فى الحال على بدء اجتماعاتنا وكان الاجتماع الأول فى منزلى ٦ شارع البراموقى بعابدين ، فى غرفة فسيحة أعلى المنزل ، وتوالت الاجتماعات وتنوعت الأحاديث الوطنية . واتسعت حلقة التنظيم حيث كنا نحضر فى كل اجتماع وبرفقة كل واحد عدد قليل من الضباط الوطنيين الموثوق بهم بعد جس نبضهم ، ثم وضعنا دستورًا لهذا التنظيم بعد فترة لاحقة بألا ينضم أى ضابط له إلا بعد أخذ الآراء عليه قبل حضوره ، وكنا نتناول فى هذه الاجتماعات شبه السرية مآخذ الشعب على الملك ورجال القصر ، وعلى الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة والبرلمان ومواقفهم وتجاوزاتهم وتوصيل هذه المعلومات التى لا تنشر فى الصحف عن هذه المآخذ .

وتوالت الاجتماعات فى منزلى وفى منزل ضابط الفرسان «مصطفى نصير» بالسيدة زينب . وتبلغ عدد الأسماء التى أوردها أبو الفضل فى كتابه :

١٠ من سلاح الفرسان

١٤ من سلاح المدفعية

٤ من سلاح الإشارة

١٥ من سلاح المشاة

١ من سلاح خدمة الجيش

١ من سلاح المهمات

١ من البحرية

٨ من الطيران

ويعترف أبو الفضل بأن هذا التنظيم كان تنظيما موسعا وكانت تنقصه شروط الأمن الكافية ومع ذلك لم ينكشف أمره إلا بعد حملة فلسطين ، ويقول أبو الفضل : « ولا أدعى أن هذا التنظيم هو نفس تنظيم الضباط الأحرار . لكن بعد عودتنا من حملة فلسطين استمر التنظيم فى عقد اجتماعاته فى الوقت الذى كان فيه تنظيم الضباط الأحرار آخذًا فى التكوين ، ودخله بعض أعضاء من تنظيمنا ، كذلك انشق من هذا التنظيم فى مرحلة لاحقة تنظيم الحرس الحديدى وكان أغلبنا معارضين لفكرة تكوين الحرس الحديدى لتعاونه مع الملك ، وهو أحد عناصر الفساد المحددة . ولذا استبعدنا جميع الذين انضموا إلى الحرس الحديدى ومنهم : سيد جاد عبد الله ، وحسن التهامى ، ومصطفى كمال صدقى ، وخالد فوزى وغيرهم » .

وهكذا نرى بوضوح وربما لأول مرة أنه لم تكن هناك حدود فاصلة تمامًا بين تنظيم الضباط الأحرار والحرس الحديدى رغم حرص الضباط الأحرار (فيما بعد) على تأكيد وجود هذه الحدود . . وهذه الأسماء التى يشير إليها عبد الفتاح أبو الفضل فى هذه الفقرة هى أسماء عدد من المعروفين حتى اليوم بالإنتماء إلى تنظيم الضباط الأحرار الذى قام بالثورة فى ١٩٥٢ .

وقد حرص أبو الفضل فى كتابه على تسجيل أسماء أعضاء الحرس الحديدى بالكامل فى صفحة ٨٦ وهذا هو نص عباراته : « وكان الملك يستعين لفرض إرادته وتهديد خصومه واغتيالهم بزمرة من ضباط الجيش المغامرين ، أطلق عليهم اسم الحرس الحديدى وهم : الدكتور يوسف رشاد ، وحسن التهامى ، ويوسف حبيب ، وخالد فوزى ، وعبد الرؤوف نور الدين ، ومصطفى كمال صدقى ، وحسن فهمى عبد المجيد ، وعبد القادر طه ، وسيد جاد عبد الله سالم . ويبلغ من خطورة دور هذا التنظيم الإرهابى أنه عندما اختلف الملك مع أحد أفراد الحرس الحديدى نفسه الضابط عبد القادر طه قام الحرس الحديدى باغتيال هذا الضابط بأوامر الملك» .

(٤)

ويشير أبو الفضل إلى تنظيم آخر يطلق عليه لقب « تجمع » تكون فى عام ١٩٤٠ حين طالبت قيادة الجيش البريطانى فى مصر السلطات المصرية بأن يقوم الجيش المصرى بتسليم أسلحته إلى الجيش البريطانى ، وتكونت فى الحال مجموعة وطنية صغيرة من ضباط المدفعية فى حامية مرسى مطروح ، قررت فيما بينها وجوب تحريض باقى ضباط وقوات الحامية فى التصدى لهذا الأمر برفض تسليم الأسلحة لهم بأى حال ، كان هذا التجمع من الضباط المصريين يضم دون ذكر الرتب : عبد المنعم أمين ، وإبراهيم حافظ عاطف ، وأحمد فؤاد ، ومنصور المغربى ، وحافظ إسماعيل ، ومصطفى لطفى ، وحسين الهادى ، وانتهت الحرب العالمية الثانية ، ثم اشترك الجيش المصرى فى حملة فلسطين ، وتفرق شمل هؤلاء الضباط . وكذا تنظيم الوطنيين السرى » .

« وفى أوائل عام ١٩٥١ ، وبعد حملة فلسطين تجمع شمل بعضهم وانضم إليهم الضابطان عبد الحميد الدغيدى وحسين محفوظ . وإزاء ما كان يعانيه الشعب المصرى - وقتها من تجاوزات السفارة البريطانية وتسلطها على أمور البلاد ، وخضوع القصر والوزراء لها ، وبسبب الفشل الذى عاد به الجيش المصرى من حملة فلسطين نتيجة جهل القيادة وتصرفات السياسيين ، وفضائح صفقات الأسلحة التى كان للحاشية الملكية ضلع فيها ، عاد هذا التجمع ، أو التنظيم ، إلى الاجتماع فى منزل إبراهيم حافظ عاطف بشارع جسر السويس وتشاوروا وقاموا بصياغة انتقاداتهم فى أمور بلادهم فى شكل منشورات ، وقام إبراهيم حافظ عاطف بمسئولية كتابة وطبع وتوزيع هذه المنشورات من داخل الوحدة التى كان يقودها فى مدرسة المساعدة الجوية ، وساعده فى الكتابة على الآلة الكاتبة الكاتب المدنى المرحوم صلاح عبد الحميد ، وتطوع الضابط المرحوم على لبيب حسنى بالطباعة كما اشترك بعض المدنيين فى مرحلة لاحقة فى هذا العمل ، ومنهم المرحوم الدكتور عبد الحميد حسين ، وكان لمنشورات تلك المجموعة صدى طيب الأثر فى أوساط الضباط الذين وزعت عليهم ، وبمجرد توزيع أول منشور ، اتصل بالمجموعة كمال الدين حسين وعلى فوزى يونس واقترحا البدء فى عمل تنظيم وخلايا حتى يتحقق العمل الجاد المنظم بأقصى قدر من الأمان » .

(٥)

كما يشير أبو الفضل إلى المجموعة التى كونها مصطفى كمال صدقى من تنظيم ١٩٤٦ وضم إليها بعض صولات الجيش ومنهم الصول جمال جلال الذى أبلغ فى أكتوبر ١٩٤٧ عن أسماء ٢٩ ضابطًا متآمرًا ، وأمر النقراشى باشا رئيس الوزراء بمراقبة هؤلاء الضباط فلم يثبت عليهم أى تآمر ، ولم يتخذ ضدهم أى إجراء (نلاحظ هنا أن جمال منصور فى مذكراته التى عرضناها

فى الفصل الخامس يذهب إلى أن النقراشى هو الذى شجع الوصول على الوشاية » ولما لم يستجب رئيس الوزراء لهذا البلاغ قام الصول جمال جلال بتبليغ ذلك إلى عطا الله باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، الذى أبلغ بدوره الملك « فاروق » وأمر الملك عطا الله باشا باعتقالهم ، وجرى التحفظ عليهم فى ميس المشاه ، وأجرت النيابة العامة معهم تحقيقات قام بها النائب العام حافظ سابق ، ولم يثبت عليهم أى شىء وأفرج عنهم وكان من الضباط المعتقلين كل من (دون ذكر الرتب) : رشاد مهنا ، عبد الرءوف نور الدين ، عثمان فوزى ، عبد الحميد كفافى ، أحمد يوسف حبيب ، صول فنى محمد حسين ، أنور الصيحى ، عبد القادر طه ، أحمد فؤاد ، مصطفى كمال صدقى ، حسن فهمى عبد الحميد ، مصطفى نصير، عبد المنعم عبد الرءوف ، ممدوح جبة . وعقب ذلك أعفى عطا الله باشا من منصبه ، وعين بدلاً منه عثمان المهدى باشا رئيسًا لهيئة أركان حرب الجيش » .

(٦)

وفى هذه المذكرات فقرة مهمة جدًا عن حرب فلسطين ترينا أن التهوين من شأن العدو كان فيما يبدو ظاهرة متأصلة فى بعض قادة الجيش المصرى منذ ما قبل الثورة ولنقرأ ما يرويه أبو الفضل : « جاء يوم ١٣ مايو وكنت ضابطًا برتبة ملازم أول بالكتيبة التاسعة مشاة، فصدرت الأوامر بالتحرك إلى حدود فلسطين وتوجهت الكتيبة بجميع وحداتها إلى رصيف محطة العباسية العسكرية بالقاهرة . وقبل أن نصعد إلى القطار الحربى الذى أقلنا إلى الميدان حضر إلينا قائد القوات المصرية المعين لقيادة هذه الحملة اللواء المواوى . وبعد فترة حضر أيضًا رئيس هيئة أركان حرب الجيش اللواء عثمان المهدى باشا . وقبل أن يتحرك القطار أطل علينا المواوى وإذا به يلقى علينا خطابًا استهان فيه بقوات العدو فأخذ يصفها بأنها كالعصابات الإجرامية التى يطاردها البوليس المصرى فى الصعيد ، واندهش الكثير منا لمدى استهتار القائد الموكل إليه أرواح شباب الأمة ، حيث إن جميعنا قد قرأ فى الصحف قبل قيام الحملة عن عنف الإرهاب الصهيونى ، وما كان يعانيه الجيش البريطانى نفسه على يد تلك العصابات ، بالإضافة إلى الفيلق اليهودى المدرب على أحدث فنون القتال التقليدى » .

أما الصفحات ٥٥ ـ ٦٩ فتحمل كثيرًا من التفصيلات الدقيقة عن أعمال البطولة فى حرب فلسطين التى شارك فيها عبد الفتاح أبو الفضل وعدد من زملائه الشهداء والأبطال ، وكان عبد الحكيم عامر واحدًا من هؤلاء وفى صفحتى ٦٢ و ٦٣ ما يدلنا على أن عبد الحكيم عامر كان يتمتع بذكاء عسكرى وقدرة على التخطيط الجيد فى أوليات حياته العسكرية .

(٧)

كذلك يحدثنا عبد الفتاح أبو الفضل أنه بعد الانتهاء من توقيع اتفاقية الجلاء فى يوليو ١٩٥٤ علم أن مهمته القادمة ستكون فى السودان وأنه سيعمل كمراسل صحفى لجريدة الجمهورية ، وبنفس القدر من الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة والحرص على المعرفة المتكاملة بدأ أبو الفضل مهمته فى السودان ، ويورد عبد الفتاح أبو الفضل مثلاً بسيطاً ومهماً لقدرة المستعمر الإنجليزى على صياغة نفسية الشعب السودانى بحيث شوه العلاقة الأخوية المصرية السودانية ، وذلك حيث يقول : « حضرت فى إحدى الأمسيات عرضاً سينمائيًا بإحدى دور العرض بالخرطوم وحين عرضت الجريدة الإخبارية الناطقة فى بداية العرض ، ظهرت ملكة بريطانيا فى إحدى الفقرات وفى إحدى المناسبات البريطانية ، وكانت تمتطى صهوة جواد من خيول الحرس الملكى المطهمة وترتدى ملابس الحرس الملكى الملونة الفخمة فتؤدى التحية العسكرية للحرس المصطف أمامها فى خشوع ونظام ، عند ذلك ضجت قاعة السينما المحتشدة بالشعب السودانى ، وأخذوا يصفقون أثناء هذه اللقطة تصفيقًا شديدًا ويهمهمون استحساناً ، وتلت هذه الفقرة أخرى ظهر فيها جمال عبد الناصر وهو يخطب فى الجماهير المصرية وركزت الجريدة الناطقة الأجنبية عليه وهو فى حالة عصبية ظاهرة ويضرب بيده على المنصة بحماس فما كان من نفس الجمهور السودانى إلا أن ضج بالأصوات المعادية والسخرية لمرأى عبد الناصر » .

ويحدثنا أبو الفضل عن إحدى الفوائد الاقتصادية الهامة لعمله فى المخابرات فى السودان فيذكر قصة إدراكه للأهمية الاستراتيجية للصمغ العربى ويقول : « خلال رحلتى للأبيض اصطحبت معى مساعدى فى المكتب عبد الفتاح فرج السودانى الأصل الجنوبى . . وفى أحد أيام الرحلة استيقظت مبكرًا وبعد أن تناولنا الإفطار خرجنا معًا فى جولة بالمدينة ، واسترعى انتباهى مبنى على النمط الأوروبى الحديث ، وفى ملابسهم البيضاء الناصعة أحاطت جموع غفيرة من السودانيين بالمبنى ، ولاحظت أحد الأجانب الذين يقيمون معنا بالفندق ، وهو يقف بجوار المبنى ويتحدث مع فريق من جموع السودانيين ، أثار الموقف فضولى فسألت عن سر المبنى وسبب تجمع الناس من حوله . فعلمت أننا فى موسم لتسويق محصول السودان من الصمغ العربى وأن السودان تستأثر بحوالى ٨٥٪ من حصة الإنتاج العالمى لهذا المحصول ، أما المبنى الحديث هذا فهو مبنى بورصة الصمغ العربى . . والرجل الأجنبى الواقف فى وسط السودانيين هو مندوب الحكومة البريطانية ويعمل مستشارًا لشركات تجارة الصمغ العربى . . وقد اعتاد على الحضور كل عام فى هذا الموسم ليشرف على عملية تجارة الصمغ العربى ، أما باقى السودانيين ذوى الملابس الوطنية البيضاء فمعظمهم مندوبون للشركات الأجنبية التى تقوم بشراء الصمغ العربى من السودان ، « والأبيض » تعتبر مركز تجميع هذا المحصول ،

ودفعنى الفضول لدخول مبنى البورصة فلم يعترضنى أحد إلا أن الجميع أخذوا ينظرون إلىّ مستغربين ومستفسرين عمن أكون ، وتغاضيت عن هذا ووقفت أراقب ما يحدث ، فبدأت المزيدات لشراء وبيع الصمغ العربى ولاحظت أن ثلاثة فقط من مندوبى الشركات هم أنشط المندوبين حيث تمكنوا من الحصول على معظم المحصول المطروح فى البورصة وبأسعار متفاوتة بنسبة ضئيلة جدًا . وعند الاستفسار علمت أن مندوب شركة جلاتلى وهانكى Glatly and Hanky هو الذى تمكن من الحصول على معظم الكمية المطروحة ، وإن هذه الشركة البريطانية يرأس مجلس إدارتها الجاسوس البريطانى الشهير فى البلاد العربية « عبد الله فلبى » وكان يشغل فى الوقت نفسه منصب المستشار السياسى للملك سعود . أما ما تبقى من المحصول فقد حصلت عليه أيضا شركتان بريطانيتان وهكذا احتكرت بريطانيا الصمغ العربى » .

« وعند وجودى فى أول إجازة بمصر اتصلت بالدكتور رياض تركى وكان رئيسًا لمركز البحوث القومى وبعد سرد القصة كاملة عليه فكر قليلاً ثم أجاب إنه يعلم أن الصمغ العربى له استخدام هام فى تكنولوجيا استخراج البترول . وأشار على بزيارة حقول البترول البريطانية فى البحر الأحمر التابعة لشركة شل (Shell) وأعطانى اسم أحد المهندسين الجيولوجين المصريين العاملين هناك ، وهو من تلاميذه وعلمت بالفعل أن الصمغ العربى يستخدم فى عملية حفر آبار البترول ، فعندما تدور البريمة بسرعة فائقة خلال عملية الحفر ينتج عن تلك الحركة السريعة حرارة مرتفعة فيبرد بواسطة خليط من الطفلة والصمغ العربى ويسمى هذا الخليط Draga Gum . وكذلك عندما يتأكد من وجود البترول تصنع ماسورة خاصة من نفس هذا الخليط ليمر من خلالها البترول المتدفق من البئر ، فهذه الماسورة الخاصة هى الوحيدة القادرة على مقاومة تيار البترول المتدفق واحتكاكاته كما تحمى البريمة أثناء عملية الحفر من التآكل والكسر » .

« وعند عودتى إلى القاهرة وإطلاعى على إحصائيات التجارة الدولية تبين لى أن بريطانيا كانت وقتها هى المحتكر الوحيد لتجارة هذه المادة وأنها تعيد بعد ذلك توزيعه وبيعه إلى جميع الدول المنتجة للبترول ، وبناء على ذلك رفعت تقريرًا يتضمن قصة الصمغ العربى كاملة مع التوصية بأن تحاول مصر فى السنة التالية وفى موسم المحصول أن تقوم بشراء الصمغ العربى عن طريق بنك مصر فرع السودان وهو فرع كان يرأسه الأستاذ عمارة ، وبالفعل فى السنة التالية ، وكنت قد تركت العمل بالسودان ، علمت أن بنك مصر هناك قد تمكن من دخول المزاد ، ونتيجة للمنافسة تسبب فى رفع السعر لصالح المنتج السودانى وحصلت مصر على حصة مجزية من النصيب الذى احتكرته بريطانيا طويلاً » .

(٨)

ويحدثنا أبو الفضل فى فصل كامل عن دوره ودور زملائه فى المقاومة السرية ضد الاحتلال أثناء العدوان الثلاثى على مصر ، وفى هذا الفصل يسجل أبو الفضل أدوارًا بطولية متعددة قام بها الضباط وأبناء الشعب على خير وجه مما ساعد على تحقيق جلاء القوات المعتدية فى النهاية .

وفى هذا الكتاب لا يجد عبد الفتاح أبو الفضل حرجًا فى أن ينتقد جهاز المباحث العامة فى صراحة ووضوح ، وهو مثلاً ينتقد تقاريرها عن صلاح حسين فى صفحة ٣٧٢ فقد جاء فى أحد خطاباتها أنه شيوعى وفى خطاب آخر أنه « إخوان مسلمين » ، كما يروى قصة درامية لتقرير المباحث العامة عن أحد الشبان الوطنيين الذى كان على وشك التعيين فى المخابرات لولا تقرير المباحث العامة الذى يتحدث عنه أبو الفضل فى ص ٢٦٨ بقوله « وشعرت بكثير من الرهبة والخوف لخطورة المعلومات المضللة التى يقوم بالحصول عليها جهاز المباحث العامة والتى قد تتسبب فى الضرر البالغ لأشخاص أبرياء . . . » . وليس هذا الكتاب مجالاً لحصر انتقادات أبى الفضل للمباحث العامة ولكنها نقطة من النقاط التى أثارها والتى لابد لنا أن نسجلها وإن كنا لا نستطيع بحكم قصور وسائلنا أن ندخل فى تحليل مثل هذه الانتقادات .

(٩)

كذلك فإن عبد الفتاح أبو الفضل يحكى مأساة ١٩٦٧ من وجهة نظره بكل ما فيها من أسف وأسى ، وهو يروى كيف أنه شاهد قوات الاحتياط فى محطة سكة حديد القنطرة شرق فى حالة يرثى لها من الفوضى ، وهو يصف حالها فيقول : « فوجئت فى المحطة بحالة من الفوضى لقوات الاحتياط يعجز الإنسان عن وصفها ، والمفروض أنها على وشك الاشتراك فى القتال فى الجبهة ، كان الكل فى ملابس مدنية ومعظمهم بجلابيبهم الريفية ويحملون بنادقهم وليس هناك أى زى عسكرى ، جمعوا من قراهم على عجل ودون أى ترتيبات إدارية ، وتسلموا أسلحتهم فقط وهم بجلابيبهم المدنية وشحنوا فى السكة الحديد كالدواب دون أى تجهيز أو ترتيب إدارى من مأكل أو مشرب أو راحة ، كانوا يتدافعون لشراء طعامهم من الباعة الجائلين بالمحطة فى فوضى شاملة لا يتعدى مظهرهم خفر الريف إن لم يكونوا أقل مستوى من ذلك ، حشد هائل من الشباب والرجال الضائعين نتيجة إهمال واستهتار سلطات القوات المسلحة بآدميتهم وإنسانيتهم ، انعكس الشعور بالضياع علىّ كرجل عسكرى ومقاتل سابق وسألت نفسى : « هل هذه هى حالة قواتنا التى سنواجه بها جنود عدوتنا إسرائيل ؟ وفى المقابل - هل عدوتنا إسرائيل عندما أعلنت التعبئة عاملت شبابها بهذا الأسلوب غير الآدمى ؟ » .

« اعتذرت عن عدم إلقاء أى كلمات وغادرت المحطة حزينًا متشائمًا من هذه المأساة

الإنسانية ، كل ذلك جعلنى عندما عدت إلى مكتبى بالقاهرة أبادر بكتابة مقال فى نشرة الاشتراكى ظهر فى العدد ٦٢ بتاريخ ٢٧/ ٥/ ١٩٦٧ عن المواجهة المنتظرة مع إسرائيل جاء فيه « إن المواجهة بيننا وبين إسرائيل هى تحد حضارى أى صدام كامل بين مجتمعين وليس مجرد جيش ».

قد نستطيع أن نسأل أنفسنا هنا سؤالا بسيطًا : هل كان مقال أبو الفضل فى نشرة الاشتراكى كافيا لأن يقرع أجراس الخطر ؟ وهل كان هذا المقال هو أقصى ما يستطيعه نائب رئيس المخابرات السابق ؟

ويحدثنا أبو الفضل بنفس الشعور حين جاءه طلاب مصريون بالجامعة الأمريكية ووضعوا أنفسهم بحماس كبير تحت تصرفه فلم يستطع أن يجد جهة حكومية تلبى هذا التطوع الشعبى ، ثم يحكى لنا قصة اجتماع المجلس الأعلى للمقاومة الشعبية قبل المعركة بأسبوع فيقول : « وفى صباح يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٦٧ عقد أول اجتماع للمجلس الأعلى للمقاومة الشعبية بجميع أعضائه برئاسة السيد زكريا محيى الدين وحضر الاجتماع كبار قادة الجيش وبعد توزيع الواجبات ، أسند إلىّ قيادة تنظيم المقاومة الشعبية فى منطقة القتال ، ولما سألت عن الترتيبات المتاحة لأجل تجنيد وتدريب وتنظيم وإمداد من سأقودهم من شعب القنال تبين لى أن الحرس الوطنى سيوضع تحت تصرفى فى وقت اللزوم وسيكون جاهزًا لأى عمليات دون الحاجة إلى تشكيل مقاومة شعبية كما حدث فى ١٩٥٦ ، وجاء دور قائد الحرس الوطنى الضابط يوسف حسن محمد وسبق لى الخدمة معه فى الجيش وقال : إنه استكمالاً لتقوية قواته فإنه فى حاجة إلى تشكيل ثلاثة لواءات جديدة ، سألت رئيس الاجتماع عن الزمن الكافى لتشكيل هذه اللواءات الثلاثة فأجاب بأنه يمكن تشكيلها فى وقت من أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع ، أثارنى هذا الرد غير المنطقى وانفعلت قائلاً : « إن ثلاثة لواءات معناها عدديًا لا يقل عن ثمانية آلاف جندى وإن أى قائد عسكرى لو أعطى هذا العدد من قطع الشطرنج لفشل فى رصها وتشكيلها فى مثل هذه المدة ناهيك عن التشكيل والتدريب والإعاشة ، وتسليح هذا العدد الهائل من الرجال ، وقبل نهاية الاجتماع طلبنى السيد زكريا محيى الدين لمقابلته فى مكتبه ، وسألته وأنا فى غاية القلق عما إذا لم تكن القيادة السياسية فى الدولة وعلى أعلى مستوى قد اجتمعت وناقشت تقرير موقف عن حالة الحرب المنتظرة للوقوف على مدى قدرة مصر على الصمود والمواجهة إزاء أى عدوان محتمل قد تشارك أو تساهم فيه أى من الدول الكبرى مع إسرائيل ، على الأقل من ناحية التموين والوقود وخلاف ذلك من الاحتياجات الاستراتيجية الهامة ، كان الرد أن الرئيس عبد الناصر اكتفى بوعد أخذه من المشير عامر بأن الجيش المصرى إذا دخل المعركة مع إسرائيل فسوف ينتصر على طول الخط » .

(١٠)

وبعد وقوع الواقعة في ٥ يونيو يروى لنا أبو الفضل أحداثًا مهمة حدثت في ثاني أيام الحرب أي في ٦ يونيو فيقول : « وفي فجر ٦ يونيو كان هناك إنذار بغارة على القاهرة ، توجهت بعدها مباشرة في الصباح المبكر إلى مبنى المخابرات العامة ، وقابلت رئيس المخابرات العامة ، وأشار عليّ بالمشاركة في اجتماع مع رؤساء هيئات المخابرات لوضع تقدير موقف بناء على آخر المعلومات عن قواتنا وقوات العدو والمؤامرات الخارجية ، وأثناء وجودي في هذا الاجتماع اتصل بي زكريا محيى الدين بصفته رئيس المجلس الأعلى للمقاومة الشعبية وطلبني لمقابلته في الحال لأمور تخص المقاومة الشعبية، وفي مكتبه وجدت كلاً من كمال رفعت ، وإسماعيل فريد ، ولطفي واكد ، وطلب منا التوجه في أقرب فرصة إلى منطقة القنال ليتولى كل منا قيادة المقاومة الشعبية في إحدى مدن القنال الأربعة السويس والإسماعيلية والقنطرة وبورسعيد . وأوصانا عند وصولنا إلى مدينة الإسماعيلية أن نذهب إلى قيادة الجيش هناك التي قد يمكنها مدنا بما نطلبه من معدات وأسلحة وذخائر للمقاومة وبعد خروجنا من مكتبه اختار كل منا المدينة التي سيذهب إليها ، وكان إسماعيل فريد للسويس ، وكمال رفعت للإسماعيلية ، ولطفي واكد للقنطرة ، وأنا لبورسعيد ، اجتمعنا بعد الظهر وبعد تجهيز أنفسنا للسفر إلى الإسماعيلية في مكتب عباس رضوان بالأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي ، وكان هناك كثير من الزملاء منهم أمين الشباب الدكتور حسين كامل بهاء الدين وأشرت عليه بكل الصدق وحسن النيه بالمشاركة في المقاومة بمنظمة الشباب التي يشرف عليها حيث إننا في سبيل الذهاب إلى منطقة القنال وطلبت منه ، إما الذهاب معنا لتولى قيادة شباب المنظمة هناك ، أو إمدادنا بقادة وأعضاء وأفراد منظمات الشباب سواء من أنحاء الجمهورية بعامة أو من منطقة القنال بصفة خاصة ، لأن هذا الوقت كان هو وقتهم ، لم أحظ منه بأية إجابة ، وتظاهر بالانشغال ، وترك المكان وحتى لم أحظ منه بأي تعليق ويحتمل أنه كان محرجًا لعدم صدور أوامر له بذلك » .

(١١)

ثم يروى أبو الفضل أنه كان موجودًا مع زميله اللواء عبد المنعم خليل في مقر القيادة بالإسماعيلية طيلة الساعة التي تولى فيها أحد القواد إصدار أمر التعليمات بالانسحاب على القادة الموجودين ، ويروى أبو الفضل واقعة مهمة تنبئنا عن مدى المظهرية والتمثيل اللذين كانا يسيطران على الجيش المصري فيقول : « قبل نهاية أمر العمليات سأل القائد قادة الوحدات بجملة تقليدية « أي أسئلة ؟؟ » ولم يوجه أي من قادة الوحدات بسيناء أي سؤال وقبل أن ينصرف القادة توجهت إلى صديقي وزميلي اللواء عبد المنعم خليل ، وقبل أن يغادر

غرفة القائد ، وسألته عن حقيقة أمر العمليات الذى سمعناه معهم لتونا يلقيه قائد القوات ؟ وهل كل هذه القوات التى ستنسحب والتى ذكرها موجودة فعلاً تحت السيطرة والقيادة وسليمة ولم تتحول بعد إلى فلول كالتى شاهدناها عند نقطة مرور العباسة قبل حضورنا بساعة ونصف . ضحك اللواء عبد المنعم فى مرارة وقال : إن كل ما سمعناه معهم هو تمثيل فى تمثيل، وإن ستار مسرحية الجيش المصرى قد أسدلت منذ بدء العدوان صباح ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ . قال أيضًا إن الجيش المصرى فى هذه اللحظة فى حالة بالغة من الفوضى ، وعدم السيطرة ، وقام فعلاً بالانسحاب تلقائيًا وقبل صدور هذه الأوامر الرسمية وليس هناك أى مظهر للتماسك غير هؤلاء القادة المتلقين لهذه الأوامر المزيفة .

وسألته لماذا لم يوجه أحد منهم أسئلة للقائد يستوضح فيها حقيقة الأوضاع كما يعلمها كل منكم ، ورد القائد عبد المنعم خليل فى أسف « إنه أثناء فترة القهر الطويلة لضباط الجيش بين عامى ٥٦ ، ٦٧ تعودوا على السكوت وعدم توجيه الأسئلة التى قد تكون محرجة للقيادة . وأضاف فى مرارة إن كل ما استمعنا إليه فى أمر العمليات عن توفير الوقاية الجوية والأرضية للقوات المنسحبة غير متوفر فى هذه اللحظة فى القوات المسلحة ، وإنه يتوقع مذبحة جوية على القوات المنسحبة فى الصباح ، خصوصًا فى مناطق عبور القناة وعلى طول طريق الانسحاب المفتوحة » .

(١٢)

على أن أبو الفضل بحكم عدائه التقليدى لشمس بدران [وهو عداء له ما يبرره وليس منتقدًا على أية صورة] حريص على أن يورد لنا ضمن حديثه عن هزيمة ١٩٦٧ هذه الفقرة المهمة حيث يقول فى ص ٢٩٩ : « وفى بورسعيد قابلت أحد الضباط الذين حضروا شاردين من سيناء ولما سألته عن السبب فى عدم التحامهم مع الجيش الإسرائيلى وكان من الواجب بعد أن فقدنا السيطرة الجوية أن يقوم الجيش المصرى بالالتحام مع الجيش الإسرائيلى بحيث يصعب على الطيران الإسرائيلى فى هذه الحالة أن يتدخل ، وكان هذا هو الأمر الطبيعى للخروج من مأزق السيطرة الجوية الإسرائيلية ، وجاء رده ليعكس شعور وحالة ضباط الجيش تجاه قيادتهم وقال : « لم يكن لدينا كضباط الدافع لبذل أى مجهود لأننا لو انتصرنا كنا سننتصر لأجل أن يصل شمس بدران فتى القيادة المدلل ليكون رئيس جمهورية ، وأضاف إن كل من كان وقد أوقعه الحظ السيء من كبار قادة الجيش أو الضباط ليواجه شمس بدران بأى معارضة أو خلاف فى الرأى كان مصيره التعذيب والاضطهاد والإذلال بما هو فوق طاقة البشر . فهل كنت تريدنا أن ننتصر لأجل أن يصل الانتهازيون إلى أعلى المراكز ؟ وبعد أن انصرف هذا الضابط علق الدكتور محمود فهمى الذى كان حاضرًا هذه المناقشة بأن هذه هى الخيانة الكامنة

فى أوضح صورها » ، وظهر بعد ذلك أن ما توقعه الضابط كان صحيحًا حيث عُلم بعد ذلك أن شمس بدران كان فعلاً بعد الهزيمة من أول المرشحين لرئاسة الجمهورية وحتى قبل أن يتم التفكير فى زكريا محيى الدين » .

(١٣)

وعلى نفس الخط يجهر أبو الفضل بانتقاده لمحمد فوزى حيث يقول : « وفى يوم الخميس ٢٢ يونيو دعانى القائد العسكرى لمنطقة بورسعيد اللواء المقدم كقائد للمقاومة الشعبية للقاء المارشال زخاروف رئيس هيئة أركان حرب القوات السوفيتية بعد مروره مع قادة الجيش المصرى الجدد على وحدات الجيش المصرى والمقاومة الشعبية فى بورسعيد وبورفؤاد ، وأثناء انتظار ميعاد الغداء ونحن جالسون دارت مناقشة بينى وبين الفريق محمد فوزى وزير الحربية ، وكنت أتساءل عن مدى خطورة استطلاع الأقمار الصناعية على خطوطنا الدفاعية لأنى كنت قبلها قد لاحظت ليلاً مرور هذه الأقمار الصناعية فوق سماء المنطقة ولفت نظرى إليها أحد أفراد المقاومة أثناء مرورى عليهم فى مواقعهم ، وكان رد الفريق فوزى أنه لا خطورة إطلاقًا من هذه الأقمار لأنه نظرًا لارتفاعها الشاهق فإن أجهزتها لا يمكنها أن تميز بين العربة الجيب وجهاز الرادار ، وأجبته بأن هذا مخالف للحقيقة لأن الطائرة الـ U2 الأمريكية التى سبق أن تمكن السوفيت من إسقاطها سليمة ، بعد فحص أجهزة التصوير التى كانت بها وجد أن أجهزتها قادرة على تصوير رأس المسمار الشيشة من ارتفاع ١٢ ألف قدم ، وتصوير مانشيت الجريدة على ارتفاع ٢٢ ألف قدم وقد نشر كل ذلك فى أحد أعداد مجلة لايف الأمريكية الذى تصادف لى الاطلاع عليها ضمن موضوع شامل عن التصوير وذلك قبل العدوان ، فوجئ الحاضرون بالمارشال زخارف يخبط بيده على الطاولة بشدة ويوجه الكلام بالإنجليزية إلى الفريق فوزى الذى كان بجانبه ويشير قائلاً « المقاومة الشعبية على حق » ويكمل حديثه «لأننا فى الاتحاد السوفيتى لدينا جداول زمنية بمواعيد مرور الأقمار الأمريكية وأثناء مرورها فى سمائنا نغطى ونموه جميع دفاعاتنا » ، وكان بجانب زخاروف أحد المترجمين الروس قام بترجمة الحديث بينى وبين الفريق فوزى له» ، ويعلق عبد الفتاح أبو الفضل بعد هذه القصة مباشرة فيقول : لا عيب فى ألا يتمكن أى قائد من الاطلاع بنفسه على كل ما يجيء بالمجلات ، ولكن يجب أن يكون لديه مكاتب متخصصة ومخابرات تمده بكل ما يمس عمله ، عمومًا لم يكن هذا غريبًا عليه أو على من حوله من قادة الجيش الجدد لأنهم جميعًا كانوا مسئولين بشكل أو بآخر عن الهزيمة . فبهم من كانوا يشغلون مراكز قيادية عليا فى الجيش ولكن الذى تغير فقط بعد الهزيمة هو المشير عامر وهيئة مكتبه ، ولم يحدث التغيير الجذرى فى الجيش ونفس الشيء حدث فى القيادات السياسية العليا والتى كان يجب أن تهتز هى الأخرى » . وهكذا نجد أبو

الفضل يذهب إلى ما لم يذهب إليه غيره من المنتمين للمؤسسة العسكرية ويجاهر بأن التغيير كان لابد وأن يشمل كل هؤلاء القواد الذين انتصروا فيها بعد فى ١٩٧٣ .

على أن عبد الفتاح أبو الفضل فى ص ٣٠٧ وقبل نهاية كتابة بفقرة واحدة يدين كذلك الرقابة على الصحف من دون أن يصرح بذلك ، فهو يروى واقعة معركة رأس العش ثم ينهى قصتها بقوله : « وقام الصحفى جلال كشك بكتابة مقال لجريدة الجمهورية عن أبعاد ونتائج هذه المعركة أنهاها بثلاث كلمات صادقة « وقفنا ، وقاتلنا ، فانتصرنا » ولكن الرقابة حذفت الكلمات الثلاث !

(١٤)

وفى معرض حديثه عن دوره فى السودان يحدثنا أبو الفضل أنه اكتشف أن « ملس عندوم » رئيس مكتب اتصال الجيش بالسودان كان عميلاً للولايات المتحدة . . ولكنه يردف ويقول : «وللأسف وعلى الرغم من كشف العلاقة المريبة « لملس عندوم » والتى سجلتها فى المخابرات المصرية إلا أن مصر وافقت فى وقت لاحق أن يكون سفيرًا للحبشة بمصر ولفترة طويلة ، وكان عميدًا للسلك الدبلوماسى الأجنبى فى مصر ثم أكرمته مصر فصار لاجئًا سياسيًا بعد سقوط هيلا سلاسى .

(١٥)

ويحرص أبو الفضل فى مذكراته على إدانة الإخوان المسلمين بأنهم قاوموا اتفاقية الجلاء بعد عقدها ويقول بصراحة فى صفحة ١٤٦ « واستمرت عناصر الرفض ـ وكان معظمها من الإخوان المسلمين ـ فى إحداث قلاقل فى منطقة القنال كما تم نسف بعض الكبارى والطرق . وكان رد الدولة حاسماً باعتقال الفاعلين ، وقبل هذا فإن أبو الفضل يبدى استياءه من رفض الشيخ محمد فرغلى المشاركة فى الدفاع عن المدنية ويقول : « وذهبت لمقابلة فضيلة الشيخ محمد فرغلى رئيس الإخوان المسلمين بالإسماعيلية للمشاركة بشباب الإخوان فى الدفاع عن المدينة ، إلا أنه رفض وأخذ ينتقد عملية خطف الجندى البريطانى « ريجدن » وأكد أنه لم يكن لها أى مبرر أو معنى فشكرته على ذلك ، وانصرفت فى الحال ، ولكنه يذكر بعد ذلك أن الشيخ فرغلى قد اتصل به تلفونيًا بعد إذاعة بيان صلاح سالم برفض الإنذار وأبدى استعداده وشباب الإخوان للدفاع عن المدينة ص ١٤١ . ولكنه فى الحقيقة يذكر جانبًا آخر مهما هو إخلاص إخوانى سابق هو أبو المكارم أبو الخير وغيرته حين قابله فى تركيا (ص ٢٢١) .

وأبو المكارم هذا هو الذى يرد ذكره كثيرًا فى مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف والذى ما يزال يحتاج إلى دراسة لأدواره قبل الثورة وبعدها .

(١٦)

على أن من أهم ما فى كتاب أبو الفضل أنه ينبئنا عن تلك الروح الوطنية العظيمة التى كانت تسيطر على أغلبية الضباط فى الجيش المصرى ، وسنجد أمثلة على هذه الروح فى مواضع متفرقة :

١ ـ ففى هذا الكتاب أول إشارة إلى أن اللواء على نجيب شقيق اللواء محمد نجيب كان هو الآخر يحضر الاجتماعات التى كانت منشورات الضباط الأحرار تدعو إليها والتى يتحدث عنها أبو الفضل فيقول : « وكانت الاجتماعات التى ندعو لها بالمنشور يحضرها أعداد كبيرة من كبار وصغار الضباط ، وكان يواظب على حضورها جميعًا اللواء محمد نجيب وشقيقه اللواء على نجيب ، ولم يكن يتم فى تلك الاجتماعات أى نشاط أو كلام بالطبع ، وكنا فقط فى شبه مظاهرة لا يُعرف منظمها والكل يسلم على الآخر ونتناول المشروبات الخفيفة ثم الأحاديث العادية وكل منا ينظر للآخر فى ريبة وتخمين لاستكشاف مَنْ هو مصدر هذه المنشورات والدعوة إلى هذه الاجتماعات » .

٢ ـ أما « الموقف الوطنى الذى لا ينسى » ، فهو عنوان فصل من فصول هذا الكتاب ، وهو موقف يستحق أن يروى هنا لأنه ينبئنا عن أن الروح العامة الكفيلة بتحقيق إضافات مهمة إلى النجاح الذى تحققه أى حركة وطنية ، وهو ما يتضح من رواية أبو الفضل حيث يقول : « فى أواخر عام ١٩٥١ كنت لا أزال أعمل بالسجن الحربى . وفى أحد الأيام ، عقب عودتى من التفتيش على السجن الحربى بالإسكندرية ، حيث قضيت يومين هناك وبمجرد دخولى من باب السجن بالعباسية ، لكى ألتقط سيارتى (القيات) الخضراء التى كنت قد تركتها بفناء السجن ، تم إبلاغى أن قائد السجن أمين مصطفى الخشاب ينتظرنى عند العودة وعلىَّ أن أتوجه إلى مكتبه فورًا ، دخلت على قائدى فبادر بإخبارى أن قائد البوليس الحربى عصام المصرى حضر إليه بالأمس خلال وجودى بالإسكندرية ومعه كشف بأرقام سبع أو ثمانى سيارات مدنية . . وأن إحدى هذه السيارات خضراء اللون وقد شوهدت فى إحدى الليالى خلف قسم عابدين ، ترجل منها شخص أسقط رزمة من المظاريف فى صندوق البريد المثبت خلف جدار قسم عابدين ، وسأل الخشاب قائد البوليس الحربى لماذا يتم البحث عن سبع أو ثمانى سيارات ما دامت السيارة المشتبه فيها واحدة ؟ فأجابه بأن عسكرى البوليس لم يتمكن من قراءة جميع أرقام السيارة ربما لعدم إجادته القراءة أو لأن الإضاءة ليلاً لم تكن كافية أو لكلا السببين معًا . ولذلك تمكن من التقاط رقمين فقط من أرقام السيارة الستة . وأن البوليس اتصل بقلم المرور الذى أحضر كشفًا بعدد السيارات التى يشترك فيها هذان الرقمان ، ومن المتوقع أن تكون من بينها سيارة خضراء اللون وأنه قد تم حصر سبع أو ثمانى سيارات

مدنية ، وإحدى هذه السيارات مملوكة لضابط بالجيش المصرى يعمل بالسجن الحربى واسمه محمد عبد الفتاح أبو الفضل ، ولذلك جاء قائد البوليس الحربى للتأكد من رقم ولون هذه السيارة . عند ذلك الحد توقف الخشاب عن سرد القصة وسألنى مبتسماً إن كنت فعلاً قد اشتركت فى توزيع أى منشورات فأنكرت بطبيعة الحال ، وكان الخشاب ضمن من وصلهم أحد هذه المنشورات ، فأخرج المنشور من درج مكتبه وسلمه لى وهو يضحك ، ثم قال إنه ذكر لقائد البوليس الحربى أن العربة التى جاءت بالكشف والتى أملكها ليست خضراء اللون ولكنها ذات لون رصاصى غامق ، وبذلك انتهى الموضوع عند هذا الحد (حيث إن ألوان السيارات فى ذلك الوقت لم يكن يتم تدوينها فى رخصة السيارة) فإذا ما تم تغيير لون السيارة لن يكون فى وسع قائد البوليس الحربى أن يتأكد من شىء ، وابتسم قائدى الخشاب وهو يصافحنى قائلاً : إنه قد حان الوقت لأن أسرع بالعودة إلى المنزل ، فآخذ سيارتى فورًا لكى أدهنها باللون الرصاصى الغامق فورًا ، وبالفعل تركته وذهبت لكى ألتقط سيارتى من فناء السجن وتماوجت فى داخلى مشاعر الدهشة والامتنان ، وأنا أنظر إلى سيارتى التى وجدت لونها قد تبدل فعلاً من الأخضر إلى الرصاصى الغامق ، وعلمت بعد ذلك أن القائد الخشاب بعد انصراف قائد البوليس الحربى بادر بإحضار عدد من المسجونين الذين يجيدون دهان السيارات فقاموا فى وقت قصير بإزالة اللون الأخضر تمامًا ، ثم قام قائدى واشترى على نفقته مسدس « دوكو » وكلفهم بالدهان والتلميع حتى تبدل لون السيارة ، لم ولن أنسى هذا التصرف الرجولى من قائدى الخشاب الذى يعبر أصدق تعبير عن علاقات الإخاء والرجولة والشهامة والوطنية فى تلك الأيام » .

(١٧)

ويكشف لنا عبد الفتاح أبو الفضل فى هذا الكتاب عن وجهة نظر مهمة ينسب الفضل فيها إلى الشباب وإن كان هو نفسه مقتنعا بها حيث يرى أن الجماهير التى خرجت فى ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧ تهتف لعبد الناصر لم تخرج للتمسك به وبنظامه ولكنها خرجت مطالبة بتصحيح الأخطاء لأن من خرّب مصر عليه أن يحقق النصر ، وها هو عبد الفتاح أبو الفضل يفيض فى هذا المعنى فيقول : « بعد عودتى من بورسعيد بأيام ، بعد النصر فى معركة رأس العش كنت أزور شقيقتى وكان أولادها الشبان من طلبة الجامعة مجتمعين فى غرفة مجاورة مع زملاء لهم ، طلب منى أولاد شقيقتى أن أجتمع بزملائهم بعد أن علموا بوجودى وأننى كنت أقود المقاومة الشعبية فى بورسعيد ، بالإضافة إلى عملى كواحد من قيادات العمل السياسى بالاتحاد الاشتراكى ، لاحظت منذ بداية الحوار مدى تحفزهم وسخطهم من النتائج التى وصلت إليها مصر بهذه الهزيمة وبهذا الحجم ، طلبت منهم أن يعبروا عن أنفسهم سواء على شكل أسئلة أو استفسارات أو تعليق على أن يتركوا لى التعليق والإجابة فى النهاية ، وكانت جميع أسئلتهم

وتعليقاتهم مرآة عكست بصدق مدى شعورهم بالمرارة والسخط والإحباط والضياع ، وأنهم كانوا ضحية التغرير بهم من القيادات السياسية . وشعرت أن هذه الهزيمة كادت أن تصل بهم إلى حالة اليأس ، وهى أخطر الحالات التى تصاب بها الشعوب وبخاصة فئات الشباب ، وجاء دورى فى الحوار ، وحتى أعيد إليهم التوازن النفسى قمت بشرح معركة رأس العش والتى قام بها شباب وشيوخ مصر من المتطوعين والجنود أمام قوات إسرائيل المزهوة بحلاوة النصر ، وضربت مثلاً آخر بعملية إغراق السفينة الإسرائيلية الحربية « إيلات » على أيدى عدد قليل من جنود البحرية أبناء مصر ، هم طاقم زورق طوربيد صغير ، وأردت أن أختم حديثى بكلمة تشجيع فقلت لهم : إن البركة فى شباب مصر لتحقيق ما يبدو لنا الآن أنه مستحيل ، رد أحدهم بتلقائية صادقة « إن من خرّب مصر عليه أن يحقق النصر ثم على الشباب بعد ذلك وليس قبلها أن يتولى استئناف المسيرة وإن جيلكم (يقصد جيلى) هو الذى تسبب فى الهزيمة فعليكم إزالة هذا العار أولاً قبل أن تطلبوا منا أى عمل » .

« وتبعه شاب آخر قائلاً « أرجو ألا يتولاك كمسئول سياسى ومن النظام أى شك أو تفكير بأن مطالبة الشعب ـ بعد تنحى عبد الناصر بالتمسك به وبنظامه تأييدٌ له ، ولكنها مطالبة بتصحيح الأخطاء وإزالة الهزيمة وعلينا كشباب بعد ذلك أن نتولى المسئولية ، وإن ما عبر عنه زميلى بأن الذى خربها هو الذى يجب أن يصلحها هو تعبير صادق لموقف شعب مصر كله رغم ما شاب ذلك من مظاهر راقصة مخجلة من أعضاء مجلس الشعب » .

« وكان ردى : « كلامك مطابق للحقيقة ولذلك كان فى قبول عبد الناصر ونظامه المسئولية والاستمرار فى العمل العام لإزالة آثار العدوان أبلغ دليل على أن جيلنا ما زال فى الميدان ليصحح الأخطاء ، وسوف يتحقق النصر على الرغم من أننا خسرنا معركة ، وسواء أردتم أم لا فإن الشباب سيشارك فى إزالة هذا العار لأن المعركة القادمة كأى معارك مضت ، عمادها هو الشباب شباب الجيش وشباب العاملين ، وإننا لم ننكسر بدليل هذا التعبير الصادق عن تصميم الشباب الذى جاء على ألسنتكم حالاً » ، وبعد هذا اللقاء مباشرة [يردف أبو الفضل] صممت على ضرورة كتابة هذه المذكرات » .

(١٨)

وينبهنا أبو الفضل فى هذه المذكرات إلى أنه كان من حسن حظه [وإن لم يقل هذا] أن اكتشف مبكرًا مدى المأزق الذى وضعت الثورة فيه نفسها بانسياقها وراء الأمن ، ووقوعها بالتالى فى براثن الانتهازيين وهو يروى لنا واقعة فى غاية الأهمية حدثت معه هو نفسه فى وقت مبكر جدًا فيقول : « عند عودتى إلى المنزل وجدت على الباب عربة عسكرية وبها سائق من المخابرات . . بادرنى السائق بأن مدير المخابرات أرسله فى طلبى وإحضارى فى أى وقت ،

استبدلت ملابسى ، وارتديت الزى العسكرى ، وركبت معه إلى أن وصلنا لمبنى المخابرات ، ولكنه لم يدخل المبنى ، بل دخل مبنى مجلس قيادة الثورة وكان مجاورًا لمبنى المخابرات ، تعجبت لمدة قصيرة واستنتجت بسرعة سبب هذا الاستدعاء بهذا الأسلوب ودخلت غرفة كبيرة بها طاولة مستطيلة ، وأثناء انتظارى ـ لدقائق ـ على انفراد استرجعت واقعة اجتماع فى منزلى تم بينى وبين جميع الزملاء السابقين من تنظيم الضباط الوطنيين ، حدث بناء على طلبهم فى منزلى قبل يومين ، وتناولوا فيه مآخذ على بعض أعضاء مجلس الثورة وبالذات ضد أنور السادات الذى كان يلتقى فى مكتبه بدار الإذاعة بعدد من ملوك الأحزاب القديمة ، وبدأ يتوسط لهم كما كان يجرى فى دهاليز وكواليس الحكم قبل الثورة . . كما سجلوا مآخذ على تصرفات الثورة فى أنها تشغل نفسها بالكثير من توافه الأمور . . كانتداب أحد كبار ضباط الطيران (عبد الرحمن عبد العال) لمطاردة تجار الطماطم الذين يرفعون الأسعار ، وكان مندوب الثورة يجلدهم فى الشوارع والميادين مما يسىء إلى الثورة وكنت ـ لخطورة الموقف ـ قد اقترحت على المجتمعين أن نسجل هذه المآخذ على شكل تقرير أوصله إلى مجلس الثورة حتى لا يؤول الاجتماع تأويلات أخرى . وفعلاً دونا هذه المآخذ فى ورقة وأخذتها معى فى اليوم التالى ، وذهبت بها إلى مجلس الثورة وكان المجلس فى اجتماع وأبلغت شمس بدران سكرتير المجلس بما حدث باختصار ، وبمنتهى الصدق والصراحة ، وأعطيته التقرير المكتوب ليوصله للمجلس وانصرفت وصدق ظنى فبعد فترة قصيرة حضر السيد زكريا محيى الدين وجلس على رأس مائدة الاجتماعات وأخذ يسألنى عن هذا الاجتماع بطريقة جعلتنى أشك فى وصول تقريرى الأصلى لهم ، وجاءت أسئلته بأسلوب فهمت منه أن شمس بدران قد أخفى التقرير وادعى أنه اكتشف بنفسه شبه مؤامرة عن اجتماعنا فرويت لزكريا محيى الدين (والذى كان يأخذ وضع المحقق) بطريقة وبتسلسل وتفاصيل الدعوة للاجتماع ، وما تم فيه وواقعة كتابة المآخذ فى تقرير سلمته لشمس بدران ، وبه كل التفاصيل وأثناء هذا الحديث العاصف بينى وبين زكريا محيى الدين دخل إلى القاعة جميع أعضاء مجلس الثورة ، واحدًا بعد الآخر ، والتفوا حول الطاولة وحولى أنا وزكريا محيى الدين ، وكنت قد بدأت فى الانفعال والرد بشىء من التوتر ، حيث كنت لا أتصور إطلاقًا أن يصل تدهور مستوى الرجولة والأخلاق إلى هذا الحضيض من شمس بدران والذى من المفروض أنه كان ينتمى إلى رجال الثورة ويبدو أن حديثى بهذا التسلسل وهذه الصراحة والانفعال الصادق أثر على بعض الحاضرين لأنه بعد فترة وجيزة امتلأت القاعة بكل أعضاء مجلس الثورة بمن فيهم أنور السادات وسمعنى وأنا أعدد المآخذ المسجلة عليه هو شخصيًا . وفى أثناء الحديث انفعل جمال سالم وأخذ يوجه لى ظلمًا كلمات اعتبرتها غير لائقة فعنفته برجولة ، وكان لى به معرفة سابقة ، حيث كان صديقًا لأمين الخشاب قائدى فى السجن الحربى ، وكان كثيرًا ما يحضر لزيارته وتعارفنا جيدًا هناك قبل الثورة ،

وفجأة ، وبدون سابق معرفة له إطلاقًا انبرى كمال الدين حسين مدافعًا عنى فى حين كان عبد الناصر صامتًا لا يتكلم ، وكان واقفًا ويضع أحد رجليه على كرسى ومكتفيا بالإنصات ، وقال لهم كمال حسين يجب ألا تعطلوا الرجل أكثر من ذلك ، وشدنى من يدى وقال لى بعطف وأخوة ورجولة : مع السلامة يا عبد الفتاح ! . وأنا فى طريق العودة إلى المنزل استعدت الصورة كاملة وتنبهت فجأة إلى خطورة وحساسية تصرفات رجال الثورة فى بادئ أيامها ، ومر بخاطرى مثل عن طباع القطط « كقطة أكلت بنيها» فالثورة هى القطة ، ومن شدة حرصها على أوضاعها وأسرتها تبدأ فى التهام أبنائها كما أننى استوعبت ذلك الدور الخسيس الذى لعبه شمس بدران ، وللأسف فإنه استمر مقربًا من النظام حتى صار وزيرًا كبيرًا مسئولاً عن أمن البلاد إلى أن حاقت الهزيمة بنا فى ١٩٦٧ وكان هو أحد عناصرها الأساسية » .

(١٩)

كذلك ينبهنا أبو الفضل ـ بعد فوات الأوان ـ أن الثورة كانت قد وقعت أسيرة لضباط المخابرات السابقين الذين كانوا يخدمون الاحتلال الإنجليزى نفسه . . وهو يروى هذه الواقعة بالنص التالى : « ففى أحد الأيام الأولى من عملى بالمخابرات كنت موجودًا بمكتبى عندما حضر أحد كبار ضباط المخابرات وكان يعمل بها من قبل الثورة (والسبب فى الإبقاء عليه بعد الثورة أنه كان يتصل بالضباط الأحرار ويحذرهم أولا بأول عما يصل الجهاز من معلومات عنهم) ، فأعطانى كمية من التقارير باللغة الإنجليزية مكتوبة على ورق خفيف ، ملون وبالآلة الكاتبة . . كلفنى بدراستها ووضع الرأى عن كل تقرير على حدة . . عكفت على هذه التقارير ووجدت بكل ورقة منها معلومات عن شخصية مصرية ، وعن علاقاتها . وكانت جميع التقارير عن شخصيات لها صلة بالشيوعية الدولية ، استوقفنى اسم أحد الصحفيين المصريين المشهورين وكان يقيم بألمانيا هربًا من اضطهاد الملك السابق وهربًا من السلطات المصرية ، كانت معلوماتى عن هذا الشخص قد تكونت من خلال المشاركة فى العمل الوطنى داخل تنظيمات الضباط ، وكانت معلوماتى أنه من الوطنيين المخلصين ، كثيرًا ما تصدى فى كتاباته للظلم والفساد الملكى وتجاوزات السفارة البريطانية (هو الدكتور كمال الدين جلال) أثارنى الموضوع ، وأخذت أعيد قراءة جميع التقارير وأدقق فيها وفى معلوماتها التى أجمعت على اتهام الأشخاص موضوع التقارير بالنشاط الشيوعى الخطير ، وناقشت الزميل كمال رفعت ، وتم اختيارنا لعدة تقارير يسهل التحقق من المعلومات المدونة بها عن طريق ضباط المباحث العامة الجدد ، وعن طريق رجال وزارة الخارجية الذين عملوا فى البلاد التى يقيم بها بعض هؤلاء المتهمين بالشيوعية ، وجاءتنا المعلومات التى تؤكد أن جميع هؤلاء المتهمين بالشيوعية لهم نشاط ضد الاستعمار البريطانى ، وبعكس ما ورد بالتقارير فإن نشاطهم كان لصالح الوطن» .

« وقبل أن أعيد هذه التقارير للضابط الكبير بالمخابرات علمت بالصدفة ، فى أحد الأيام ، أن الملحق العسكرى البريطانى يقوم بزيارته فى مكتبه فانتظرت حتى انتهاء الزيارة ، ثم دخلت عليه فى مكتبه وقبل أن أسلمه ما معى من التقارير . . أعطانى كمية جديدة من التقارير . . لها نفس مواصفات التقارير السابقة ، وكلفنى أيضًا بدراستها . . وأعطيته التقارير السابقة وقد دونت عليها ملحوظاتى التى تفيد بأن المعلومات التى وردت بها كلها مزيفة ومدسوسة ، وسألته إن كانت هذه التقارير والتى تسلمتها منه لتوى . . قد تسلمها من الملحق العسكرى البريطانى . . الذى كان يزوره قبل دخولى عليه . . فضحك ، وعند ذلك واجهته بشكوكى ، ورجوته بضرورة معالجة مثل هذه التقارير بمنتهى الحذر . وبعد عدة أيام من التحرى والاستقصاء ، علمنا أن هذا الضابط الكبير بالمخابرات . . كان مكلفًا بالاتصال بالملحقين العسكريين الأجانب ، ومن ضمنهم الملحق البريطانى . . وكان منذ ما قبل إلغاء معاهدة ٣٦ ، ومنذ سيطرة البعثة البريطانية على المخابرات المصرية والجيش المصرى ، يداوم شهريًا على إرسال يومية الحرب الخاصة بالجيش المصرى والتى تحتوى على أخطر المعلومات العسكرية السرية عن قوة الجيش العددية ومعداته الصالحة للعمل ، والتى تحت الإصلاح ، والتالفة ، وما إلى ذلك من أسرار . . المفروض أنه محظور إطلاع أى أجنبى عليها ، وكان يرسلها بطريقة رسمية ومستمرة ودورية ، وبطبيعة الحال فقد اتخذت الإجراءات اللازمة لوقف مثل هذه المهازل » .

(٢٠)

□□وهذه بعض الملاحظات على بعض الأخطاء التاريخية فى هذا الكتاب :

١ ـ فى السطر التاسع من صفحة ٢٥ يشير أبو الفضل إلى « أن النحاس أصر بإيعاز من رجال القصر عند تتويج الملك بعد بلوغه سن الرشد سنة ١٩٣٧ أن يقسم اليمين دستوريا أمام البرلمان ، وليس فى احتفال دينى فى الأزهر كما كان يريد رجال القصر » وواضح جدا هذا التناقض فى هذه العبارة ويبدو أن عبارة « بإيعاز من رجال القصر » فى أول الكلام قد وضعت خطأ فى هذه الجملة ، أو أن سطرًا قد سقط قبلها ، والواقعة التاريخية معروفة وهى أن الملك كان يريد أن يضفى مسحة دينية على توليه العرش ولكن النحاس عارض فى ذلك ، ولكن عبارة أبو الفضل كما رأينا تشير فى بدايتها إلى عكس هذه الحقيقة ثم تشير فى النهاية إلى الحقيقة ، وهذا الخطأ يعد مثلاً واضحا لعدم العناية بمراجعة التجارب المطبعية فى هذا الكتاب ولو إلى الحد الأدنى والضرورى .

٢ ـ فى نهاية الفقرة الأولى من صفحة ٢٧ يتحدث أبو الفضل عن طرد أحمد ماهر ؟ من أين طُرد هل من الوزارة شأن النقراشى ومحمود غالب . . التاريخ يقول لنا إنه كان رئيسًا

لمجلس النواب ، وبالتالى لم يكن يجوز عليه هذا الطرد !! أم من الوفد ؟ وهل يسمى هذا أيضًا طردًا ؟

٣ ـ فى السطر الثالث من صفحة ٣٦ يذكر المؤلف أن النقراشى ألف الوزارة فى أول عام ١٩٣٦ ، وبالطبع هو يقصد أول عام ١٩٤٦ .

٤ ـ فى صفحة ٣٦ يذكر المؤلف أنه بموجب « مشروع صدقى بيفين وضعت مصر فى دائرة الأحلاف العسكرية الغربية » وهو يقصد بالطبع أن هذا كان سيحدث (مثلاً) لأن هذه المعاهدة نفسها لم تتم وبالتالى لم يحدث ما نص عليه المؤلف .

□□ ومن المهم أيضًا أن نشير إلى بعض الأخطاء المطبعية المهمة والتى تبدو وكأنها أخطاء فى اللغة وتعكس المعنى المقصود أو تصيبه على الأقل بالإبهام :

١ ـ فى السطر الثالث من الفقرة الثالثة فى صفحة ١٠١ يرد النص بصيغة « وأنهم أصبحوا فى موقف يملى عليهم الاستسلام لتصرفات الملك أو التحرك السريع » وواضح جدًا أن السياق يقتضى أن تكون العبارة بصيغة : يملى عليهم إما الاستسلام . . . . . وهكذا نجد أن خطأ نسيان (إما) يؤدى إلى قلب المعنى إلى العكس .

٢ ـ فى السطر السابع من صفحة ٢٦ ترد كلمة « تمسح » بدون أن تعطى معنى محددًا ، هل يقصد تفسخ مثلاً ، أو تمسحهم بأعتاب القصر .

٣ ـ ترد كلمة « سكنات » فى السطر قبل الأخير من صفحة ٣٢ بالسين .

٤ ـ فى السطر السادس من صفحة ٣٤ ترد كلمة « مقاومتهم » هل يقصد المؤلف «تعاطفهم » وجمعت الكلمة خطأ .

٥ ـ يبدو أن كلامًا قد سقط من السطر الأول فى الفقرة الثالثة من صفحة ٣٥ لأن الكلام غير متصل ببعضه .

٦ ـ فى السطر الرابع من صفحة ١٥ يكتب « يضع » وهو يقصد « يصنع » .

٧ ـ فى نهاية الفقرة الأولى من صفحة (١٤٥) يأتى النص مخالفًا تمامًا للسياق أيضًا بسبب خطأ مطبعى بسيط « إنه لا فائدة من القاعدة البريطانية عند قيام حرب وسط شعب فعاد يقاومنا بهذه الضراوة » وقد وضعت كلمة «فعاد» فيما يبدو بدلاً من الكلمة الصواب : «مُعادٍ» .

٨ ـ فى السطرين الأخيرين من صفحة (١٤٧) يحدث خطأ مطبعى يقلب المعنى إلى العكس تمامًا ، فالكتاب يقول : « على أعتاب توجهى إلى السودان كانت عوامل كثيرة تعمل

فى صالح مستقبل العلاقات مع مصر » ، ولكن السياق يقول عكس ذلك تمامًا وأظن أن الخطأ وقع بوضع كلمة « فى » بدلا من « ضد » وهى الصواب .

٩ ـ يتكرر نفس الخطأ أيضًا فى السطر الرابع من ص ١٥٤ حيث يوصف موقف الأزهرى من الوحدة بأنه «سليم » ، بينما يقصد المؤلف أنه « سلبى » .

١٠ ـ فى السطر الخامس من صفحة ١٦٣ نفاجأ باسم « محمد على » فى سياق الحديث عن اتفاقيتى ١٨٩٩ ويبدو أنه وضع بطريق الخطأ أو أن سطورًا قد سقطت من الطبع كانت تتحدث عن الوضع الذى كان أيام محمد على الذى ترك الحكم قبلها بأكثر من نصف قرن .

١١ ـ وهذا خطأ مطبعى ظاهر ولا يحتاج إلى تعليق ولكنه طريف ، ففى صفحة ٢٢٠ يقول الكتاب « يوجد فى تركيا جالية عربية كبيرة جدًا خصوصًا من العراقيين والسوريين والأوروبيين» وبالطبع هو يقصد « والأردنيين » ولكن انظر إلى الأخطاء المطبعية وما تفعله فى النصوص المكتوبة .

١٢ ـ فى صفحتى ٢٦٣ و ٢٦٤ يروى أن صلاح نصر كلفه فى أواخر عام ١٩٥٨ بمصاحبة وزير البحث العلمى كعضو فى وفد مصر للعلوم والتكنولوجيا فى جنيف . . . وفى نهاية الكتاب ص ٣٢٢ صورة للمؤلف مع صلاح هدايت ، والواقعة صحيحة ، ولكن صلاح هدايت وقتها لم يكن قد أصبح وزيرًا حيث إن هذا المنصب لم ينشأ إلا فى ١٩٦١ وعين صلاح هدايت وزيرًا فى ١٩٦١ وليس منذ ١٩٥٨ .

١٣ ـ يصل الحال بالأخطاء المطبعية فى هذا الكتاب إلى أن ترد جملة تحمل التناقض الرهيب كهذه الجملة التى فى صفحة ٢٩٧ وفيها يقول المؤلف : « كنت فى مكتب مجاور لمكتب المحافظ مع جمع من موظفى المحافظة وقيادات الاتحاد الاشتراكى وكان من بين الحاضرين من هم ضد فكرة المطالبة باستمرار عبد الناصر فى موقعه ويؤيدون فكرة تنحيه وهو الفدائى غريب محمد حضرى (الشهير بغريب تومى) وهو من زملاء الكفاح بالإسماعيلية ، وقال بانفعال إنه ما دامت إسرائيل عدوتنا هى التى تدبر وترغب فى التخلص من عبد الناصر فإننا كشعب له مقوماته وكرامته علينا أن نتمسك بعبد الناصر حتى ولو لم يكن حبًا فيه ولكن كرهًا فى إسرائيل» وهكذا نرى فى نفس الجملة أن من كانوا ضد استمرار عبد الناصر كانوا يؤيدون استمراره !! وليس من شك أننا جميعًا فهمنا ما يقصده المؤلف فى هذه الفقرة ولكن الصياغة قد لا توحى إلا بعكس ذلك الذى فهمناه جميعًا .



الفصل السابع

صفحات من تاريخ مصر:

أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون"
مذكرات حسين حمودة

(١)

حسين حمودة اسم غير معروف بنفس الدرجة التي يعرف بها خالد محيي الدين ، وجمال عبد الناصر، وكمال الدين حسين ، ولا بدرجة عبد المنعم عبد الرءوف . . ولكنه كان معروفا بدرجة أكبر من صلاح خليفة وسعد حسن توفيق . وبهؤلاء السبعة بدأ تنظيم الضباط الإخوان، أو تنظيم الإخوان المسلمين في الجيش ، وقد انضوى حسين حمودة في هذا التنظيم حين كان ما يزال ملازمًا أول [هو وأربعة من زملائه] بينما كان عبد المنعم عبد الرءوف وجمال عبد الناصر نقيبين . . . وفي مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف عن هذه الفترة أن حسين حمودة كان ثاني مَنْ دعاهم إلى دخول هذا التنظيم بعد جمال عبد الناصر وأن حسين حمودة هو الذي تولى دعوة ضابطين آخرين هما شقيق زوجته (سعد توفيق) وزميله في الدراسة (صلاح خليفة) . وفي مذكرات خالد محيي الدين ما لا يختلف عن هذه المعلومات في جوهرها ولا تفصيلاتها ، أما في مذكرات حسين حمودة نفسه فإنه يتواضع ويذكر أنه دعا سعد توفيق ولكن صلاح خليفة كان على صلة بالإخوان هو الآخر وإن كان زميل دفعته .

هذا إذن واحد من ثلاثة فقط من هذا التنظيم المبكر نشروا مذكراتهم وقد نشر مذكراته (١٩٨٥) عن دار الزهراء للإعلام العربي قبل أن ينشر خالد محيي الدين مذكراته (١٩٩٢) وقبل أن تنشر مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف بعد وفاته (١٩٨٨) ، وقد نشر حسين حموده مذكراته وهو على قيد الحياة ثم توفي بعدها بسنوات .

ومع هذا فإن أحدًا من المعنيين بالتاريخ المعاصر لم يتنبه إلى أن يسأل حسين حمودة كثيرًا من الأسئلة التي يحتاج التاريخ المعاصر إلى إجابتها بشدة .

ولكن حسين حمودة نفسه خدم بلاده ومواطنيه على نحو ما تعود من الهدوء والصمت ، وقد أبرأ ذمته من أن يبقيها وقد احتفظت لنفسها بما لابد أن تتيحه لكل الناس لكي يعرفوا الجوانب المختلفة من الحقيقة التي صنعت تاريخهم المعاصر .

(٢)

وتمتاز هذه المذكرات بقدر كبير من التنظيم الحقيقي فقد جعلها المؤلف مقسمة على ١٢ فصلاً ، كما تمتاز بقدر كبير من الترتيب خصوصًا أن الفصول الأربعة الأولى جاءت لتغطي التعاقب الزمني لرحلة حياة مؤلفها مع الضباط الأحرار ، ثم إنه جعل الفصول التالية فصول «رأى» إن صح هذا التعبير [الصحفي] فهو في هذه الفصول يبدى آراءه في كثير من الأحداث التي لم يشارك فيها حتى وإن كتب هذه الفصول بطريقة المؤرخين ، والفصل الخامس مثلاً يتحدث عن قارعة يونيو ١٩٦٧ وهذا بالضبط هو عنوان الفصل الذي قسمه حسين حمودة إلى عشر نقاط . أما الفصول السادس والسابع والثامن فإن حسين حمودة يخصصها للحديث عن هوية جمال عبد الناصر وهي مسألة قد حيرته في مرحلة مبكرة ولهذا فإنه يخصص الفصل السادس لدراسة علاقة جمال عبد الناصر بالإخوان المسلمين ، والفصل السابع لدراسة علاقته بالماركسيين ، أما الفصل الثامن فيطرح لنا فيه رؤيته هو بعد دراسته لهذين النقيضين ويجعل عنوانه هوية عبد الناصر ، وفي هذا الفصل يصرح بصوت عال أن عبد الناصر كان بمثابة الطاغية الفرد . كما سنرى في وصفه له (ص ١٦١) والذي سننقله في موضعه بإذن الله ، ويجد كاتب هذه المذكرات القدرة على أن يتناول أحداث عهد السادات بشيء من التحليل ، فهو يتحدث بسعادة بالغة عن ثورة ١٥ مايو ١٩٧١ في الوقت الذي كانت الموجة التي تنكر على أحداث ١٥ مايو صفة الثورة هي السائدة في الكتابات الصحفية والسياسية المصرية ، ويتحدث في الفصل العاشر عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ويتولى تفنيد الحجج الواهية التي كانت ظهرت في وقت من الأوقات (القريبة من زمن ظهور هذه المذكرات) لتدعى أن الحرب كانت تمثيلية .

ويخصص المؤلف فصلاً هو الحادي عشر للحديث عن الرئيس السادات وفيه لا يبرئ السادات من أحداث سبتمبر ١٩٨١ الأخيرة وإن كان يلقي بتبعتها على المحكومين .

أما الفصل الأخير فإن كاتب المذكرات يجعل عنوانه « هل حكم الضباط الأحرار مصر بعد الثورة ؟ » وهو سؤال في غاية الأهمية ، وإن كان الجمهور لا يعتقدون ـ ولهم العذر في ذلك ـ أن هذا السؤال مما يحتاج إلى سؤال وأن العكس كان هو الصحيح !!

(٣)

ولاشك أن هذه المذكرات تمتاز أيضًا بقدر كبير من الانضباط التاريخي الذي يُمكننا كقراء ويُمكن المؤرخين والباحثين من الاعتماد عليها في كثير من المواضع . . وينبغي لنا في البداية أن ننبه إلى أن خلاف حسين حمودة مع عبد الناصر لم يبدأ مبكرًا كخلاف عبد المنعم عبد الرءوف وغيره ، بل إن حسين حمودة قد قضى عاما في كلية أركان الحرب ما بين سبتمبر ١٩٥٢ و١٩٥٣ ثم سافر ضمن هذه الدفعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في رحلة عسكرية علمية ،

وعاد إلى القوات المسلحة ، حتى كانت أزمته مع النظام قبل أحداث مارس ١٩٥٤ . . .
ولهذه النقطة أهميتها الخاصة ، فهى تعكس لنا أن حسين حمودة كان واحدًا من الضباط الأحرار الذين قبلوا أن يستمروا فى العمل فى القوات المسلحة فى مواقعهم دون أن يحصلوا على سلطة معينة أو يشاركوا فى الحكومة أو يخرجوا من قواعدهم ، بل إنه مضى إلى أكثر من ذلك فدرس فى كلية أركان الحرب ليكون مهيئًا للترقيات اللاحقة . . ولكن شيئًا ما حدث فى بداية ١٩٥٤ ، هذا الشىء فى نظر حسين حمودة وفى مذكراته لم يكن إلا « وشاية ، وفبركة » جعلته متهمًا بالتعاون مع الإخوان ضد عبد الناصر . . على حين أن الأحداث قد عرضت حمودة لكل ما تعرض له الإخوان القائمون بالتمرد أو العازمون فعلاً على التمرد ، ولسنا هنا فى مجال الحكم على حسين حمودة هل اشترك فى ذلك أم لم يشترك ، ولكننا أصبحنا الآن وبعد وفاة هذا الرجل العظيم أمام تاريخ عانى منه هذا الرجل على أنه اشترك ، أى أنه دفع المقابل حتى لو لم يكن قد قام بما يستحق هذا العقاب [الظالم] .

(٤)

من أهم ما ينبئنا عنه حسين حمودة فى هذه المذكرات ذلك الأثر الذى تركه حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فى نفسيته (ص ١٩ ، ص ٢٠) ومن الطريف أن كاتب هذه المذكرات يذكر أنه كان مريضًا فى المستشفى العسكرى العام بكوبرى القبة حين وقع هذا الحادث ، وكان عزيز المصرى هو الآخر محتجزًا فى هذا المستشفى بعد محاولته الشهيرة الفرار إلى ألمانيا فى مايو ١٩٤١ . . وفى هذا المستشفى التقى الرجلان وانتقلت شرارة الوطنية من عزيز المصرى إلى حسين حمودة وفى هذا المجال يذكر حمودة على لسان عزيز المصرى كثيرًا من العبارات التى يمكن وصف بعضها بأنها إخوانية التوجه على الرغم من أنه لم يعرف عن عزيز المصرى ذلك فى ذلك الوقت ، وها هو يقول : « وفى يوم من الأيام التى تلت حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ طلبت من الضابط القائم بحراسة الفريق عزيز المصرى أن يستأذن لى فى مقابلته فأذن لى ، وكان الوقت بعد غروب الشمس بقليل . وجلست مع عزيز المصرى جلسة طويلة استمرت حوالى ست ساعات تقريبًا سمعت فيها منه حديثًا عجبًا ، لمست فى عزيز المصرى علمًا غزيرًا وجرأة منقطعة النظير وكرها عميقًا للاحتلال البريطانى وللملك فاروق وحاشيته وأخيرًا وجه عزيز المصرى الكلام لى قائلاً « أنتم شباب الضباط ، ماذا تنتظرون ، أنتم المسئولون عن إنقاذ شعب مصر من الاحتلال البريطانى والاستبداد السياسى المتمثل فى حكم أسرة محمد على ، عليكم بالتكتل وتكوين رأى عام مستنير بين الشباب من ضباط القوات المسلحة ، وأوصانى بالتزود بالعلوم والمعارف والقراءة المستمرة فى علوم وفنون الحرب والتاريخ العسكرى والسياسى والجغرافيا العسكرية والسياسية والاقتصادية وعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد وركز على علوم القرآن والسنة النبوية المطهرة وبخاصة ما يتعلق بأحكام الجهاد فى سبيل الله » .

« وقال عزيز المصرى إنه ليعجب من المسلمين المعاصرين وأحوالهم وأول ما نزل من القرآن

الكريم كلمة (اقرأ) وهى كلمة تدعو إلى الاهتمام بالعلم وأن يصبغ المسلمون حياتهم بالصبغة العلمية ، والمنهج العلمى كان من خصائص الحضارة الإسلامية قبل أن يحصل عليه الغرب من المسلمين ويوظفه فى خدمة حضارته ، ومع ذلك فالمسلمون اليوم هم أبعد الناس عن سلوك المنهج العلمى فى حياتهم ، ثم وجه عزيز المصرى نصيحته الخالدة لى قائلاً : اقرأ . . . اقرأ فى كل كتاب . . اقرأ فى السياسة والحرب والاقتصاد ، اقرأ واملأ رأسك بنور العلم ».

(٥)

وأهم ما انفرد به هذا الكتاب فى رأيى هو إلقاؤه الضوء على الدور الشجاع الذى قام به ذلك الجندى المجهول العظيم سعد توفيق ليلة الثورة ، فقد كان يخدم فى المخابرات الحربية التى كانت فى الدور الأرضى من مبنى قيادة الجيش فى كوبرى القبة ، ولما لاحظ أن حسين فريد جاء إلى مكتبه فى الساعة التاسعة وبدأ يستدعى القادة ذهب من فوره إلى جمال عبد الناصر ليستحثه البدء فى الثورة ، وها هو حسين حمودة يروى لنا هذه الوقائع فى ص ٨٢ وما بعدها فيقول : « وكانت إدارة المخابرات الحربية بالدور الأرضى من مبنى رئاسة الجيش فترك سعد حسن توفيق رئاسة الجيش حوالى الساعة ١٠ مساء يوم ٢٢/ ٧/ ٥٢ وتوجه إلى منزل جمال عبد الناصر حسين بكوبرى القبة وأبلغه أن خطة الثورة قد اكتشفتها رئاسة الجيش وأن حسين فريد رئيس الأركان قد دعا قواد الأسلحة والوحدات إلى مؤتمر عاجل فى مبنى الرئاسة ، ومعنى ذلك أن الثورة عرضة للفشل وطلب سعد حسن توفيق من جمال عبد الناصر أن يتصرف بسرعة على ضوء هذه المعلومات باعتباره المسئول عن خطة الثورة ، فأسرع جمال عبد الناصر إلى منزل عبد الحكيم عامر واتجها جهة ألماظة لعلهما يستطيعان إحضار بعض القوات لاعتقال المجتمعين فى رئاسة الجيش ، ومن جهة أخرى كان القائمقام يوسف منصور صديق مكلفا فى الخطة بالتحرك بقواته ليشكل احتياطا للقيادة الثورية ، وذهب يوسف صديق ومعه ضباطه الأحرار إلى هاكستب فوجد هناك عقبة خطيرة إذ اعترضه ضابط عظيم محطة هاكستب البكباشى أحمد المعتز بالله الكامل الذى اتصل باللواء مكى قائد الفرقة الذى أفاد بعدم إجراء أى تحرك حتى يحضر ، فقرر يوسف صديق التحرك بقواته قبل الميعاد المحدد لقيام الثورة وقبل وصول اللواء مكى قائد الفرقة حتى لا تفسد الخطة ويتعذر عليه التحرك بقواته ، وألقى يوسف منصور صديق القبض على ضابط عظيم محطة هاكستب البكباشى المعتز بالله الكامل وأمر ضباطه الأحرار بالخروج بالقوة التى كانت تحت أيديهم قبل الميعاد فخرجوا ووجدوا فى الطريق اللواء مكى قائد الفرقة فاعتقلوه ، وعند الميدان بالقرب من مطار ألماظة أسرت طلائع قوات يوسف منصور صديق كلا من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكانا يحومان حول هذه القوة وكان ضباط يوسف صديق الأحرار لا يعرفون جمال عبد الناصر ولا عبد الحكيم عامر ، فلما حضر يوسف صديق أفرج عنهما فوراً ، وأخبر جمال عبد الناصر يوسف منصور صديق بالموقف ، وكلفه بالتوجه بالقوة التى معه إلى رئاسة الجيش للقبض على حسين فريد رئيس

الأركان ومَنْ معه من قادة الجيش ، فقام يوسف منصور صديق بهذا الواجب على أتم وجه وكان له الفضل الأكبر هو والمرحوم سعد حسن توفيق واللواء محمد نجيب في نجاح ثورة ٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٥٢ وكل شيء تم بإرادة الله فهو الميسر لما حدث » .

وفى صفحة ١٩٥ يتحدث حسين حمودة بمرارة وأسى عن مقتل سعد توفيق أحد السبعة الذين بدأ بهم تنظيم الضباط الإخوان (مع حسين حمودة وعبد الناصر وخالد وكمال الدين حسين وصلاح خليفة وعبد المنعم عبد الرءوف) فيقول : « وقتل سعد حسن توفيق بالسم بعد أن دسوا له السم في كوب شاى ورفض عبد الناصر تسليم جثته لشقيقه اللواء إسماعيل توفيق ، وأصرت الحكومة على دفن الجثة بمعرفتها لإخفاء معالم الجريمة ، وسعد توفيق ويوسف صديق ومحمد نجيب كانوا أهم العوامل في نجاح ثورة يوليو ٥٢ كما بينت سابقًا ولقد عهد عبد الناصر بالوظائف الرئيسية فى القوات المسلحة وغيرها إلى فئة من معدومى الضمائر وتخلص من أصحاب العقائد سواء أكانوا من الإخوان أم الشيوعيين . وكان عبد الناصر يعى دوره تمامًا ورسم خطته للانفراد بالسلطة واعتمد على معدومى الضمائر فساعدوه ثم انقلبوا عليه وأصبح الأمر إليهم فطغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد » .

وفى هامش هذه الصفحة يعيد كاتب المذكرات الحديث عن صهره سعد توفيق فيقول : «كان سعد توفيق من الضباط الأحرار المنتمين للإخوان المسلمين وعمل سكرتيرًا لعبد الناصر بعد الثورة واطلع على أسرار كثيرة عن عبد الناصر ورأى عبد الناصر لأسباب غير واضحة حتى الآن التخلص من سعد توفيق وقد علمت من شقيقه اللواء إسماعيل توفيق أنه اخطر بوفاة شقيقه سعد توفيق غرقًا بالإسكندرية فذهب لاستلام جثته فأبت السلطات تسليمه جثة شقيقه وعلم أنه أنقذ من الغرق وأعطى كوب شاى شربه فمات وقد أصرت السلطات على دفن الجثة بمعرفتها لإخفاء الحقيقة وسبب الوفاة » .

(٦)

فى هذه المذكرات عبارات نفسية بليغة لعل من أهمها تلك العبارة التى تبلور لنا ما يعتمل فى نفس الشرفاء حين يتعرضون للظلم . . . يقول حسين حمودة فى ص ١٠٧ « وإنه لأمر شديد القسوة على النفس أن يتحدث الإنسان عن مهانة تعرض لها ، ولكن رواية الحقيقة للتاريخ قد تمنع تكرار هذه الجرائم فى سجون مصر مستقبلاً » .

ولو لم يكن فى مذكرات حسين حمودة غير هذه العبارة التى تنطق بالحكمة النفسية كلها لكفاه .

على أن هناك فقرة نفسية أخرى ينبغى لنا أن نقرأها مع حسين حمودة وهو يصف حال مصر

بعد خروجه من السجن بعد الإفراج عنه للمرة الثانية فيقول : « خرجت من السجن يوم ١٩٥٨/٩/٣٠ فوجدت مصر قد تغيرت وتحولت كلها إلى سجن رهيب وتحول شعب مصر إلى شعب صامت صمت نزلاء القبور ، خرست الألسنة وكسرت الأقلام وقهرت حرية الرأى والفكر وكممت الأفواه وأصبحت الصحف مملوءة بالشعارات التى بغير مضمون أو تنفيذ والمدح الباطل للحكام ، وارتفع المنافقون والانتهازيون والوصوليون ولم يعد لأهل العلم والمثقفين وأصحاب الخبرة ورجال السياسة ورجال الأعمال كلمة أو رأى فى إدارة شئون البلاد ونشطت أجهزة الأمن المنوط بها أساسًا تعقب نشاط أعداء البلاد من جهة الخارج والمجرمين والمفسدين فى الأرض فى الداخل ، كل أجهزة الأمن نشطت لا لتؤدى واجبها الحقيقى فى حماية أمن البلاد وأمن المواطنين ، وإنما نشطت فى تعقب الأحرار والشرفاء من المواطنين وكتابة التقارير السرية عنهم ، ومحاولة الإيقاع بهم بتدبير المؤامرات الوهمية بحجة حماية أمن حاكم مصر ونظامه الديكتاتورى ، وأخذت هذه الأجهزة تتسقط أى كلمة يتفوه بها مواطن لعلها تكون الدليل للوصول إلى أول خيط تتبعه هذه الأجهزة للوصول إلى التنظيمات السرية التى تضمر شرًا بحاكم مصر . ثم تؤخذ الضحية إلى السجن لتلاقى من أصناف التعذيب الوحشى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وتتوالى الاعترافات الكاذبة بمؤامرات تحاك فى الظلام لحاكم مصر وتتوالى المحاكمات الاستثنائية والأحكام الظالمة وقد استحوذ الذعر على الخلق من شيوع الجاسوسية وأصبح كل فرد فى مصر يحسب زميله فى العمل أو جاره فى السكن جاسوسًا ، ولو أنك اعتبرت شعب مصر كله جواسيس لم تكن مغاليًا ، ويتجسسون عمن ولمن ؟يتجسسون على بعضهم البعض لحساب جمال عبد الناصر حاكم مصر المطلق . وكان عبد الناصر يباهى الحكام الآخرين بأجهزة مخابراته وأنه يعلم دبيب النمل وما يحدث بين المرء وزوجه فى عقر داره . » وحتى نواب رئيس الجمهورية والوزراء لم يسلموا من ذلك . وكانت أجهزة التجسس ترفع التقارير اليومية إلى جمال عبد الناصر عن أنور السادات وزكريا محيى الدين وغيرهما » .

وهناك عبارة نفسية ثالثة جاءت فى صفحة ١٣٤ ضمن تحليله لهزيمة يونيو ١٩٦٧ يقول فيها : « فليس من المعقول أن يجتمع عدد من المصادفات السيئة بالنسبة لمصر كما تجمع فى هذه الحرب مما يغلب على الظن أن فى الأمر خيانة وطنية وأن هذه الخيانة كانت فى أعلى المستويات» .

وهو يحلل المواقف ويرى أن هناك ما يؤكد نظريته هذه :

١ ـ الضجة الإعلامية بلا مبرر .	٢ ـ المعلومات الكاذبة .
٣ ـ ضبط النفس	٤ ـ الضربة الجوية
٥ ـ تغيير الخطة من هجوم لدفاع	٦ ـ الانسحاب

٧ ـ من المسئول ؟ : وتحت هذا العنوان يركز على أن السادات قال فى ١٩٧٣/١٠/١٦ فى

مجلس الشعب إن القوات المسلحة المصرية كانت ضحية يوم ٥/ ٦/ ١٩٦٧ ولم تكن أحد أسبابها ؟

٨ـ التاريخ المشرف للعسكرية المصرية .

وفى هذا الكتاب أيضًا فقرة نفسية رائعة أخرى فى ص ١٩٠ حيث يقول حسين حمودة «والرأى عندى أن أنور السادات قتل مظلومًا وأن قتلته هم بطانته وليس الجناة الذين ارتكبوا الحادث بنية تخليص مصر من فرعون جديد » .

(٧)

وفى هذا الكتاب أيضًا فقرة مهمة جدًا عن ذلك الإخلاص للوطن الذى يميز كثيرًا من قادة الشرطة حتى فى أحلك اللحظات ، وأنا أحب أن أرويها هنا ليقرأها كل الذين من يكون نصيبهم أن يقرءوا هذا الكتاب وأن يتولوا الحكم فى يوم من الأيام ، فإن هناك من الوظائف المرتبطة بالدولة مواقع كثيرة ترتبط بالدولة نفسها أيا كان الحاكم ، ولا ينبغى أبدًا أن يصاب شاغلو هذه الوظائف الحساسة بالرعب من شغلها حين يجدون شغلها لا يعود عليهم إلا بالتشريد والتعذيب مع كل تغيير فى شخص القائم على الأمور . . وينبغى لنا جميعا أن نفهم أن ولاء هذه الوظائف للنظام وليس للقائمين برئاسته ، أقول هذا حتى نتجنب ما يروى أنه قد حدث فى مايو ١٩٧١ من أنه كان هناك اتجاه لتوجيه الاتهام إلى المسئولين عن مباحث أمن الدولة لولا أن أنور السادات بفضل حنكته السياسية انتبه مبكرًا ، وحذر من أن يقوم أنصاره بمثل هذه الخطوة . وعلى أى الأحوال فإنى اعتذر عن هذا الاستطراد ، وانقل للقارئ ما كتبه حسين حمودة عن موقف مهم حدث فى مطلع الثورة : « وطلب منى اللواء أحمد طلعت حكمدار بوليس العاصمة (وكان بين المعتقلين فى الكلية الحربية منذ ٢٤/ ٧/ ١٩٥٢) الاتصال بالمسئولين عن الثورة لأن لديه وثائق فى خزانة مكتبه يود تسليمها لرجال الثورة لأنها ستنفعهم فى حكم البلد على حد قوله ، ونصحنى أن أبلغهم بتشديد الحراسة على إبراهيم عبد الهادى رئيس وزراء مصر فى عهد الإرهاب الملكى خشية أن ينتهز الإخوان المسلمون فرصة الثورة ويقتلوه مما يسىء إلى الثورة وهى ما زالت بعد لم تتمكن من تثبيت أقدامها ، فذهبت للقيادة العامة وقابلت جمال عبد الناصر وأخبرته بما دار بينى وبين اللواء أحمد طلعت حكمدار بوليس العاصمة فقال جمال عبد الناصر : اطمئن جدًا من ناحية الإخوان المسلمين فأنا (أى جمال عبد الناصر) متصل بحسن الهضيبى وأخذت موافقته قبل قيام الثورة وأنا متفاهم مع الإخوان المسلمين على كل شىء ولا خوف على حياة إبراهيم عبد الهادى من انتقام الإخوان المسلمين ، والإخوان يتعاونون معنا الآن ويقومون بحراسة مرافق البلاد الحيوية والسفارات الأجنبية ولهم عناصر مسلحة على طريق القاهرة السويس وطريق الإسماعيلية القاهرة وفى منطقة قنال السويس لمراقبة تحركات القوات البريطانية أولاً بأول وإبلاغنا بأى شىء يرونه ،

وبالنسبة للوثائق اذهب بنفسك مع اللواء أحمد طلعت بالحراسة اللازمة على حكمدارية بوليس القاهرة وأحضر الأوراق وأعده للمعتقل ، فذهبت لمعتقل الكلية الحربية وأخذت اللواء أحمد طلعت ومعي حراسة كافية مكونة من ضابط وعشرة من ضباط الصف والعساكر مسلحين بالمدافع الرشاشة ، وتوجهت لحكمدارية بوليس العاصمة ومعي اللواء أحمد طلعت الذى صعد إلى مكتبه وجلس وفتح المكتب وأخرج ما فيه من دوسيهات وأوراق ثم فتح خزانة حديدية وأخرج ما فيها من أوراق ودوسيهات وقد حزمنا كل هذه الأوراق على هيئة طرد حملتها معي وأعدت اللواء طلعت لمعتقل الكلية الحربية وسلمت طرد الأوراق الذى أحضرناه من خزانة ومكتب اللواء أحمد طلعت لجمال عبد الناصر » .

(٨)

وقبل أن ننقل للقارئ بعض اللقطات من التطور التاريخي لعلاقة حسين حمودة بعبد الناصر فإننا سننقل له فقرة مهمة كتبها حسين حمودة فى ص ١٦١ فى بداية حديثه عما سماه بهوية جمال عبد الناصر ، وفيها يقول : « إن جمال عبد الناصر كان يبحث لنفسه عن دور بطولى وقد أشار جمال عبد الناصر إلى ذلك فى كتابه فلسفة الثورة الذى كتبه له محمد حسنين هيكل الصحفى المعروف ، ولكى يصل البطل إلى أهدافه لابد له من أن ينفرد بالمجد ولكى ينفرد بالمجد لابد له من الانفراد بالسلطة ، فتتبع مَنْ توهم مزاحمته له فى ذلك المطلب بالاعتقال والتعذيب الوحشى والمحاكمة الظالمة والسجن لمدد طويلة أو الإعدام أو القتل غيلة حتى قلم الأظفار الخادشة واستبد بحكم مصر . وكانت لجمال عبد الناصر خاصية انتهاز الفرص وتدبير المكايد للوصول إلى المقاصد من أى طريق ، فكان لا يهمه فى سبيل الوصول إلى غرضه شرف الوسيلة فأساء إلى مَنْ أحسنوا إليه وتآمر ضد مَنْ غمروه بفضلهم وتنكر لمن قدموا له المعروف وظلت هذه النزعة رائده فى مغامراته السياسية وعلاقاته الإنسانية منذ قيام الثورة فى ٢٣/ ٧/ ١٩٥٢ إلى أن مات فى ٢٨/ ٩/ ١٩٧٠ لقد كان دستوره وإنجيله وقرآنه كتاب الأمير لمكيافللى والذى قرأه عبد الناصر سبع عشرة مرة حتى حفظه عن ظهر قلب كما أخبرنى بذلك هو شخصيا ، فقد كنت فى زيارة له قبل الثورة ، ووجدت كتاب الأمير لمكيافللى على منضدة فى حجرة الصالون فاستعرته منه لأقرأه فأعطاه لى ، وقال إنه يحفظه عن ظهر قلب لأنه قرأه سبع عشرة مرة ، فلم يمض على قيام الثورة عام حتى تحركت نفس عبد الناصر إلى خوض غمار الدسائس السياسية ليحقق عن طريقها آماله فى الانفراد بحكم مصر ، فانتهز فرصة خلاف نشأ بين محمد نجيب ورشاد مهنا فأوغر صدر نجيب وصدور زملائه أعضاء مجلس الثورة ضد رشاد مهنا فتخلص منه وحكم عليه بالسجن المؤبد فى محاكمة ظالمة كان هو فيها الخصم والحكم ».

« ثم أرسل لرشاد مهنا فى سجنه من يقول له إنه أنقذه من حكم الإعدام وأن كل أعضاء

مجلس الثورة كانوا مصممين على إعدامه وظل عبد الناصر يجادلهم ١٦ ساعة حتى أقنعهم بتخفيف حكم إعدام رشاد مهنا إلى السجن المؤبد . . ثم دبر نهاية محمد نجيب على النحو المعروف ، وأثبت فى كتب التاريخ التى تدرس لأطفالنا بالمدارس أن جمال عبد الناصر هو أول رئيس لجمهورية مصر فى التاريخ ظنا منه أن التاريخ يمكن تزييفه ثم بطش بالماركسيين وأتبع ذلك حل الأحزاب السياسية وبطش برجالها ثم بطش بالإخوان المسلمين وتم البطش بالإخوان على مراحل ، فبدأ بإنشاء هيئة التحرير فى أواخر عام ١٩٥٢ وكان يطمع فى خلق قاعدة شعبية تدين له بالولاء المطلق الذى لا مساءلة فيه ولا مجال حتى لاستفسار ، ثم طلب من حسن الهضيبى أن يتولى الإخوان تدعيم هيئة التحرير بواسطة شعبهم المنتشرة فى جميع أنحاء مصر فيكون الإخوان هم نواة هيئة التحرير وهم قادة الحزب الجديد الذى سيرأسه عبد الناصر، واعتقد حسن الهضيبى أن عبد الناصر ينافسه على زعامة الإخوان مستغلاً وجود سلطة الدولة فى يده فيستخدم ذهب المعز وسيفه مع الإخوان حتى يخضعهم لإرادته وقد ساعد عبد الناصر على ذلك استمالته لعبد الرحمن السندى رئيس التنظيم السرى المدنى لجماعة الإخوان المسلمين والذى شايع عبد الناصر ضد حسن الهضيبى ، واستطاع عبد الرحمن السندى أن يستقطب عدداً من الإخوان من أعضاء مكتب الإرشاد ومن الجهاز السرى ومن الشعب لصالح عبد الناصر ، ويلاحظ أن عبد الرحمن السندى ومن شايعوه فى تأييد عبد الناصر لم يعتقلوا فى سنة ١٩٥٤ ، ومن الذين أيدوا عبد الناصر من الإخوان المسلمين الشيخ الباقورى وصالح عشماوى وعبد الرحمن البنا شقيق الإمام الشهيد حسن البنا وغيرهم كثيرون ، وقد رفض حسن الهضيبى طلب عبد الناصر وحذر الإخوان من الانضمام لهيئة التحرير واعتبر كل أخ مسلم ينضم لهيئة التحرير مفصولاً من الإخوان ، وهذا هو سر حنق جمال عبد الناصر على حسن الهضيبى ومَنْ تمسك بزعامته من الإخوان » .

« ولقد أدرك حسن الهضيبى أن عبد الناصر ينوى الاستئثار بالسلطة لا شريك له فيها بل ويطمع أيضًا فى إخضاع هيئة الإخوان المسلمين لأهوائه مع إلغاء اسم الإخوان ، وينضوى الإخوان تحت هيئة التحرير وبذلك تفقد الحركة الإسلامية التى بدأها حسن البنا سنة ١٩٢٨ أهم مقوماتها : الاسم والفكرة وتصبح هيئة تابعة لعبد الناصر . وبوقوف حسن الهضيبى ضد أطماع عبد الناصر التى لا حد لها انتهز عبد الناصر فرصة الشغب الذى حدث يوم ١٢ يناير ١٩٥٤ بمناسبة زيارة نواب صفوى الزعيم الإيرانى لجامعة القاهرة حيث وقع صدام بين شباب الإخوان ومنظمات الشباب التابعة لهيئة التحرير فاستصدر قرارًا من مجلس قيادة الثورة يوم ١٤/ ١/ ٥٤ بحل جماعة الإخوان المسلمين واعتقال فريق منهم على رأسه المرشد حسن الهضيبى وزعماء الإخوان بالقاهرة والأقاليم . وفى يوم ٢٥/ ٣/ ١٩٥٤ اضطر عبد الناصر تحت ضغط الثورة المضادة التى واجهته (أزمة مارس ١٩٥٤) إلى الإفراج عن حسن الهضيبى وجميع المعتقلين من الإخوان وقد وضح تمامًا أن عبد الناصر هادن الإخوان ليلتقط أنفاسه فى أزمة مارس ٥٤ حتى يعد خطة جديدة للفتك بجماعة الإخوان وقد كان ، فاتخذ من تمثيلية محاولة

اغتياله فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ مبررًا لاعتقال عشرين ألفا من الإخوان وتم تعذيبهم تعذيبًا وحشيا فى السجن بأسلوب بربرى وهمجى لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشرية .

وفى عبارات صريحة وواضحة يؤكد حسين حمودة أن ثمة اتفاقًا بين الإخوان ونجيب كان كفيلاً بالقضاء على عبد الناصر وهو يقول عقب العبارات السابقة مباشرة : « والمعروف فى ذلك الوقت أن محمد نجيب لم يكن على وفاق مع عبد الناصر وأن محمد نجيب كان ينوى استخدام سلطته القانونية كرئيس شرعى للبلاد فى إعفاء جمال عبد الناصر وزملائه أعضاء مجلس الثورة من مناصبهم وحل مجلس قيادة الثورة وإعادة الديموقراطية والحكم النيابى الصحيح إلى البلاد ، وقد طلب محمد نجيب من الإخوان المسلمين تأييد خطوته فى ذلك الاتجاه بعد إعلانها عن طريق مظاهرات شعبية تعم القطر المصرى كله من أسوان للإسكندرية وكان للإخوان المسلمين قدرة على تنظيم هذه الانتفاضة الشعبية بواسطة شعبهم المنتشرة فى جميع أنحاء البلاد لما لهم من رصيد شعبى ضخم بين أبناء الشعب المصرى ، كما كان محمد نجيب يتمتع فى ذات الوقت بحب الشعب المصرى كله . وقد تسربت بعض أنباء هذه الاتصالات بين الإخوان ومحمد نجيب إما عن طريق بعض الإخوان المتصلين بعبد الناصر ، أو عن طريق الضباط المحيطين بمحمد نجيب فتفتق ذهن عبد الناصر لعمل هذه التمثيلية عن محاولة اغتياله فى المنشية ليكون فى ذلك مبرر للفتك بجماعة الإخوان المسلمين ثم الفتك بمحمد نجيب لإجهاض الحركة » .

وفى صفحة ١٦٦ يبلور حمودة رأيه فى عبد الناصر بطريقة أخرى فيقول : « لقد كان جمال عبد الناصر متآمرا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى وحكم مصر ثمانية عشر عامًا من خلال أجهزة سرية قوامها خلايا يمسك هو بخيوطها جميعا دون أن تدرى عن بعضها البعض شيئًا ، وفات عبد الناصر أن هذا الأسلوب الإرهابى وإن أفلح فى فرض هيمنته إلا أنه لا يفلح فى إدارة الدول ، وعلى هذا الأساس يكون عبد الناصر شخصا لا فكر له معينا ، وإنما هو متآمر من الطراز الأول كل همه فرض هيمنته ولم يكن عبد الناصر رجل سياسة قط ولا كان رجل حرب على الإطلاق ، فقد كان أسدا أمام الشعب الأعزل فقط ، إن عدد المعتقلين والمسجونين السياسيين قد بلغ رقما يقرب من مائة ألف نفس من يوم أن تولى عبد الناصر حكم مصر إلى أن مات » .

(٩)

ومع هذا فإن حسين حمودة يثبت لنا فى هذا الكتاب وفى صفحات مبكرة منه بعد نظر عبد الناصر السياسى حين كانت تدور المناقشات بينهما قبل قيام الثورة وكان حمودة يرى أن يكون الضباط الإخوان فى الجيش من ذوى الأخلاق الحميدة والضمائر الحية فضلاً عن صفة الشجاعة وكتمان السر ، وأن من لا يخشى الله لا يستبعد عليه ارتكاب أى جريمة ، وبخاصة

لو نجحت الثورة وأصبح فى يده سلطة ، فأجاب جمال عبد الناصر بأن الحالة السياسية فى مصر خطيرة جدا والإصرار على توفر صفة التدين فى الضباط تزمت لا داعى له لأن أغلبية ضباط الجيش فى ذلك الوقت لا تتوفر فيهم صفة التدين . . وبالتالى سيتأخر تنفيذ الثورة وربما قد لا نستطيع القيام بها إلا بعد وقت طويل جدا وطول الوقت قد يؤدى إلى كشف الحركة والقائمين عليها فتموت الثورة قبل أن تقوم » .

(١٠)

كذلك فإن حسين حمودة يذكر لنا أنه حضر مع عبد الناصر عدة لقاءات بالأمريكيين قبل قيام الثورة ، وفى الحقيقة فإن حسين حمودة يضع هذه اللقاءات فى إطار طبيعى جدًا وبعيدًا عن اتهام عبد الناصر أو الثورة كلها بالعمالة ، ورواية حمودة فى غاية الأهمية لأنها تتسم بكثير من المعقولية والاتزان : «وقد حضر كاتب هذه السطور شخصيًا عدة اجتماعات فى منزل الملحق العسكرى الأمريكى بالزمالك مع جمال عبد الناصر ، وكان الكلام يدور فى مسائل خاصة بالتسليح والتدريب والموقف الدولى والخطر الشيوعى على العالم بعامة والشرق الأوسط بخاصة وأن الولايات المتحدة ستساند أى نهضة تقوم فى مصر ، لأن بقاء الحال على ما هو عليه فى مصر ينذر بانتشار الشيوعية وهذه الاتصالات بالسفارة الأمريكية كانت فى الفترة من عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ ، ولم يكن يتعدى الكلام أكثر من ذلك ومما لا شك فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية هى التى حالت دون تدخل القوات البريطانية لحماية الملك فاروق . ولقد أيدت الولايات المتحدة الأمريكية الثورة فور إعلان قيامها وفتحت أبواب معاهدها العسكرية على مصاريعها لتدريب ضباط الجيش المصرى بالمئات فور قيام الثورة . ومما لا شك فيه أن عبد الناصر وهو المنظم الحقيقى لحركة الضباط الأحرار كان على صلة أكثر وثوقًا بالسفارة الأمريكية . وقد قام الملك فاروق بالاتصال بالسفير الأمريكى (كافرى) من أجل حمايته وبناء عليه طلب السفير الأمريكى من رجال الثورة عدم قتل الملك وتركه يخرج من البلاد حيا وهو ما حدث فعلاً ! ! » .

(١١)

كذلك فإن حسين حمودة يروى قصة لقائه بعبد الناصر ص ٩٦ وما بعدها حين وشى به أنه يشارك الإخوان تحركاتهم من أجل عمل مضاد ، فينبئنا بحديثه المرتب عن مدى صبر عبد الناصر عليه فى الحوار وذلك فى صفحات ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ ، وعلى الرغم من كل ما نأخذه ويأخذه غيرنا على عبد الناصر إلا أننا لا نستطيع إخفاء إعجابنا بقدرته هذه على الصبر حتى وصل عبد الناصر إلى أن قال لحسين حمودة إنه عرف الموضوع مساء الجمعة ١٩٥٤/١/١٥ وانتظر أن يحضر له حسين حمودة السبت والأحد فلما لم يحضر لإبلاغه بما

حدث استدعاه يوم الاثنين ١٨ / ١ و «عدم تبليغك لى يجعلنى لا أطمئن إلى مدى ولائك لى ولذلك ساضطر لاعتقالك حتى تنجلى الأمور » . وهكذا اعتقل حسين حمودة ـ كما يذكر ـ لأول مرة فى حياته (وقد ظل معتقلاً حتى ٢٩/ ٦/ ١٩٥٤ ثم عاد إلى الاعتقال فى ١٩/ ١١/ ١٩٤٥٤ للمرة الثانية) .

(١٢)

ويجاهر حسين حمودة بما لم يستطع أحد غيره أن يجهر به حتى الآن ، فهو حين يتحدث عن محاكم الشعب التى شكلها مجلس الثورة لمحاكمة الإخوان المسلمين يذكر أن الاتهام الذى قدم به إلى المحكمة وقدم على أساسه أكثر من ألف إنسان هو أنه « أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وذلك باشتراكه فى تنظيم سرى مسلح » ويعقب حسين حمودة بصوت عال فيقول «والعجيب أن هذه التهمة كانت باطلة بطلانا تامًا لسبب بسيط وهو أن التنظيم السرى المدنى للإخوان كله كان يؤيد جمال عبد الناصر ضد حسن الهضيبى ولم يعتقل عبد الرحمن السندى رئيس التنظيم السرى للإخوان عام ١٩٥٤ ، وكان أعوان عبد الرحمن السندى كلهم خارج السجون فى عهد عبد الناصر » ، وهو يوجه اتهامات مباشرة إلى جمال عبد الناصر فى عقيدته وفهمه ، وها هو يقول فى ص ١٦٥ وما بعدها : « لقد ظن عبد الناصر أنه لا يوجد فى هذا الكون إله وتذكر قدرته على ظلم الناس ولم يتذكر قدرة الله عليه ، وهكذا مارس عبد الناصر حكم مصر ، أشاع فيها الإرهاب ونشر الجاسوسية فسكت الناس هلعا وخوفًا وكانت لجمال عبد الناصر قدرة عجيبة على إخفاء نياته وإظهار غير ما يبطن وقدرة عجيبة على استمالة زملائه ضد ضحيته القادمة حتى أفناهم جميعًا وضيعهم واحدًا إثر واحد ، ولم يكن لعبد الناصر أصدقاء قط إلا عبد الحكيم عامر الذى أخلص لجمال عبد الناصر كل الإخلاص وساعده فى كل عمليات التعذيب والتنكيل بالمواطنين . واستعان عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بمجموعة من معدومى الضمائر من الضباط كشمس بدران وعلى شفيق صفوت وحمزة البسيونى .... إلخ . وهم الذين أشرفوا على عمليات التعذيب ضد الإخوان وغيرهم، وكانت النتيجة هلاك عبد الحكيم عامر نفسه بنفس الطريقة التى أهلك بها غيره فمات بالسم مقتولاً ، والذى يعرف عبد الحكيم عامر يعرف يقينا أنه لا يمكن أن ينتحر ، ولكن التفاصيل التى عرفت فيما بعد أن عبد الناصر استدعاه إلى منزله للاتفاق على تصفية الجو والسفر سويا إلى السودان ولما كانت العلاقة بين ناصر وعامر علاقة الذين زاحموا أهل الخبرة . وأحاطوا بجمال عبد الناصر وصديقه الحميم عبد الحكيم عامر إحاطة السوار بالمعصم فعزلوهما عن الشعب وخوفوهما منه وأدخلوا فى روعهما أنهم الحاملون لهما من القتل غيلة على يد الإخوان وغيرهم من أبناء الشعب ، وبذلك أصبح شمس بدران هو صاحب الحل والعقد فى الدولة لقد كان الواحد من الضباط إذا قابل المشير عامر وعرض عليه مظلمة وصدق له المشير عامر على رفع ما تظلم منه يعرقل تنفيذها شمس بدران ويقول للمتظلم « إنت رحت للمشير خليه

يتفعك » فهل حقق عبد الناصر أحلامه في الانفراد بالمجد ؟ كلا . لقد حقق عبد الناصر شيئًا واحدًا هو الانفراد بالعار الذى لحق به وبتاريخه حتى تقوم الساعة ، عار هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ » .

(١٣)

كذلك فإن حسين حمودة يصل ـ فى أكثر من موضع من كتابه ـ إلى القول بأن حادث الشروع فى قتل جمال عبد الناصر فى ١٩٥٤ كان مدبرًا بإحكام وبتخطيط جيد لدفع جمال عبد الناصر للانقضاض على جماعة الإخوان المسلمين وهذا هو نص عبارته فى ص ١١٢ وبهذا النص المحكم : « الدفع إلى الانقضاض » يبدو أن حسين حمودة يعلق التهمة فى رقبة أحد غير عبد الناصر لأنه لو أراد أن يتهم عبد الناصر بأنه مخرج التمثيلية لقال : « لإعطاء عبد الناصر المبرر » . . ولأن حمودة انتقل إلى رحمة الله فإننا لا نستطيع سؤاله عن صحة ما استنتجناه .

يروى حسين حمودة فى صفحتى ١١٨ و ١١٩ وما بعدهما قصة قيام أحد الضباط بزيارته فى السجن على أنه رسول من عبد الناصر ، وقصة إرساله برقية تهنئة لعبد الناصر بالجلاء فى يونيو ١٩٥٤ (١١٩) والتهنئة الأخرى بتأميم قناة السويس (ص ١٢٠) ومساندته فى العدوان الثلاثى (١٢٢) .

ومع هذا كله فإن حمودة فى هذا الكتاب لا يبرئ نفسه تمامًا من الاتصال بالإخوان فى ١٩٥٤ وهو فى إحدى فقرات كتابه يروى قصة اللقاء بالهضيبى فى ص ١٦٤ فيقول : «وللحقيقة والتاريخ أذكر أن هناك اجتماعًا عقد فى أحد منازل الإخوان المسلمين بجهة قصر العينى حضره المرشد حسن الهضيبى ، وكاتب هذه السطور ، ويوسف طلعت ، والشيخ فرغلى ومحمود عبده ، وإبراهيم الطيب ، وعبد المنعم عبد الرءوف ، وكان عبد المنعم عبد الرءوف هاربًا من السجن وموجودًا بمصر ولم يخرج بعد من البلاد ، وفى هذا الاجتماع تكلم المرشد حسن الهضيبى وقال إن اللواء محمد نجيب « مطرشق » من أعضاء مجلس قيادة الثورة بسبب الحكم الديكتاتورى فى البلاد وإن اللواء محمد نجيب ينوى حل مجلس الثورة وإعادة الحياة الديموقراطية إلى البلاد عن طريق تكوين هيئة تأسيسية منتخبة لتضع دستورًا للبلاد ، وكذلك حتى يمكن أن تستقر الأوضاع فى مصر فى ظل حكومة مدنية تتمتع بتأييد الشعب المصرى وأن يعود الجيش إلى الثكنات لممارسة دوره الطبيعى فى الدفاع عن البلاد ضد العدوان الخارجى ، وهذا الاجتماع كان قبل حادث المنشية بحوالى شهر ، ولم يتعرض أحد على الإطلاق فى هذا الاجتماع لموضوع تدبير جريمة لاغتيال عبد الناصر ، بل كان تعقيب الشيخ فرغلى على كلام المرشد حسن الهضيبى أن على اللواء محمد نجيب اتخاذ الخطوة الأولى من جانبه باعتباره الحاكم الشرعى للبلاد ، فيصدر القرارات التى يراها صالحة لإنقاذ البلاد من الديكتاتورية ، والإخوان مستعدون لتأييد هذه القرارات بعمل حشود شعبية فى القاهرة والإسكندرية وسائر مدن القطر المصرى وعلى هذا الأساس فحادث المنشية تمثيلية لاشك فيها

لتبرير عمليات القمع والتعذيب والمشانق ، ولو كانت محاولة اغتيال عبد الناصر صحيحة فلماذا لم يقدم الإخوان لمحاكم الجنايات وفيها قضاة متخصصون وظيفتهم إقرار العدل بين الناس ؟ ولماذا الضرب بالسياط حتى تتمزق الأجساد ونفخ البطون وألوان التعذيب ؟ كل هذه التصرفات الإجرامية التى أقدم عليها عبد الناصر وأعوانه تؤكد أنه لم يكن هناك جريمة على الإطلاق ولا أدلة قانونية على أنه كان هناك محاولة اغتيال .

(١٤)

أما ما يتميز به هذا الكتاب عن غيره من كتب المذكرات التى تناولت نفس الفترة ونفس الأحداث فأمور كثيرة :

١ ـ فى هذا الكتاب ملخص ممتاز لسيرة حياة الفريق عزيز على المصرى وظروف دراسته فى مصر وتركيا وألمانيا وفرنسا والحروب التى اشترك فيها وكذلك الحركات السرية ، والوظائف التى تقلدها وظروف تركه لهذه الوظائف ويمكن للقارئ أن يرجع إلى الصفحات ٢١ وحتى ٢٤ ليطالع هذه السيرة الحية الحافلة بالإنجاز والطموح .

٢ ـ وفى هذا الكتاب أيضًا سيرة ممتازة للصاغ محمود لبيب (ص ٢٨ و ص ٢٩) وإن لم تكن بنفس القدر من الثراء الذى قدم به حسين حمودة سيرة عزيز المصرى ، وذلك طبعًا بسبب الاختلاف بين تاريخ حياة الشخصيتين .

٣ ـ وفى هذا الكتاب أول ما نشر عن تنظيم الضباط الإخوان فى الجيش [نشرت نفس المعلومات بعد ذلك مع اختلافات طفيفة جدًا لا تكاد تمنع القول بأن المعلومات نشرت بالنص ، وذلك فى مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف (١٩٨٨) وخالد محيى الدين (١٩٩٢)]. وتضيف رواية حسين حمودة عناوين البيوت التى كان هؤلاء يجتمعون فيها فبيت عبد المنعم عبد الرءوف فى السيدة ، وبيت عبد الناصر عند تقاطع شارع أحمد سعيد بشارع رمسيس ، وبيت كمال الدين حسين فى السيدة ، وبيت خالد محيى الدين فى شارع الخليج المصرى فى الحلمية ثم فى منيل الروضة ، وبيت حسين حمودة فى حمامات القبة . . . . كذلك فإن حسين حمودة يحدد فترة العمل السرى بأنها امتدت أربع سنوات وأربعة أشهر ويقف بحركتهم عند ١٥ مايو ١٩٤٨ حيث بدأت حرب فلسطين ، كذلك فإن حسين حمودة يحدد لنا زمن واقعة البيعة التى تمت على المصحف والمسدس بأنها تمت فى أوائل ١٩٤٦ .

٤ ـ يعطينا حسين حمودة فكرة تفصيلية عن نشاط تنظيم الإخوان الضباط فى تدريب شباب الإخوان المسلمين وذلك فى ص ٣٧ حيث يقول : « وبدأنا بعد ذلك مرحلة جادة فى تدريب شباب الإخوان المسلمين ، وكانت التدريبات تتم فى صحراء حلوان وجبل المقطم وفى محافظة الشرقية ومحافظة الإسماعيلية وقد اشترك جمال عبد الناصر معى فى تدريب شباب الإخوان المسلمين عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ وكان التدريب يتم على الأسلحة الصغيرة مثل الطبنجات

والبنادق والرشاشات القصيرة والقنابل اليدوية وأساليب النسف والتدمير بأصابع الجيلجنيت وأسلوب استخدام زجاجات المولوتوف ضد دبابات العدو ، والتدريب كان يتم لرؤساء الخلايا وهم يدربون الأفراد التابعين لهم بدورهم ، وذلك لأن معرفة أفراد التنظيم بالكامل لأى شخص غير مطلوبة للأمن السرى .

٥ ـ يلمح لنا حسين حمودة بالعلاقة بين تنظيم الإخوان الضباط وجماعة الإخوان المسلمين من ناحية ، وبين الجمعية السرية التى كان يتزعمها أنور السادات والتى تولت اغتيال أمين عثمان ، وهو يذكر فى صراحة أنهم ـ أى الضباط الإخوان ـ كانوا ينوون قتل أمين عثمان لولا أن محمود لبيب طلب منهم عدم تنفيذ عملية اغتيال أمين عثمان ، وقال إن « تشكيلاً سريا آخر سينفذ القتل فى هذا الخائن » ص ٣٨ . ولاشك أن هذه العلاقة بين أنور السادات من ناحية وبين الإخوان وتنظيمهم السياسى من ناحية أخرى كانت فى حاجة إلى ضوء أكثر من كاتب هذه المذكرات .

٦ ـ يذكر لنا حسين حمودة أنه اكتشف خصال حمزة البسيونى منذ مرحلة مبكرة جدًا حين زامله فى ١٩٤٥ ووجد فيه إنسانًا غير طبيعى يتميز بالتوحش والقسوة والإجرام وأنه لم يدر فى ذلك الوقت ما تخبئه الأقدار لشعب مصر على يد ذلك السفاح المجرم (!!) ص ٤٠ . . . ولك أن تقارن هذا الشعور بتلك الفقرات التى كتبها الأستاذ فتحى رضوان عن هذا الرجل ووصفه فيها بأنه كان شبه ملاك !! وعلى النقيض من ذلك فإن حسين حمودة يعتز (ص ٤١) بمزاملته لشعراوى جمعة ويذكر أنه كان من الضباط الممتازين ، ولم يكن له أى تصور سياسى ولم يكن من الضباط الأحرار ، ولم يشترك فى الثورة ولم تكن له صلة بالإخوان المسلمين ولا غيرهم ، كذلك فإنه فى صفحة ١٠٢ يثنى ثناء جما على محمد أحمد سكرتير عبد الناصر وهؤلاء الثلاثة يمثلون نموذجين مختلفين للشخصيات البارزة فى عهد عبد الناصر عندما يواجهون الحكم على شخصياتهم بعد سنوات من واحد من الذين ظلموا بشدة فى عهد عبد الناصر .

٧ ـ يُدقق حسين حمودة فى المعلومات التى يوردها لنا عن حرب فلسطين ، كما أنه يقدم هذه المعلومات بطريقة علمية ومنهجية مرتبة مما يتيح لقارئها أن يفيد منها إلى أبعد الحدود وحين يذكر سفر الكتيبة الأولى إلى ميدان القتال فإنه يذكر كل أسماء الضباط المتطوعين ، كما يعطى أحمد عبد العزيز حقه من الثناء الذى يستحق وهو يقول على سبيل المثال : « وبدأت الكتيبة الأولى تدريبها وسافرت إلى ميدان القتال يوم ٢/ ٤/ ١٩٤٨ بقيادة البطل الشهيد المرحوم البكباشى أحمد عبد العزيز ومعه عدد من الضباط المتطوعين هم زكريا الوردانى ، وعبد المنعم عبد الرءوف ، ومعروف الحضرى ، وكمال الدين حسين ، وحسن فهمى عبد المجيد ، ومصطفى صدقى ، وخالد فوزى ، وأنور الصيحى ، وقد لمع البطل أحمد عبد العزيز فى هذه الحرب ودأبت الصحف العربية والعالمية على تتبع أنبائه وتحركاته وعملياته الحربية ، وأولته من العناية والاهتمام ما لم تول أحدًا من قادة الجيوش العربية النظامية ممن يفوقونه فى

الرتبة والمنصب ، وكان البطل أحمد عبد العزيز شخصية عسكرية نادرة تتميز بجرأة خارقة وولع شديد بالمغامرة واعتزاز بنفسه .

٨ - يمس حسين حمودة نقطة مهمة فى وحدتنا الوطنية حين يتحدث بنقاء وصفاء عن علاقة المسيحيين بالإخوان فى حرب فلسطين فيقول : « وقد احتفى المسيحيون بالإخوان المسلمين عند دخولهم للدفاع عن مدينتهم ، وكان الإخوان يبادلونهم هذا الشعور الكريم لما رأوه من إخلاصهم ولما شاهدوه من غيرة صادقة على كرامة العرب ، وقد استشهد حول أسوار بيت لحم عدد هائل من شباب الإخوان المسلمين دفاعًا عن مقدسات المسيحيين ، وظل الإخوان يدافعون عن مدينة بيت لحم عامًا كاملاً دون أن تقع حادثة واحدة من تلك الحوادث التى تقع عادة بين الجنود والمدنيين من أهل البلاد » .

٩ - على حين تختلف الآراء فى قصة الأسلحة الفاسدة إلى حد أن أحد قادة الضباط الأحرار وهو ثروت عكاشة يميل إلى أنها كانت قصة غير حقيقة مستندًا إلى قرار البراءة الذى صدر عن القضاء المصرى فإن حسين حمودة يعطينا رواية أخرى أكثر معقولية ، ويعطينا تفسيرًا حكيًا يستحق أن ننقله هنا : « عندما دخل الجيش المصرى فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ كنت مدرسًا بمدرسة المشاة . وقد أرسلت حكومة مصر فى ذلك الوقت لجانًا لشراء الأسلحة من دول أوروبا . وكانت الأسلحة الخاصة بسلاح المشاة ترسل عينة منها لمدرسة المشاة لتجربتها وتدريب الضباط والجنود الجدد عليها قبل إرسالها لميادين القتال ، وفى يوم من الأيام الأخيرة لشهر مايو ١٩٤٨ كلفت بترجمة كتاب من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية عن سلاح جديد اسمه Bigit mortar اشترته إحدى لجان مشتريات السلاح من أسبانيا ، وأثناء قيامى بعملية الترجمة فى مدرسة المشاة حضر البكباشى عبد العليم منصور مهران ومعه البكباشى مهندس مصطفى النيّال وقالا تفضل معنا إلى تبة البندرول (جبل صغير بالقرب من مدرسة المشاة) لتجربة السلاح الجديد ، فقلت لهما تفضلا وسألحق بكما بعد أن أتم جمع الورق الموجود فى يدى وأحفظه تحت القفل فى الخزينة ، فذهب البكباشى مهران والبكباشى النيال إلى مكان التجربة عند تبة البندرول ، وذهبت لألحق بهما بعد قليل من الوقت لا يتجاوز ربع ساعة فسمعت صوت انفجار شديد تحطم على أثره زجاج شبابيك مدرسة المشاة ، فأسرعت عدوا إلى تبة البندرول فوجدت أنهم أطلقوا أول دانة من هذا المدفع فانفجرت الدانة داخل الماسورة الخاصة بالمدفع ، وقتل البكباشى مهران وأصيب المهندس النيال إصابة خطيرة فى رأسه أودت بحياته بعد ذلك ، كما قتل تسعة من ضباط الصف المعلمين من قوة مدرسة المشاة كانوا جميعا فى التجربة مع البكباشى مهران والمهندس النيال ، وأرى أن المسئول الأول عن إحضار الأسلحة الفاسدة لمصر هى اللجان التى أرسلت إلى أوروبا لشراء الأسلحة والذخائر وأستبعد تماما أن يكون الملك فاروق شريكا فى هذه الجرائم لأن الملك هو القائد الأعلى للجيش وانتصار الجيش فخر للملك ولاشك فى هذا ، مع العلم بأنه لم يرسل إلى ميدان القتال بفلسطين سنة ١٩٤٨ أية أسلحة فاسدة لأن السلاح كان يجرب فى مصر قبل إرساله إلى ميدان القتال » .

وهكذا نرى رؤية حمودة مكونة من ثلاث جزئيات : فالمسئول هو أعضاء اللجان التى اشترت الأسلحة ، ولا يقبل أن يكون الملك مسئولاً أو متواطئًا . . هذا فضلاً عن أن الأسلحة الفاسدة مع وجودها بالفعل لم ترسل إلى ميدان القتال ، وهى رؤية تتسم كما قلنا بالمعقولية والتوازن .

١٠ ـ هذه هى أولى مذكرات أقابل فيها دورًا لعلى صبرى فى الاتصال بالمعتقلين والمسجونين من الإخوان [راجع ص ١١٠] .

١١ ـ يعطى حسين حمودة كثيرًا من وقته فى هذه المذكرات لتحليل شخصية شمس بدران ودوره فى عهد عبد الناصر وذلك فى أكثر من موضع ، ولكنه يركز على هذا الموضوع فى صفحات ١٤١ ـ ١٤٥ . . وهو لا يتناوله كشخص فحسب ، ولكنه يتناول الموضوع كله فى ضوء بناء الدولة والقوات المسلحة ، وأدوار القادة ، والأشخاص ويحلل لنا الأخطاء التى وقعت فيها الثورة بإسناد مثل هذه المهام وخلقها لتكون فى يده والآثار التى ترتبت على هذا الأسلوب . . . . إلخ) . كما يتناول « شمس » ودوره فى المؤامرة التى اتهم فيها جمال ربيع فى صفحة ٢١٣ وما بعدها .

وإذا أضفنا لفقرات حسين حمودة فقرات مهمة أخرى رواها عبد الفتاح أبو الفضل ونقلناها عنه أو أشرنا إليها فى الفصل السابق لأمكن لنا أن نفهم ما يحب كثيرون أن يتجنبوه عندما يأخذون بتعميم الأحكام وينكرون أن يكون شخص واحد (مثل شمس بدران) بمثابة مصدر متجدد لكثير من الفساد وسوء التصرف .

١٢ ـ فى خاتمة الكتاب روايات مهمة عن محاولة الهروب من سجن الواحات وخطاب حسين حمودة إلى مجلة « المسلمون » بعد ما نشرت مذكرات سيد قطب التى تعرضت لهذه الواقعة (راجع صفحة ٢١٦ وما بعدها ، وما قبلها أيضًا) .

١٣ ـ ويحظى خالد محيى الدين فى هذه المذكرات شأن حظه وحظوته فى كل المذكرات تقريبًا بالثناء الجميل والتقدير لشخصيته وهذا هو حسين حمودة يتحدث عنه بالخير فيقول :
«فى عام ١٩٤٧ نقل خالد محيى الدين إلى التدريب الجامعى وأراد انتهاز الفرصة للاستزادة من العلم فالتحق بكلية التجارة حيث اتصل به جماعة من الماركسيين وأقنعوه بمذهبهم . وقد ناقشنى خالد محيى الدين فى يوم من أيام عام ١٩٤٧ وكنا سويًا فى منزله بباب الخلق قائلاً إنه نشأ فى أسرة دينية ، وأبوه من أتباع إحدى الطرق الصوفية وإنه ـ أى خالد محيى الدين ـ يشاهد لأتباع هذه الطرق الصوفية خرافات تأباها العقول السليمة مما عقده من ناحية رجال الدين . فقلت له : لك بعض الحق يا أخى فإن كثيرًا من الخرافات أدخلها بعض أدعياء الصوفية فى أفهام وعقول العوام من الناس ، والإسلام برىء من الخرافة ومن كل شىء غير معقول لأن الإسلام دين العقل والعلم ، وقد أعجبنى فى خالد محيى الدين صراحته وعدم لجوئه إلى إخفاء ما يعتقده كما يفعل المنافقون ، فكان خالد محيى الدين واضحًا وصريحًا وكان شهمًا فى المحافظة

على الأسرار التى ائتمن عليها أثناء صلته بالإخوان المسلمين ، وإنى أقرر هنا عن اقتناع تام أن اقتناع خالد محيى الدين بالماركسية اللينينية إنما هو فى الجانب الاقتصادى فقط من هذه الفلسفة الماركسية ، وبالنسبة لإنكار كارل ماركس لوجود الله وإنكاره للأديان وقوله عنها إنها أفيون الشعوب فلا أعتقد على الإطلاق أن هذه المقولة يؤمن بها خالد محيى الدين » .

ولابد أن نكرر على القارئ هنا ما ذكرناه فى الباب الرابع من أن عبد المنعم عبد الرءوف كان هو الآخر يتحدث عن خالد محيى الدين بصفة البطل .

كذلك فإن حسين الشافعى هو الآخر يحظى بهذا التقدير وبالثناء على دوره ليلة الثورة ، وهو حين يتحدث عنه فى صفحة ٨٩ مثلاً يقول : « إنه رجل شجاع ذو أخلاق حميدة ونزيهة وكان له دور رئيسى مع ثوار يوليو ١٩٥٢ فى سلاح المدرعات » .

١٤ ـ وتنفرد هذه المذكرات بأنها قدمت رؤية واضحة جدًا لأزمة عميقة جدا واجهت مصر حين كان النقراشى وحسن البنا يتنازعان الزعامة السياسية فى مصر ، وانتقل هذا النزاع إلى القوات المشاركة فى حرب فلسطين ، ولا نكون منصفين إذا نقلنا رؤية حمودة على أنها الحقيقة المطلقة ، بينما النقراشى غائب عن هذه الدنيا ، ولكن لابد لنا أن ننقل هنا بعض فقرات مما كتبه حسين حمودة مما يصور به هذه القصة من وجهة نظره حيث يقول : « أصدر النقراشى رئيس الوزراء أوامر مشددة إلى اللواء فؤاد صادق قائد حملة فلسطين الجديد بسحب قوات الإخوان من مواقعهم وسحب أسلحتهم واعتقالهم وإرسالهم كأسرى حرب إلى المعتقلات فى مصر ، ولكن اللواء فؤاد صادق رفض بشدة اعتقال هؤلاء المجاهدين واكتفى بسحبهم من مواقعهم وأبقاهم فى معسكر بمنطقة رفح المصرية ومعهم أسلحتهم ، وفى الوقت الذى كان فيه حسن البنا يعد قوات كثيفة ليدخل بها إلى فلسطين كان النقراشى يرتكب أبشع حماقة يمكن أن تصدر من رجل دولة مسئول فى حالة الحرب ، ولم تلبث الأنباء أن جاءت بقيام المذبحة ، فسيق زعماء الإخوان إلى المعتقلات وكان من بينهم الشيخ محمد فرغلى رئيس الإخوان المسلمين بفلسطين الذى أرسله المواوى ليستعجل حضور شباب الإخوان المتطوعين للجهاد فى فلسطين . وفى ليلة ٧/ ١٢/ ١٩٤٨ حوصر معسكر الإخوان برفح بقوات كبيرة من الجيش المصرى وحضر اللواء البرديني ومعه عدد من ضباط البوليس الحربى وطلبوا مقابلة قائد معسكر الإخوان المسلمين » .

١٥ ـ ويعطينا حسين حمودة فكرة عن بعض سوء التفاهم الذى حدث فى بداية نشاط الإخوان الضباط فى ١٩٤٦ فيروى لنا هذه الحادثة : « اجتمعنا نحن الضباط السبعة المذكورين أعلاه فى منزل جمال عبد الناصر فى العباسية (فى شارع فرعى بالقرب من تقاطع شارع أحمد سعيد بشارع الملكة نازلى . . رمسيس الآن) وكان ذلك فى عصر يوم من أيام ١٩٤٦ ، وحضر شاب قصير نحيف أبيض يلبس الملابس الإفرنكية وعرفنا بنفسه وقال إن

اسمه حجازى . . فسألناه عن اسمه بالكامل فقال إن اسمه الحركى حجازى ولا داعى لمعرفة معلومات عنه أكثر من ذلك ، وما لبث أن أخرج حجازى هذا مسدسًا صغيرًا بمشط من جيبه وأخذ يشرح لنا طريقة استعمال هذا المسدس . دهشنا نحن الضباط لهذا التصرف الساذج والغريب ، وطلبنا من حجازى أن يتوقف عن الاستمرار فى هذا الشرح وأن يرسل لنا عبد الرحمن السندى ، وحددنا له موعد ومكان الاجتماع القادم مع السندى ، جاء عبد الرحمن السندى فى المكان والزمان المحددين وتكلم جمال عبد الناصر فقال : نحن ضباط صناعتنا الأسلحة واستعمالاتها فإذا كنتم تريدون الاستفادة من خبرتنا فلا مانع لدينا ، فاعتذر السندى وقال لقد حدث خطأ غير مقصود ، وإن حجازى كان موفدًا لتدريب خلية من المدنيين على استعمال المسدس فأعطاه العنوان الخاص بجمال عبد الناصر خطأ وسهوا ، وبدأنا مرحلة جديدة فى تدريب شباب الإخوان المسلمين ، قمت أنا وكمال الدين حسين وخالد محيى الدين بترجمة كتاب عن حرب العصابات من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية ، وكنا نعقد حلقات الترجمة يوميًا فى منزلى بحمامات القبة بعد صلاة العصر ، وبعد أن فرغنا من الترجمة أعطيتها لجمال عبد الناصر الذى قام بطبعها فى مطبعة الكلية الحربية حيث كان يعمل مدرسًا بها ، وبعد الطبع أرسل جمال عبد الناصر النسخ المطبوعة إلىّ فى منزلى بحمامات القبة مع أحد ضباط صف الكلية الحربية وكان هذا الأخير محل ثقة جمال عبد الناصر ، وسلمت بدورى جميع نسخ كتاب حرب العصابات بعد ترجمتها إلى العربية لعبد الرحمن السندى رئيس التنظيم السرى المدنى للإخوان المسلمين . وقد قام عبد الرحمن السندى بتوزيع نسخ هذا الكتاب بمعرفته على أفراد التنظيم السرى المدنى التابع له » .

١٦ ـ ولحسين حمودة وجهة نظر فى أن الضباط الأحرار لم يحكموا مصر بعد الثورة ، وهو يقيم حجته على هذه الوجهة بالقفز وراء وأمام بعض الحقائق التى نعرفها كلها ، فهو يثبت الاستثناءات ويتجاهل ما هو ثابت وهو يقول فى صفحة ١٩٤ : « ولكن الحقيقة التى لم يكشف عنها بعد هى أن الضباط الأحرار لم يحكموا مصر بعد الثورة ، لقد كان تنظيم الضباط الأحرار الذى قام بالثورة ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مكونًا من ٩٩ ضابطا معظمهم من الإخوان المسلمين وفيهم خمسة من الشيوعيين وأقلية ضمها عبد الناصر من الضباط معدومى الضمائر كأمثال شمس بدران وعلى شفيق صفوت وحمزة البسيونى . وكان عبد الناصر يعرف الضباط الإخوان واحدا واحدا وتخلص منهم فور قيام الثورة بسجنهم . لقد كان لعبد المنعم عبد الرءوف دور بارز فى حصار قصر رأس التين وإجبار فاروق على التخلى عن العرش ، وفور إتمام العملية قبض عبد الناصر على عبد المنعم عبد الرءوف وسجنه وفر عبد المنعم عبد الرءوف من السجن وفر من البلاد فحكم عليه عبد الناصر بالإعدام فى محاكمة غيابية . ولم يعد عبد المنعم عبد الرءوف لوطنه إلا فى عهد أنور السادات ، وأما باقى الضباط الأحرار من الإخوان ـ ومن بينهم كاتب هذه السطور ـ فقد فصلوا من وظائفهم وسجنوا وعذبوا وشردوا . وبالنسبة للضباط الأحرار من الشيوعيين فقد استبعد خالد محيى الدين منذ قيام الثورة ولم يشغل أى

منصب فى الدولة كما أجبر على مغادرة البلاد فترة . وقبض على يوسف منصور صديق وهو الذى احتل رئاسة الجيش ليلة الثورة » .

(١٥)

بقى أن نقول إنه ليس فى هذا الكتاب أخطاء تاريخية واضحة اللهم إلا فى صفحة ٦٩ حين يذكر أن المتهمين فى مقتل حسن البنا قدموا للمحاكمة فى أغسطس ١٩٥٤ بينما كان هذا فى أغسطس ١٩٥٢ . كما أنه فى ص ٧٠ يذكر أن عبد الناصر أفرج عن قتلة حسن البنا عقب محاولة الاعتداء عليه فى ١٩٥٤ نكاية فى الإخوان ، بينما يذكر المستشار عبد الحميد يونس فى صفحة ٤٨ من كتابه «حكايات قضائية » الصادر فى سلسلة كتاب اليوم فى يوليو ١٩٩٤ ما يدل على أن الأميرالاى محمود عبد المجيد قد ظل سنوات (لا سنتين فقط) فى السجن حتى أفرج عنه إفراجا صحيا بعد ما كف بصره وهو فى السجن .

كتب للمؤلف

١ ـ الدكتور محمد كامل حسين عالماً ومفكراً وأديباً ،
(الكتاب الفائز بجائزة مجمع اللغة العربية الأولى فى الأدب العربى عام ١٩٧٨) .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

٢ ـ مشرفة بين الذرة والذروة ،
[نال عنه المؤلف جائزة الدولة التشجيعية فى أدب التراجم عام ١٩٨٢]
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٠ .
الطبعة الثانية ، دار الشروق ، ١٩٩٦

٣ ـ كلمات القرآن التى لا نستعملها (دراسة تطبيقية لنظرية العينات اللفظية) ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤

٤ ـ يرحمهم الله (كلمات فى تأبين صلاح عبد الصبور ، ومحمد زكى عبد القادر ،
وبدر الدين أبو غازى ، وفهمى عبد اللطيف ، ويحيى المشد)
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٥ ـ من بين سطور حياتنا الأدبية
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٦ ـ الدكتور أحمد زكى ، حياته ، وفكره ، وأدبه .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٧ ـ مايسترو العبور المشير أحمد إسماعيل ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٨ ـ سماء العسكرية المصرية الشهيد عبد المنعم رياض ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٨٤ .

٩ ـ الدكتور على باشا إبراهيم ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

١٠ ـ الحلول الجزئية هي الأجدى أحيانا . . رؤية إسلامية لمستقبلنا في مصر ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
الطبعة الثانية ، دار الشروق ، ١٩٩٦

١١ ـ التشكيلات الوزارية في عهد الثورة (١٩٥٢ ـ ١٩٨١)
الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

١٢ ـ الدكتور سليمان عزمي ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

١٣ ـ الدكتور نجيب محفوظ ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .
الطبعة الثانية ، دار الشروق ١٩٩٦ .

١٤ ـ دليل الخبرات الطبية القومية مع مقدمة وافية عن تاريخ وحاضر مؤسسات التعليم الطبي المصرية
مركز الإعلام والنشر الطبي ، الجمعية المصرية للأطباء الشبان ، ١٩٨٧ .

١٥ ـ الصحة والطب والعلاج في مصر ،
جامعة الزقازيق ، ١٩٨٧ .

١٦ ـ رحلات شاب مسلم (في الهند وإيطاليا وأمريكا وبريطانيا)
دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩ .
الطبعة الثانية ، دار الشروق ، ١٩٩٦

١٧ ـ توفيق الحكيم من العدالة إلى التعادلية ، المكتبة الثقافية ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ .

١٨ ـ الببليوجرافيا القومية للطب المصري ، الجزآن الأول والثاني ١٩٨٩ ،
الجزء الثالث والرابع ١٩٩٠ ، الأجزاء من الخامس وحتى الثامن ١٩٩١ .
الأكاديمية الطبية العسكرية ، وزارة الدفاع ، القاهرة .

١٩ ـ منهج أدباء التنوير في كتابة تاريخ الأمة الإسلامية ،
الطبعة الأولى : رابطة الجامعات الإسلامية ، الرباط ، ١٩٩٠ .
الطبعة الثانية : أدباء التنوير والتأريخ الإسلامي ، دار الشروق، ١٩٩٤ .

٢٠ ـ مجلة الثقافة [١٩٣٩ ـ ١٩٥٢] : تعريف وفهرسة وتوثيق ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .

٢١ ـ أوراق القلب (رسائل وجدانية)
دار الشروق ، ١٩٩٥ .

٢٢ ـ شمس الأصيل فى أمريكا (من أدب الرحلات) ،
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

٢٣ ـ مذكرات وزراء الثورة [دراسة تشريحية تاريخية نقدية لمذكرات كمال حسن على ، وسيد مرعى ، وعبد الجليل العمرى ، وثروت عكاشة ، وإسماعيل فهمى ، وعثمان أحمد عثمان ، وضياء الدين داود ، وأحمد خليفة ، وعبد الوهاب البرلسى ، وحسن أبو باشا] ،
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

٢٤ ـ المحافظون (قوائم كاملة وترتيبية ، وفهارس تفصيلية وأبجدية وزمنية ، ودراسة لتسلسل وتطور اختيار المحافظين منذ بدء الإدارة المحلية فى ١٩٦٠ وحتى الآن) ،
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

٢٥ ـ مذكرات المرأة المصرية [دراسة تحليلية تاريخية نقدية لمذكرات بنت الشاطئ ، وجيهان السادات ، ولطيفة الزيات ، وزينب الغزالى ، وإنجى أفلاطون ، واعتدال ممتاز ، وإقبال بركة ، ونوال السعداوى ، وسلوى الحنانى ، وثريا رشدى] ،
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

٢٦ ـ الوزراء ، ورؤساؤهم ، ونواب رؤسائهم ، ونوابهم ،
تشكيلاتهم ، وترتيبهم ، مسئولياتهم (١٩٥٢ ـ ١٩٩٦) ، دار الشروق ، ١٩٩٦ .

٢٧ ـ مذكرات الضباط الأحرار (مدارسة تاريخية نقدية لمذكرات محمد نجيب ، وعبداللطيف بغدادى ، وخالد محيى الدين ، وعبد المنعم عبد الرءوف ، وجمال منصور ، وعبدالفتاح أبو الفضل ، وحسين حمودة) ، دار الشروق ، ١٩٩٦ .

٢٨ ـ البنيان الوزارى لمصر فى عهد الثورة [فهارس تاريخية وكمية وتفصيلية لإنشاء وإلغاء وإدماج الوزارات والقطاعات الوزارية (منذ ١٨٧٨) ودراسة لتوزيع المسئوليات الوزارية والوزراء الذين تعاقبوا على كل وزارة (١٩٥٢ ـ ١٩٩٦)] ، دار الشروق ، ١٩٩٦ .

٢٩ ـ قادة الشرطة فى الحكومة المصرية فى عهد الثورة ،
دار الشروق ، ١٩٩٦ .

فهرس

رقم الإيداع : ٧٥٤٠/١٩٩٦

الترقيم الدولي : X ـ ٠٣٣٧ ـ ٠٩ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣



د . محمد الجوادي

مذكرات الضباط الأحرار

□□ لا نحمل النصوص التي بين أيدينا إلا ما تحتمله بالفعل ، فنحن حريصون على ألا نبسط الأمور ولا نضخمها ، لا نكبر ولا نصغر ، لا نضيف ولا نحذف ، لا نرفع ولا نخفض . . ومع هذا فإننا نعيد قراءة هذه المذكرات في ضوء الحقيقة المتاحة ، ونحن نضيء هذه المذكرات من داخلها ومن خارجها بما نحاول أن نصطنع من منهج نقدي تحليلي يضع الأحداث في ضوء الحقائق الثابتة ، ويضع الرواية في ضوء الوقائع ، ويضع الترتيب في ضوء التسلسل ، ويضع المكانة في ضوء المكان ، ثم هو قبل كل هذا وبعده يضع الحدث في ضوء الزمان .

□□ حين نُقدم على هذا العمل لا نضحي بالذاتية التي في هذه المذكرات لأن هذه الذاتية مطلوبة . . كما أننا لا نقيد الذاتية ولا نشترط عليها أن تلتزم حدود الذات . . كما أننا لا نحارب الفردية حين تكون الحقيقة مرتبطة بالفرد وحده . . ولكننا نرفض أن تكون للنظرة الذاتية سطوة على الحقيقة ، ونرفض أن يكون للانفعال الوقتي تأثير على الرؤية التاريخية ، ونرفض كذلك أن تكون النظرة ضيقة المجال بحيث لا ترى إلا جانبًا واحدًا من الحقيقة مع أننا لا نرفض أن تكون العدسة التي ينظر منها صاحبها صغيرة الحجم . . كأن الأمر في هذا الشأن شبيه بأننا لا نفرض على الذين يستعملون الميكروسكوب عدسة عينية بعينها ولكننا لا نوافقهم على ما يعتقدون أنهم رأوه إذا كانت هذه العدسة بحكم قدرتها غير قادرة إلا على مجال معين .

□□ لسنا بصدد تقييم هذه المذكرات ورفع قيمة بعضها ، فنحن نؤمن بأنها كلها مفيدة وبأنها تعكس مشاعر وأخلاقًا عالية من الانتماء للشعب والولاء للوطن عند مَنْ كتبوها ، وإذا كان لنا أن ننتقد ونثني ، فإننا نثني على كل مَنْ كتبوا المذكرات وننتقد كل مَنْ لم يكتبوا مذكراتهم ، ونحن حين نفعل ذلك لا نستحث الأحياء من أصحاب التجربة على أن يكتبوا تجربتهم فحسب ، ولكننا نستحث الذين ما تزال بأيديهم مذكرات غيرهم ممن انتقلوا إلى العالم الآخر أن يؤدوا دورًا مهمًا لوطنهم ولشعبهم بأن يعملوا على نشر ما لديهم من مذكرات .